الصاعديات

أبحاث في التاريخ والأنساب

أ. د. عبدالرزاق الصاعدي

١٤٣٣ه ٢٠٢١م

فهرس المحتوى



(١)

الأحلاف في القبائل العربية وآراءُ الجاسر والبلادي

في دخول بطون وقبائل حجازيّة في قبائل كبيرة

عبدالرزاق الصاعدي

٢٩/ ١٢/ ١٤٤٢هـ

{يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات ١٣]

«فلما رأتِ القبائلُ ما وَقَعَ بينَها من الاختلاف والفرقة، وتنافس الناس فى الماء والكلأ، والتماسهم المعاشَ فى المتّسع، وغلبة بعضهم بعضًا على البلاد والمعاش... حالفَ القليلُ منهم الكثير، وتباين القومُ فى ديارهم ومحالّهم، وانتشر كلّ قوم فيما يليهم».

أبو عبيد البكري، معجم ما استعجم ١/

٥٣

«لم يُدوّن من تاريخنا إلا ما وجدناه في المراجع التي ما كان مؤلفوها يستطيعون أن يتجاوزوا حدود الحرم».

عاتق البلادي: نهاية الدرب في نسب

حرب ١٠

«ليس في قبائل العرب قبيلة كبيرة تشغل حيّزا كبيرًا إلا وفيها أحلافٌ منضوية، قَلّتْ أو كَثُرَتْ، وهذا من علامات قوّتها ومنعتها ونفوذها».

عبدالرزاق الصاعدي

المقدمة

كتبتُ في التاريخ والأنساب منذ عام ١٤٠٧هـمقالاتٍ وأبحاثًا متنوّعة[١]، نُشِر بعضها في مجلة العرب، قبل نحو ثلاثين سنة، ولم تكن كتاباتي في هذا الفنّ حميّةً جاهليّة لقبيلة أو تفاخرًا بنسب أو حسب، وإنما أكتبُ للعلم وللإسهام في تاريخ بلادنا الغالية، فالقبيلة جزءٌ من وطن كبير عظيم يظلّنا جميعًا وننعم بخيراته، والناس فيه سواء، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبأعمالهم النافعة، وقدوتنا في هذا نبينا، صلّى الله عليه وسلّم، الذي قال: أمّا بعد؛ أيّها الناس! فإنّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهليّة، يا أيّها الناس! إنّما الناس رجلان: بَرٌّ تقيٌّ كريم على ربِّه، وفاجر شقيّ هيّنٌ على ربِّه، ثمّ تلا: {يا أيُّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثَى وجعلناكم شُعُوبًا وقبائلَ لتعارَفُوا} حتّى قرأَ الآيَة، ثمّ قال: أقول قولي هذا، وأَستغفرُ الله لي ولكم[٢].

---

(١) كتبتُ مقالاتٍ وأبحاثًا في الأنساب والتاريخ، ومنها ما نشرته في مجلة العرب عن قبيلة حرب وعلاقتها بطريق الحج، وكتبتُ مقالا عن القبائل الثمودية والقبائل الصفوية، ومقالا عن أخبار مكة للفاكهي، وسلسلة مقالات عما أُلّف في تاريخ المدينة، ثم طبع في كتاب، ومقالا في دحض افتراءات فيليب حِتّي وبروكلمان على التاريخ الإسلامي، ومقالا عن بئر حاء، وقبيلة حرب في التاريخ الشامل، نشر هذا الأخير في مجلة العرب عام ١٤١٥هـ، وغيرها من المقالات، ولِي كتاب في نسب آل خليفة من التراجمة من حرب، وكتاب مخطوط لم ينشر بعد.

(٢) صحيح ابن حبّان ح ٣٨٢٨، ٩/ ١٣٧. وينظر: موارد الضمآن ح ١٧٠٣ ، ٥/ ٣٤٦، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ورقمه: ٢٨٠٣.

وأنا أكتبُ اليومَ للتاريخ والعلم، ولإظهار ما عساه خفي على بعض الباحثين، وأكتب –أيضًا- لأذكّر الناسي والغافل بأنّ في الحِلف والوئام والاستقرار خيرًا للناس، والعربُ أكفاءٌ في النسب، وهم مجبولون على الخير، يتآلفون ويتصاهرون ويتعايشون ويتحالفون ويوالي بعضهم بعضًا، وتدخل قبائلهم الصغيرة في الكبيرة، حسب المصالح وما تقضي به ظروف العيش، وقد تترك القبيلة نسبها القديم وربما تنساه مع طول العهد وتقلّب الأيام وتعاقب الدهور، والتداخل في القبائل سُنّة اجتماعية قديمة في العرب، قال بها المؤرّخون الثّقات من لَدُن الكلبيَّين محمّد وابنه هشام، إمامَي أهل النسب، إلى عهد العلّامة حمد الجاسر ومؤرّخ الحجاز عاتق البلادي، في زماننا.

وليسَتْ القبائل الكبيرة المعاصرة في بلادنا بِدْعًا في ذلك، فما من قبيلةٍ كبيرة تشغل مساحة كبيرة إلا وفيها مكوّنات مختلفة لا تعود إلى جدٍّ واحد، وظاهرة الأحلاف في القبائل العربية قديمة قدم التجمّعات البشرية في جزيرة العرب، واليمنيون يسمّون الحِلف القبلي: تَكَلُّعًا. قال ابن دريد في الجمهرة: التكلُّع: التّحالُف والتجمّع، لُغة يمانية، وبه سُمّي ذو الكَلاع الحميري؛ لأنّهم تَكلّعوا على يَده؛ أَي: تجمّعوا. والتكلّع حول القبيلة دليل قوّتها ومنعتها ومكانتها وقدرتها على الجذب.

ولا يمكن اليوم أن نعرف كلّ الأحلاف ولا نعرف تاريخها، إذ لا يخلو تاريخ القبائل العربية القديم والوسيط من غموض، وإنّ من أسباب

الغموض في تاريخ القبائل في جزيرة العرب ندرة التدوين وتفشّي الجهل في القرون المتأخّرة بعد القرن الرابع، وفَقْدُ الكثيرِ من التاريخ العشائري في المنطقة واقتصار التدوين على بعض الحاضرة في المدن، قال البلادي: «لم يُدوّن من تاريخنا إلا ما وجدناه في المراجع التي ما كان مؤلفوها يستطيعون أن يتجاوزوا حدود الحرم»[١]، وقال حمد الجاسر: «انقطع تدوين أنساب قبائل العرب منذ القرن الثالث الهجري فما بعده، بصورة منتظمة، وخاصة القبائل التي تعيش في قلب جزيرة العرب، وفي سروات الحجاز، وإذا استثنينا ما كتبه الهَجَريّ في آخر القرن الثالث الهِجري، وهو قليل جدا، فإننا لا نجد عن أنساب عرب الجزيرة باستثناء القسم الجنوبي منها ما يصحُّ أن يكون أساسًا لدراسة أنساب القبائل، ويضاف إلى ذلك أنّ الذين عُنوا بتدوين أصول أنساب القبائل كانوا يعيشون بعيدين عن جزيرة العرب، مثل محمد بن السائب الكلبيّ، وابنه هشام، ومؤرّج السدوسي، وغيرهم، وهؤلاء عنوا عناية كبيرة بفروع القبائل التي انتشرت خارج الجزيرة العربية في العراق وفي شرق البلاد الإسلامية»[٢].

ثمّ قال: «والكلبيّان محمد وابنه هشام -وهما إماما أهل النسب مع ما قاما به من تدوين أصول الأنساب العربية- قد اهتما اهتمامًا فائقًا بتفريع

(١) نهاية الدرب في نسب حرب، لعاتق البلادي ص ١.

(٢) في سراة غامد وزهران ٢٠١.

القبائل لا في الجزيرة بل في شرقها، وانصرفا عن ذكر الفروع في مهد العرب، ولقد نشأت فروع كثيرة، وخاصة في البلاد التي لا تزال الموطن الأوّل لأصول القبائل، وهذه الفروع لا نجد لها ذكرًا في المؤلّفات التي وصلت إلينا، وليس معنى ذلك عدم صلتها بأصولها، ولكن هذا يرجع إلى عدم تسجيل هذه الفروع لجهل المؤلفين بها لبعدهم عن أمكنة [أولئك]»[1].

أنواع الأحلاف عند العرب:

حين ننظر في كتب الأنساب والتاريخ والمستفيض عن العرب من أنسابهم نجد أن الأحلاف ثلاثة أنواع:

الأول: حلف كامل، وهو حلف النسب، فيه تدخل قبيلة فتأخذ اسمها نسبها، كتنوخ والعتق وغسان، فهم من بطون شتى[2]، ومنه دخول قبائل صغيرة أو بطون أو أفناء في قبيلة كبيرة، وهذا كثير الوقوع في قبائل العرب في جميع عصورها، فلا تكاد تجد قبيلة كبيرة إلا وفيها أحلاف انضوت تحت جناحها وأخذت اسمها ونسبها، ومنه دخول مزينة وأسلم وغِفار وبعض قبائل الأوس والخزرج من الأنصار في قبيلة حرب، وهذا النوع من الأحلاف هو الذي يعنيني في هذا البحث.

---

(1) في سراة غامد وزهران ٢٠١.

(2) جمهرة أنساب العرب ٤٦٢.

والثاني: حِلف نصرة ومؤازرة، وهو مؤقّت ينقضي بانقضاء المصلحة، وهو حلف نصرة ومؤازرة وإحقاق حقوق، ينطوي على معاقدة ومعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، وغالبًا يكون بين قبائل متكافئة، ولا يؤدي إلى النسب، أي لا يؤدي إلى دخول قبيلة في قبيلة، ومن هذا حلف المطيّبين وحلف الفضول وحلف البراجم وحِلف أسد وطيّئ وغطفان، ويقال له الأحاليف، وحلف شبابة وحلف خندف.

والثالث: أن يلحق رجل منفرد بقبيلة فينتسب إليهم، لجرم وقع منه أو لضيم لحق به، قال هشام الكلبي: «وكان يعْلى لَطَم أخاهُ عوفًا فلحق عَوْفٌ بجُهينةَ فانتسبب إليهم»[1]، ومن هذا ما يحكى أنّ كعب بن عجرة كان مقيما فى نسبه من بليّ، ثم انتسب بعدُ في بني عمرو بن عوف في الأنصار[2]. وعاصم بن عدي بن العجلان البلوي، صحابي، حالف الأَوس من الأنَصار، توفي سنة ٤٥ هـ.

وفيما يأتي ذكرٌ لنماذج من الأحلاف والتداخلات عند النسّابة المتقدمين ثم أعقبه بما ذكره النسّابة المتأخّرون:

---

(١) نسب معد واليمن الكبير ١/ ٩٤.

(٢) معجم ما استعجم ١/ ٢٩. وبنو عمرو بن عوف هؤلاء فرع من بني عوف الأوسية أهل قباء.

أولا: الأحلاف والتداخلات القبلية في أقوال النسّابة المتقدمين

إنّ القول بدخول قبائل في قبائل بالحِلف الذي يتحوّل مع طول العهد إلى نسبٍ قولٌ قديم للنسابة العرب، وما أكثر ما نرى في كتب الأنساب القديمة لهشام الكلبي وغيره من عبارات تشير إلى التحالفات في القبائل ودخول بعضٍ في بعض، مثل (تحالفوا)، (حلف)، (حالفت)، (حلفاء)، (أحلاف/ الأحلاف) (دخلت في)، (دخلوا في)، (انتسبوا إليهم)، (غاضبوا قومهم فدخلوا في) ونحو هذا، وللزُّهري (١٢٤هـ) وهشام الكلبي (٢٠٤هـ) والهيثم بن عدي (٢٠٧هـ) كتب خاصة في الأحلاف، ذكرها النديم في الفهرست.

وفي الأحلاف التي تؤدي إلى دخول قبيلة في قبيلة، وينتج عنه النسب مع طول الوقت، قال أبو عبيد البكري، وهو يروي عن هشام الكلبي: «فلما رأت القبائل ما وقع بينها من الاختلاف والفرقة، وتنافُسَ الناسِ في الماء والكلأ، والتماسَهم المعاش فى المتّسع، وغلبةَ بعضهم بعضًا على البلاد والمعاش... حالفَ القليلُ منهم الكثير، وتبايَنَ القومُ فى ديارهم ومحالّهم، وانتشر كلّ قوم فيما يليهم»[1]. وقال نقلا عن الكلبي أيضًا: «وتيامنت شَقرة وشَقْحَب بنو نَبت بن أُدَد وقبائل من أولاد عدنان، إلى بلاد اليمن وتهامة،

---

(١) معجم ما استعجم ١/ ٥٣.

ولحقوا بأهلها، فصاروا فى قبائلها وعمائرها، وأقاموا معهم، وانتسبوا إليهم، فدخلت شَقْحَب فى أُحاظة، من ذي الكَلاع، من حمير»[١].

من أقوال هشام بن محمد بن السائب الكلبي (٢٠٤هـ):

وهشام من أشهر النسّابة المتقدمين، وهو يروي عن أبيه محمد بن السائب الكلبي (١٤٦هـ) وعن بعض رواة النسب المتقدمين أقولا متفرّقة في الأحلاف والتداخل بين القبائل، منذ العصور الأولى، وسأنقل بعضها، فمنها قوله في كلامه عن ولد إياد بن نزار بن معدّ بن عدنان: «وولد زُهْرُ بن إِياد: حُذاقَةَ، الشَّلَل، دخل في تنوخ، وعبدالله في بني تَميم.... فولد يَزيدَ بن حُذَاقَةَ: عَمْرًا، دخل في تنوخ»[٢]، وتنوخ قبائل متحالفة.

وقال هشام الكلبي في أنساب بني أَوس اللأَّت بن رُفيدةَ: «وولدَ أَوسُ بن رُفيدة: عمرًا، والحارث، وامرأ القيس، وعوفًا، حضنهم عبدُ حبشيّ يُقال لهُ كلاب، فغلب عليهم، فهم في بني جبَّار بن قُرط بن حارثةَ بن عامر المُذمّم من بني ماويةَ يُقال لهم كلاب جبار وأَما شُكم اللأَّت فدخلوا في تُنوخ»[٣].
وقال: «وولدَ كنانةُ بن عوف بن عذرةَ بن زيد اللأَّت بن رُفيدة بن ثور بن

(١) معجم ما استعجم ١/ ٥٤.
(٢) نسب معدّ واليمن الكبير ١/ ١٢٢.
(٣) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥٥٦.

كلب بن وبرة: عوفًا... وعمرًا، وذُهلًا، وكاهلًا، درج. وأكدر، والشُّلل، دخلا في تنوخ»[١].

وقال الكلبي في أنساب خُزيمة بن تيم اللَّه بن أَسد بن وبرة: «وولد خُزيمة بن تيم اللَّه بن أَسد بن وبرةَ: عوفًا، وبُريحًا، وعائدة، وربيعًا، وفهمًا. فولد بُريحُ بن خُزيمة: عمرًا. فولد عمرو بن بُريح: حيَّة، وعديًّا، وعَنمة، والمنذر، وعبد غطفان، دخلوا في تنوخ. وولد عوفُ بن خُزيمة: نهدًا. فولد نهدُ بن عوف بن خُزيمة: جُشم، وعمرًا، وظُلُوة، وكسلًا، ومالكًا، وحزامًا، دخلوا كُلُّهم في تنوخ»[٢].

وقال الكلبي في أنساب طَرُود بن قدامة: «فولد عبدُ الجنِّ بن عائدةَ: عمرًا، وهو الذي كان مع عمرو بن عديّ بالحيرةِ، فهم في تنوخٍ، على نسبهم»[٣].

وقال الكلبي: «وهؤُلاء بَنو امرئ القَيس بن مالك بن الأوس: وولد امرؤ القَيس بن مالك بن الأوس: مالِكًا، وهو واقف، بطن، والسَّلْم، بطن، حُلفَاء في بني عَمْرو بن عَوْف»[٤].

---

(١) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٦٢٢.

(٢) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٦٨٨.

(٣) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٦٩٩.

(٤) نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٨٥.

وقال الكلبي: «فولد مالك بن غَضْب: عبد حارثة، وعامرًا، وهو أبو الّذين، وهو اسم رَجُل؛ قوم يدعَوْنَ الّذين، حلفاء من بني بَياضة»[١].

وقال: «ويُقالُ إن الرَّكْب بن جُعْفيّ، خَرَجوا مُغاضِبِينَ لقَومِهِم فلَحِقوا بالأشعَرِيِيّن، فانتَسَبوا فيهم»[٢]. وقال في أنساب بني عُرينة بن ثور: «فولدَ شكلُ بن يربوعٍ: مُسلمًا، وهو نحو من خمسينَ رجلًا دخلوا مع العُبيد بن عامر [بن بكر]»[٣].

وقال الكلبي: «اجتمعت قُضاعةُ على زُهير بن جناب بن هُبل الكلبيّ، وعلى رزاح بن ربيعةَ بن حرامٍ العُذريّ. وهو الذي أخرج نهد بن زيد، وجرم بن زبَّان وحوتكة بن سود من قُضاعةَ؛ فألحقَ نهدًا بليثٍ، وألحقَ حوتكةَ بمُضر، وألحق جرمًا بمذحج فحالفوهم؛ وجرم تقبضُ العطاء مع الحارث بن كعب من مذحج»[٤]. وفي هذا قال البكري نقلا عن الكلبي: «فلحقت نَهد بن زيد ببنى الحارث بن كعب، فحالفوهم وجامعوهم، ولحقت جرم بن ربّان ببنى

(١) نسب معد واليمن الكبير ١/ ٤١٩.

(٢) نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٤٠.

(٣) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥٥٥.

(٤) نسب معدّ واليمن الكبير٢/ ٧١٦.

زبيد، فحالفوهم وصاروا معهم، فنسبت كلّ قبيلة مع حلفائها، يغزون معهم، ويحاربون من حاربهم»[١].

ومن الأحلاف والتداخلات القبلية القديمة التي ذكرها الكلبي: دخول جُشَمُ في عبد القَيْس[٢]، وناشم بن أفْصَى دَخَلوا في بني زهير من بني تَغْلبَ[٣]، ودخول أتَيْد في بني هِنْد من بني شَيْبان ودخول ضنّة في بني عُذْرَة بن سَعْدِ هُذَيم من قُضاعة[٤]، ودخول جَبَلَةُ في بني عمرو بن الحارث بن مُرة بجُرسان[٥]، ودخول فُرسان ووائلةُ في كنانة[٦]، وهم من بني تغلب بن قيس، ودخول وآثِلة في بني جذيِمةَ بن عوف[٧]، ودخول صعب بن تَيْم بن أَنَمار في بني جذٍيمة بن عَوْفٍ[٨]، ودخول عُبيل بن أَصبى بن دافع في بني عَنس[٩]، وذكر في نسل عَمرو بن عوف بن كنانة حسلًا، وأنّه دخل في عبدِ القيس[١٠]،

(١) معجم ما استعجم ١/ ٤١.
(٢) نسب معد واليمن الكبير ١/ ١٨.
(٣) نسب معد واليمن الكبير ١/ ١٨.
(٤) نسب معد واليمن الكبير ١/ ٢٠.
(٥) نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٥.
(٦) نسب معد واليمن الكبير ١/ ٩٢.
(٧) نسب معد واليمن الكبير ١/ ١٠٣.
(٨) نسب معد واليمن الكبير ١/ ١١٢.
(٩) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥١٦.
(١٠) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٦٣٣.

وذكر أن بكر بن يشكر أولد: عامراً، وهو الغطريف، وسعداً، وعوفاً، والحارثن وهو الغلوق، دخلوا في بني زُبيدٍ[١]، وقال: «فولدَجُشمُ بن عبدِشمس: ريمانَ، وغزوانَ، وبعدانَ وقد دَخلوا كُلُّهم في الكلاعِ»[٢].

من أقوال ابن حبيبَ (٢٤٥هـ):

أشار ابن حبيبَ إلى حلفٍ بين آل عاصم وآل سباع، من خزاعة، وعوف بن عبد عوف، قال: «كان حلف آل عاصم، وهم من بني سعد بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة أيضا أنهم كانوا جميعا حلفًا لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب»[٣].

وأشار إلى حلف بني شيبان السُّلميّين والغيداق بن عبدالمطلب من قريش، وذكر قصته وسببه، وأنه ثبت فيهم[٤].

وذكر ابن حبيبَ بعض من دخل في قريشٍ في الإسلام بغير حلف إلا بصهر أو بصداقة أو برحم أو بجوار أو ولاء، قال: «فمن أولئك في بني هاشم آل أبي مسروح بن عمرو هم من بني سعد بن بكر دخلوا لصهرهم إلى العباس

(١) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥٠٢.

(٢) نسب معد واليمن الكبير ٢/ ٥٣٦.

(٣) المنمّق ٢٤٤.

(٤) المنمّق ٢٣٩.

والمقوم ابني عبد المطلب... ومنهم جعونة بن شعوب من بني ليث دخلوا في بني هاشم لصداقة كانت بين أبي بكر بن جعونة وبين العباس بن عبد المطلب. ومنهم في خزاعة آل كثير بن الصلت الكندي وآل أبي عمر الغفاري، أدخلهم جميعا المهدي أمير المؤمنين في خلافته. وكان آل كثير ابن الصلت في بني جمح. ومن أولئك في بني عبد شمس آل عمرو بن أمية الضمري دخلوا في بني أمية؛ لأن عمرو بن أمية الضمري تزوج سخيلة بنت عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب»[١]. وذكر غير هؤلاء في كتابه.

من أقوال البلاذُري (٢٧٩هـ):

نقل البلاذُري عن هشام بن الكلبي قوله: إن حَيْدان بن معدّ دخلوا في قضاعة، فقالوا: حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وحَيْدان هو أبو مهرة بن حيدان[٢]، وذكر البلاذُري في نسب بني الهُون بن خُزيمة بن مدركة أنّ من ولده «الحكم وهو قليل دخلوا في مذحج قالوا: نحن بنو الحكم بن سعد العشيرة وهم رهط الجراح بن عبد الله الحكمي»[٣]، وذكر البلاذُري من نسب تميم بن سعد جوية بن سعد، وقال: «يقال إنهم دخلوا في عبس فالحطيئة

---

(١) المنمّق ٢٤٩.

(٢) أنساب الأشراف ١/ ٢٠.

(٣) أنساب الأشراف ١١/ ١٤٩.

الشاعر منهم»[١]، وانتقل بنو شعاعة فدخلوا في فقيم[٢]، وقا: من التيم: بنو سبيع وقد دخلوا في بني طهية على نسب فيهم[٣]، ومن عقب عبد شمس بْن سعد: «الحرَمِز، درجوا ألا بقية دخلوا فِي بني كاهل بْن أسد يقولون: حرمز بْن مازن بْن كاهل بْن أُسد، وهم هؤلاء»[٤]. وحُرْقَة بْن هلال، دخلوا فِي تغلب عَلَى نسب، وهم رهط الهذيل بْن هبيرة بْن حبيب بْن الحارث بن حرقة[٥].

وروى البلاذُري (ت ٢٧٩هـ) عن ابن الكلبي قوله: «كثرت إياد بتهامة، وبنو معد حلول بها لم يتفرقوا عنها، فبغوا على بني نزار. وكانت منازلهم بأجياد من مكة. وذلك قول الأعشى :

وبيداءَ تَحسبُ آرامَها رِجالَ إيادٍ بأجيادِها

فرماهم الله بداء، ففشا الموت فيهم. فخرج من بقي منهم هرابا. فأتت فرقةٌ اليمنَ، فانتسبوا في ذي الكلاع من حمير»[٦].

---

(١) أنساب الأشراف ١١/ ٢٠٩.

(٢) أنساب الأشراف ١١/ ٢٨٢.

(٣) أنساب الأشراف ١١/ ٢٨٣.

(٤) أنساب الأشراف ١٢/ ٣٨٧.

(٥) أنساب الأشراف ١٣/ ١٨٠.

(٦) أنساب الأشراف ١/ ٢٥.

وروى البلاذُري عن مُحَمَّد بْن حبيب مولى بني هاشم، عَن مُحَمَّد بْن الأعرابي، عَنِ المفضل الضبي «أَن قمعة بن إلياس تزوج وولد له، ثم غاضب إخوته، فأتى اليمن وحالف الأزد، وانتسب فيهم»(١).

وقال البلاذُري: «ولد تيم بْن مرة: سَعْد بْن تيم والأحب، درج. وَقَالَ غير الْكَلْبِيّ أنهم خرجوا من بني تيم وانتسبوا فِي بني عامر بْن لؤي»(٢).

وقال البلاذُري: «وولد حيدة بن معد: مجيد، وأفلح، وقزح دخلوا في الأشعرين. ويقال إن ولد قزح وحده دخلوا في الأشعرين»(٣).

وقال البلاذُري: «وقال هشام بن الكلبى: دخل بنو أسدة بن خزيمة في بنى أسد ابن خزيمة، وكانوا قليلا. وقوم يقولون: إن أسدة درج. ونساب مضر يقولون: إن أسدة هذا أبو جذام، وأن ولده غاضبوا إخوته، فأخرجوهم. فأتوا الشام، وحالفوا لخما»(٤).

---

(١) أنساب الأشراف ١/ ٣٥.

(٢) أنساب الأشراف ١٠/ ٥١.

(٣) أنساب الأشراف ١/ ٢٠.

(٤) أنساب الأشراف ١/ ٣٦.

وقال البلاذُري: «وسعد بن عامر، وهم حلفاء في بني مخدج»[١]. وقال: «وجَشم بْن شقرة. ورُمنا بن شقرة. وكعب بن شقرة، وهم قليلٌ، حلفاء فِي بني نَهشل»[٢].

وقال: «ولد تيم بن مرة: سَعد بن تيم والأحب، درج. وقال غير الكلبيّ إنهم خرجوا من بني تيم وانتسبوا فِي بني عامر بن لؤي»[٣].

قول للقاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ):

وروى القاسم الأنباري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «لو كنت مستلحقًا حيًا من العرب لاستلحقت بني مرة لما كنا نعرف فيهم من الشرف البين مع ما كنا نعرف من موقع عوف بن لؤي بتلك البلاد، ثم قال لبعض أشرافهم: إن شئتم أن ترجعوا لنسبكم من قريش فافعلوا، فعرض ذلك على قومه فاختلفوا عليه، وكانوا أشراف قومهم فكرهوا أن يتركوا نسبهم في قومهم ولهم فيهم من الشرف والفضل ما ليس لغيرهم»[٤].

---

(١) أنساب الأشراف ١١/ ١٤١.

(٢) أنساب الأشراف ١٢/ ١١.

(٣) أنساب الأشراف ١٠/ ٥١.

(٤) شرح المفضليات ١٠١.

من أقوال الحسن الهمداني (٣٦٠هـتقريبا):

جاء في مختصر الإكليل أقوال للهمداني تشير إلى تداخل قديم واختلاط بين بني حرب الخولانية وبعض بني كامل بن الربيعة بن سعد، فروى الهمداني عن بعض وَضَعَة السجلّ ونُسّاب الهميسع وهو يذكر أنساب خولان العالية قولهم: «وأما عفرت والجابر وكُبيّ وخفاجة فإنهم من ولد كامل بن الربيعة، منهم بالمدينة مع بني حرب، وأكثرهم ممن خرج مع خالد بن قيس، سيّد بني حيّ إلى مصر»[1]. قلت: ولد كامل بن الربيعة ليسوا من حرب، فدخل بعضهم فيها، كما يقول هذا النصّ، ولعلّهم أوّل من دخل في الفرع الخولاني من حرب، فمن يعلم نسلهم اليوم ويميّزهم من بني حرب؟ وما نسبتهم فيها اليوم؟ ليس لأحد أن يعلم ذلك، وحسبنا من هذا النص المهمّ الذي لم يتوقّف عنده أحد أنْ نعلم أنّ بعض الخولانيين الذين قدموا إلى الحجاز لم يكونوا من نسل حرب بن سعد بن سعد بن خولان، وهذا يؤيد مبدأ التداخل في حرب وغيرها، وأنه قديم فيها.

وقال الهمداني وهو يذكر عَقِب بني حرب الخولانية: «وممن هنالك بنو ذؤيب من ولد سبّاق بن الفاحش بن حرب، وهم أحد بني حرب حدّا.... وبنو ذؤيب يعرفون بحظي، وفيهم من بني مالك الذين في بني حيّ بصعدة،

(١) الإكليل ١/ ٣٥٦.

ويقولون: إنهم من الأزد، كما يقول مَن في بلد خولان منهم، وهم يُعظّمون في بني حرب»[١].

وأشار الهمداني إلى تداخل بعض البطون والقبائل، ومنهم دخول يعنق بن الربيعة في بني سعد بن سعد[٢]، وفي ذلك يقول عمرو بن يزيد أخو بني عوف:

ولدنا يعنقًا فنحا لسعدٍ وعقّ أباه يعنقُ يوم سارا
أبوه ربيعة الخير بن سعد وأمنعها إذا نحمي ذِمارا
فواهب للهنيدات المهاري وأمنعَ ماجدٍ وطِئ الخبارا

ويذكر الهمداني بعض التداخل بين يغنم من الربيعة بن سعد ويغنم من بني يعلى بن رازح، ، قال: «ومن بني يعلى بن رازح: يغنم، بطن دخل في يغنم بن الربيعة بن سعد، فقالوا: نحن بنو يغنم بن يعلى بن رازح»[٣]، وكذلك بطن يعنق، قال: «وخبّرني بعض الحميريين بصعدة أنّ يعنق ليس من ولد حجر بن الربيعة، وأنّ الربيعة تغلط في قول عمرو بن يزيد...»[٤]، وذكر بيتين.

---

(١) الإكليل ١/ ٣٠٢.
(٢) الإكليل ١/ ٢٩٦.
(٣) الإكليل ١/ ٣٢٣.
(٤) الإكليل ١/ ٣٢٣.

ويذكر لنا الهمداني أنّ مُخلفًا بن رشوان غاضب قومه فتركهم ودخل في عنز بن وائل، وانتسب فيهم[١]. وقال: «وأمّا بنو سرحة وبنو طيبة وبنو عنم من بني جليحة بن أكلب ابن ربيعة بن عفرس فهم[٢] أحلاف في مذحج»[٣]. ويذكر لنا أن ولد جابر ومالك ورفاعة وصعب وعوذ بني عوف بن زيد بن أسامة بن سيد لحقوا بدار عنز بن وائل، وذكر أنهم فيهم إلى زمانه[٤].

وقال الهمداني في حديثه عن الأديم من خولان أن مسلمة بن يغشم وابن المستنير الزَّبيدي قيّدا أنساب خولان وأيامها مع مذحج وبني سليم وهوازن وأنهما سئلا عن الأديم من خولان فقالا: «هو جُمّاع، ليس من ولد الصلب، كما تنوخ جُمّاع بما دخل عليها من الأزد وإياد، وكما يرسم جُمّاع، وهي ثلاثة عشر بيتا ترسّمت على يرسم بن كثير، وعلى بقية يرسم الأولى»[٥].

وقال: «وأسفل من ذلك كَوْمان، وأصلها حميريّ، وهم يتمذحجون اليوم»[٦].

---

(١) الإكليل ١/ ٣٢٤.

(٢) في الأصل: وهم.

(٣) صفة جزيرة العرب ١٨٩.

(٤) الإكليل ١/ ٢٩١.

(٥) الإكليل ١/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) صفة جزيرة العرب ١٨٩

ويذكر لنا الهمداني تحالفاتٍ كثيرةً وجُمّاعات، كما يسمّيها في بعض المواضع، ومنها أنّ يرسم جُمّاع، وهي ثلاثة عشر بيتا ترسّمت على يرسم بن كثير، وعلى بقية يرسم الأولى. ونقل عن عبدالملك بن يغنم أنّ أصل يرسم ثلاثة أبيات، وهم: العُميرات من ولد مُرّ ذي سخيم، وبيتان آخران من يرسم القديمة من حمير، وفي يرسم بيت من آل ذواد من الأبناء، وبيت من همدان من حاشد، وبيت من الخَولي، وبيت من بني هلال، وبيت من كنانة، وبيت من بني حنيفة، وبيت من أهل نجران، وبيت من مذحج، وبيت من قُحافة من خثعم، وبيت من عوير، وفيهم يقول رفاعة بن أبان:

أغارَتْ علينـــا يرســـمٌ ولفيفُهـــا وسوف تكـافيهم عُمـيرة يَرْسـما

طوائــف مــن كل البــلاد تجمّعــوا مــن اقبــال تــرج فالرّبـا ويَبَمْبَمـا

ودعوة يرسم مع ذلك إلى بني سعد بن سعد بن خولان، فيظنهم الجاهل بهم أنهم من خولان، وليس فيهم من خولان إلا الخوليون[١].

وقال الهمداني وهو يذكر قبائل قضاعة أن بعض ملوك التبابعة غزاهم «وأفرى في بني صُحار قتلا، وكاد أن يأتي عليهم، فمن يومئذ لاءم بنو صُحار نزار بن معدّ وطمعت نزار بإدخالهم في نسبها»[٢].

(١) الإكليل ١/ ٢٩٤، ٢٩٥.

(٢) الإكليل ٢/ ٣٠٠.

ومن اختلاط الأنساب وتداخل القبائل أن بطني رُحب ودُحْدُح ابني ذي ثابت بن حزياد بن حسان ذي الشعبين دخلا في خولان العالية[١].

ومن اختلاط القبائل دخول ردمان من حمير في ناجية بن مراد[٢]، ودخول الثوجم في الأوزاع من حمير[٣]. وقال: «وولد ناشج الأكبر بن مالك نهمان بطن دخلوا في وادعة، منهم بنو جرادة في المسهلة من الشكاك»[٤].

قول للوزير المغربي (٤١٨هـ):

قال الوزير ابن المغربي: «وفي كِنانة: عُبيد الرَّمَّاح، وهم من بني معد، دخلوا فيهم، وهم رهط إبراهيم بن عربيّ الكنانيّ»[٥].

من أقوال ابن حزم (٤٥٦هـ):

قال ابن حزم في عوف بن لؤي من عقب فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان: «أما عوف، فدخلوا في بني ذُبيان من غطفان بن قيس عَيلان، وهم بنو مُرّة

(١) الإكليل ٢/ ٣٣٣.
(٢) الإكليل ٢/ ٦٦.
(٣) الإكليل ٢/ ٦٧.
(٤) الإكليل الجزء العاشر ٤٢.
(٥) الإيناس ٢٨.

بن عوف بن سعد بن ذبيان، رَهْط الحارث بن ظالم المرّى؛ وسائر بنى مُرّة»[١]، وذكر ابن حزم في عقب مُرّ بن أُدّ بن طابخة بني الشعيراء، وقال: «فهُمْ قليل، دخلوا في بني مُقاعس من بنى تميم»[٢]، وقال في عقب مرّ بن أد بن طابخة أيضا: «فولدُ عوفٍ: أنمار، دخلوا في بني الهجيم، فقالوا: أنمار بن الهجيم. وأمّا أَسْلَم بن محارب، فدخلوا في بني زُهير بن تيم من بني تغلب، ثم رجعوا إلى قومهم في الإسلام. أمّا ظاعنة، فظعنوا؛ فصارت باديتهم مع بني الحارث بن ذُهْل بن شيبان؛ وأما حاضرتهم، فمع بني عبد الله بن دارم من بنى تميم.»[٣]. وقال في عقب مالك بن زيد مناة بن تميم: «وربيعة، دخلوا في بني نهشل»[٤]، وقال: «لميس بن مذحج، وهم أهل بيت قليل، دخلوا في عَنْس»[٥]، وقال ابن حزم في عقب نهد بن زيد بن ليث بن سود ابن أسلم بن الحافي بن قضاعة: «... فعامر بن نهد دخلوا في بني عُليم من كلب وعمرو بن نَهْد دخل في بني عديّ بن جناب من كلب، وأبان بن نهد دخل في بنى تَغْلِب؛ والشَّرَف من بني نَهْد في بنى زُويّ»[٦]، وقال في عقب: النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحافي بن قضاعة: «وفتيّة ، دخلوا في بنى تغلب... وعانية، دخلوا في

(١) جمهرة أنساب العرب ١٣.

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٠٦.

(٣) جمهرة أنساب العرب ٢٠٧.

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٢٢.

(٥) جمهرة أنساب العرب ٤٠٥.

(٦) جمهرة أنساب العرب ٤٤٧.

بني سليم بن منصور»[١]، قال ابن حزم «ووَلَدُ زيد الله بن سعد العشيرة: عامر، ولده باقون على نسبهم؛ وأَشْرَس؛ وعوف؛ والدُّئِل، دخلت في تَغْلِب»[٢].

وذكر ابن حزم جملة من دخل من بني النمر بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة، في قبائل، فقال إن: «فتيّة دخلوا في بنى تغلب؛ وغاضرة؛ وعانية، دخلوا في بني سليم بن منصور؛ ولبوان بن النّمر، دخلوا في بنى سليح... وسبيع؛ دخل سبيع في خزاعة، ودخل بنو أمر مناة في جشم بن بكر بن هوازن، فقيل: بنو عصيمة بن جشم، وإنّما هم بنو عصيمة بن اللّبُؤ بن أمر مناة بن جُعْثُمة بن النمر بن وَبَرة»[٣].

من أقوال ابن عبد البر النمري القرطبي (٤٦٣هـ):

قال ابن عبدالبر النمري القرطبي: «وقال ابن عَبدة النسابة ومن غَسّان قبائل دخلت في مُراد مثل غطيف وسلمان وكدارة فكل هؤلاء في مُراد وأصلهم الأزد»[٤].

وقال: «بلي بن عَمْرو بن الحاف بن قضاعة، منهم كَعْب بن عُجْرَة البلوي وبنو العجلان وبنو أنيف وبنو غصينة وهم كلهم حلفاء الأنصار، قال

(١) جمهرة أنساب العرب ٤٥٤.

(٢) جمهرة قبائل العرب ٤٠٨.

(٣) جمهرة أنساب العرب ٤٥٥.

(٤) الإنباة على قبائل الرواة ١٠٧.

الزبير: هؤلاء كلهم أصلهم من بلي وهم حلفاء بني عمرو بن عَوْف من الأوس، وهي قبائل بأسرها من بلي في الأنصار»[١].

قول للأمير ابن ماكولا (٤٧٥هـ):

ذكر ابن ماكولا أن ولد مليح ييثع والحكم دخلوا في مذحج في الحكم بن سعد العشيرة بن مالك بن مذحج، وهم قليل[٢]، وأن بني عمرو بن نهد بن زيد دخلوا في بني عدي بن جناب[٣].

من أقوال أبي عبيد البكري (٤٨٧هـ):

نقل أبو عبيد البكري عن الكلبي قوله: «وتيامنت قبائل من أولاد معدّ بن عدنان؛ وتفرّقوا فى بلاد العرب، ولحقوا بأهلها، فيقال والله أعلم: إنّ مهرة بن حيدان بن معدّ»[٤].

وقال: «وصار أود بن معدّ فى مذحج، فانتسبوا إلى صعب بن سعد العشيرة، وقالوا: أود بن صعب، وثبتوا معهم، وفيهم يقول الشاعر، كما زعم الشّرقىّ ابن القطامىّ:

---

(١) الإنباة على قبائل الرواة ١٣٧.

(٢) الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف لابن ماكولا ١/ ٤٩٥.

(٣) الإكمال لابن ماكولا ٧/ ٢٥٩.

(٤) معجم ما استعجم ١/ ٥٥.

ومَنْ كانَ يَدْعُو مِنْ مَعَدٍّ نَصيرَهُ فما الأَوْدُ مِن إخْوَانِها بقَرِيبِ
نَأَتْ دارُهُمْ حَيْثُ اسْتَقَرَّ محلُّهُمْ بصَعْبِ بنِ سَعْدٍ والغَرِيبُ غَرِيبُ
وكم دونهم من شقّة وتنوفة أمالس قفر ما بهنّ عريب»[١]

وقال البكري: «ولَحِقَتْ طائفةٌ من بنى محلّم بن الحارث بن ثعلبة بن سحمة، ببنى محلّم بن ذهل بن شيبان، وأقامت طائفة منهم فى بجيلة، فقال رجل منهم فى ذلك:

لقد قَسَمُونا قِسْمَتَينِ فبَعْضُنا بَجِيلةُ والأُخْرَى لبَكْرِ بن وائلِ
فقد مُتُّ غَمًّا لا هُناكَ ولا هُنا كما ماتَ سِقْطٌ بين أَيْدِى القَوابِلِ

وقال البجليّ لقومه حين تفرّقوا فى العرب:

لقد فُرِّقْتُمُ فى كلّ أَوْبٍ كتَفْرِيقِ الإلهِ بنى مَعَدِّ
وكُنْتُمْ حَوْلَ مَروانٍ حُلُولا أَكارِسَ أَهْلَ مَأْثَرَةٍ ومَجْدِ
ففَرَّقَ بَيْنَكُمْ يَوْمٌ عَبُوسٌ من الأيّامِ نَحْسٌ غيرُ سَعْدِ»[٢]

وقال البكري: «ونزلت خثعم ما بين بيشة وتربة، وما صاقب تلك البلاد وما والاها، فانتشروا فيها إلى أن أظهر الله الإسلام وأهله، فتيامنت بَجِيلة وخثعم،

(١) معجم ما استعجم ١/ ٥٧.

(٢) معجم ما استعجم ١/ ٦٢.

فانتسبوا إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ، وقالوا: نحن أولاد قحطان، ولسنا إلى معدّ بن عدنان»[١].

وقال: «وتيامنت النّخع، وهو جسر بن عمرو بن الطّمثان بن عوذ مناة بن يقدم ابن أَفْصَى بن دعمي بن إياد بن نزار، فنزلت ناحية بيشة وما والاها من البلاد، وأقاموا بها، فصاروا مع مذحج فى ديارهم، وانتسبوا إليهم، فقالوا: النّخع بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد، وثبتوا على ذلك، إلّا طائفة منهم، فإنهم يقرّون بنسبهم، ويعرفون أصلهم»[٢]. ويفهم من قوله هذا أن بعض الداخلين في غيرهم ينسون نسبهم القديم، وبعضهم يتذكّره ولا ينساه.

وقال: «وتيامنت قبائل من ربيعة إلى بلاد اليمن، فحالفت أهله، وبقوا على أنسابهم، منهم أكلب بن ربيعة بن نزار، نزلت ناحية تثليث.... فجاورت خثعم وحالفوهم، وصاروا يدا واحدة معهم على من سواهم»[٣].

وقال البكري: «فتفرّقت بطون بَجِيلة عن الحروب التى كانت بينهم، فصاروا متقطّعين فى قبائل العرب، مجاورين لهم فى بلادهم، فلحق عُظْمُ عُرينة بن قسر، ببنى جعفر بن كلاب بن ربيعة، وعمرو بن كلاب بن ربيعة

(١) معجم ما استعجم ١/ ٦٣.

(٢) معجم ما استعجم ١/ ٦٣.

(٣) معجم ما استعجم ١/ ٨٢.

بن عامر بن صعصعة. ولحقت قبيلتان من عُرينة: غانمٌ ومنقذٌ ابنا مالك بن هوازن بن عرينة بكلب بن وَبَرَة، وانضمّت مَوْهَبة بن الرّبعة بن هوازن بن عرينة إلى بنى سُليم بن منصور. ودخلت أبياتٌ من عُرينة فى بنى سعد بن زيد مناة بن تميم. وصارت بطون سحمة بن سعد بن عبد الله بن قداد بن ثعلبة بن معاوية بن زيد بن الغوث بن أنمار، ونصيب بن عبد الله بن قداد، فى بنى عامر بن صعصعة»[١].

وقال البكري: «قال هشام: حدّثنى الكلبيّ، عن معاوية بن عميرة بن مخوس بن معد يكرب، عن ابن عبّاس، قال فَقَأَ أنمارُ بن نزار بن معدّ بن عدنان عينَ أخيه مضر بن نزار، ثم هرب، فصار حيث تعلم؛ أي: انتسب في اليمن»[٢].

قول للعَوْتبي الصُّحاري (٥١١ هـ تقريبا):

قال العوتبي الصحاري: «قال أبو المنذر: لما هاجر ذو الكلاع سميفع بن ناكور، هاجر معه ثمانية آلاف عبد، فخلفوا بالشام معه فانتسبوا في حمير، ودخلوا في نسبه»[٣]، وذكر أن الأزد تغلّبت على نجران وأقامت بها سنين، ثم بدا لهم الارتحال، فبقي بعضهم ودخلوا في مذحج، قال: «وتخلّف عنهم

(١) معجم ما استعجم ١/ ٦٠، ٦١، وينظر: شرح المفضليات للأنباري ١١٦.

(٢) معجم ما استعجم ١/ ٥٨.

(٣) الأنساب ١٥٥، ١٥٦.

ربيعة وكعب ابنا الحارث بن أبي حارثة بن عمرو بن عامر، فأقاما هناك (أي في نجران)، ودخلا في بني عمرو بن عامر بن علة بن مذحج، فقالوا: بنو الحارث بن كعب بن عمرو بن عُلة بن مدجح»[١].

قول لنشوان بن سعيد الحميري (٥٧٣هـ)

قال نشوان الحميري: «والرِّباب: خمس قبائل تجمعوا وتحالفوا، وهم: ضَبَّةُ وثَوْرٌ وعُكْلٌ وعَدِيٌّ وتَيْمٌ»[٢].

*****

ومثل هذا كثير لا يكاد يحصى في كتب الأنساب المدوّنة، وأمّا لم تدونه المصادر فأكثر من هذا، ولا يعلمه إلا الله.

(١) الأنساب ٦٩٦.

(٢) شمس العلوم ٤/ ٢٣٤٦.

التداخل والأحلاف عند النسّابة المعاصرين:

وقال بمثل هذا من المعاصرين جماعة من المؤرخين والنسّابة الكبار، منهم حمد الجاسر وعاتق البلادي وجواد علي ومحمد حسين زيدان وعبدالرحمن العثيمين، ولم تخرِج عن هذا قبيلة حرب، فنرى في كتب النسّابة نصوصًا صريحة تشير إلى الحِلف والتداخل بين البطون، وعن نزول قبيلة حرب في الحجاز، قال الرحّالة المستشرق الألماني ماكس فون أُوبنهايم Max Freiherr von Oppenheim (ت ١٩٤٦م) في كتابه الكبير عن البدو في جزيرة العرب والعراق والأردن والحجاز: إنّ بني حرب «امتصّوا القبائل التي كانت موجودة في هذه المنطقة قبل ذلك»[١]، يريد أنّ تلك القبائل انضمّت إلى حرب ودخلت في حلفها وفي نسبها. وقال: «ويبدو أنّ جزءًا من خُزاعةَ اندمج في حرب»[٢]. وما ذهب إليه أُوبنهايم في دخول بعض خزاعة وغيرها في حرب وغيرها يوافق رأي كثير من النسّابة والباحثين المعاصرين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: المغيري اللامي وحمد الجاسر وعاتق البلادي ومبارك المعبّدي في بعض أقواله وعبدالمحسن بن طما الأسلمي، في عدد من كتبه، وقبلهم بقرنين محمد بن عبدالسلام الناصر الدرعي (ت ١٢٣٩هـ) في الرحلة الناصرية

---

(١) البدو الجزء الثاني: فلسطين سيناء الأردن الحجاز ٥٢٥.

(٢) البدو الجزء الثاني ٥٢٤

الكبرى[١]، وقال حمد الجاسر: «انتشرت قبيلة حرب في تلك البلاد وكثرت فروعها، وغلبت السكان المنتشرين هناك، بحيث دخل أغلبهم في القبيلة نفسها»[٢]، أي في قبيلة حرب، بدلالة الأمكنة والأسماء، وهما من أدلة الجاسر والبلادي، كما سيأتي.

وسأنقل في هذا البحث نصوصًا وأقوالا مهمة للعالمين الجليلين حمد الجاسر وعاتق البلادي، مما فيه إشارات صريحة لأحلافٍ متنوّعة، تفيد إفادة لا لبس فيها بتداخل القبائل، ودخول بطون وقبائل في قبيلة حرب، تزيدها ثباتًا وقوّة ورسوخًا، وقد اخترتهما لمكانتهما في هذا الفنّ، وأزيد زياداتٍ يسيرةً من أقوال بعض النسابة القدماء كالحسن الهمداني، وبعض الباحثين المعاصرين مثل ماكس أُوبنهايم ومحمد حسين زيدان وعبدالرحمن العثيمين ومبارك المعبّدي وغيرهم.

(١) أشار فيها إلى بعض القبائل الداخلة في حرب. انظر: الرحلة الناصرية الكبرى ٤٥١.

(٢) بلدة البرود ٣٨٥.

أولا: من أقوال العلامة حمد الجاسر (ت ١٤٢١هـ):

١- يرى الشيخ حمد الجاسر في تكوينات القبائل بعامّة أنّها لا تعود بالضرورة إلى أبٍ واحد، دون أن يدخلها حِلْفٌ أو وَلاء[1]، وهذا شأن العرب منذ الجاهلية، تدخل قبائل أو بطون في قبائل كبيرة مجاورة لأغراض متعددة. ولم يذهب الجاسر بعيدًا عمّا يراه المستشرق الفرنسي بلاشير Blachère وخلاصته أنّ القبيلة الكبيرة تعدّ مجموعَ أرهاطٍ وتفرّعات يجمعها اسم وزعيم قديم، وتستطيع مجموعة غريبة أن تندمج في قبيلة أقوى منها؛ لأسباب عدّة منها القحط والأوبئة والحروب[2].

٢- وذكر الجاسر في مقدّمته لتحقيق كتاب (تذكرة الألباب في أصول الأنساب) أنّ القبيلة الكبيرة لا تعود إلى جدّ واحد، وكان من منهجه أنّ الصِّلات بين فروع القبائل وأصولها العليا لا تقوم على أساس البُنُوّة، وإنّما على الحِلف الذي يَلحق به ما يلحق بالنّسب الصّريح، قال: «وقد أشرتُ في مقدّمة كتابي معجم قبائل

---

(١) مقدمة حمد الجاسر لتحقيق "تذكرة الألباب في أصول الأنساب" مجلة العرب س ١٥، ج٧ و٨ المحرم وصفر ١٤٠١هـ ص ٤٨٣، وينظر: عناية الشيخ حمد الجاسر بالأنساب لعايض الردادي ٢٦، ٢٧.

(٢) مقدمة حمد الجاسر لتحقيق "تذكرة الألباب في أصول الأنساب" مجلة العرب س ١٥، ج٧ و٨ المحرم وصفر ١٤٠١هـ ص ٤٨٣.

المملكة العربية السعودية إلى أني انتهيتُ في دراستي لأصول القبائل العربية إلى نتيجة لا يرضى بها كلُّ أحد، وألخّصها الآن بأنّ كثيرًا من الصلات بين فروع القبائل وأصولها لا تقوم على أساس البُنُوّة التي قد يحصل بها الحفاظ على نقاء النسب، بل قد تقوم على اعتبارات أخرى كالحِلْف والولاء بل حتى على الجوار في المنزل»[1]. وأقول: هذه النتيجة التي انتهى إليها الجاسر بعد طول اشتغال بالأنساب تأليفًا وتحقيقًا نتيجة صحيحة ودقيقة، فلا تجد قبيلة قديمة كبيرة، تشغل مساحة كبيرة، يعود كل من ينتسب إليها إلى جدّ واحد، هذا محال، وفي التحالف خير لهم، ومن شأنه أنْ يحقّق المآرب والمصالح ويقوم مقام النسب.

٣- للجاسر مقال في مجلة العرب تحت عنوان: (حرب قبيلة قحطانية الأصل امتزجت بها فروع قحطانية) ذكر فيه رواية الهمداني وسرد أكثرها سردا، ثم قال تحت عنوان (اختلاط أنساب القبائل) ما نصه: «لا شكّ أن قبيلة حرب انضوى معها ودخل بين أحيائها شعوب عدنانية ليس هذا مجال البحث فيها، بحيث أصبحت قبيلة حرب الآن تضم عددًا من الفروع من مختلف

---

(١) تذكرة الألباب في أصول الأنساب، مجلة العرب س ١٥ ج٧ و٨، المحرم وصفر ١٤٠١هـ ص ٤٨٣ نقلا عن بحث: عناية الشيخ حمد الجاسر بالأنساب للدكتور عايض الردادي ص ٢٦، ٢٧. وينظر: حمد الجاسر: جغرافي الجزيرة العربية ومؤرّخها النسابة، لأحمد العلاونة ٢٧.

القبائل بين عدنانية وقحطانية، كغيرها من كبريات القبائل مثل عتيبة ومطير، وغيرها باستثناء قبائل تعيش في بلاد منيعة ليست ممرا لهجرات القبائل الأخرى، كالقبائل التي تستوطن سراة الحجاز من الطائف جنوبًا إلى بلاد اليمن، فهذا لا تزال مستقرّة في بلادها لم تخالطها فروع أخرى إلا النادر اليسير»[١].

٤- وقال حمد الجاسر في نص يعد من أواخر ما كتب، في إجابته عن سؤال ورده من صالح البشري المزيني الحربي يسأل عن قبيلة حرب، فقال الجاسر عن أصل هذه القبيلة العريقة ومكوناتها: «الواقع أنه لا يوجد في قلب جزيرة العرب العرب قبيلة واحدة تنتمي إلى أصل واحد من الجذمين العظيمين قحطان وعدنان، وإنما خليط منهما، أما في بلاد اليمن خاصة، وبعض جوانب من سراة الحجاز الجنوبية، فتوجد قبائل صريحة النسب إلى قحطان، وقبيلة حرب قحطانية الأصل، فصّل نسبها الهمداني في الجزء الأول من كتابه "الإكليل"، وقد انتقلت إلى الحجاز منذ القرن الثاني الهجري، وانتشرت بين المدينتين الكريمتين مكة المكرمة والمدينة المنورة في القرن الثالث والرابع، انتشارا جعلها تستقرّ في بلاد يسكنها فروع ضعيفة عدنانية، من بقايا كنانة ومن مُزينة

---

(١) مجلة العرب ص ٥٥١ ج١، ٢ س ٢٥ رجب/ شعبان ١٤١٠هـ شباط/ آذار (فبراير/ مارس) ١٩٩٠هـ.

وبني سُليم، وفروع أخرى قحطانيّة قديمة، كأسلم من خزاعة، فاضطرّت هذه الفروع الضعيفة إلى أنْ تندمج في قبيلة حرب، وأن تنتسب إليها، وإن لم يكن أصلها قحطانيا. ثم كَثُرَت الفروع العدنانية والقحطانية التي دخلت في قبيلة حرب، فأصبحت كغيرها من القبائل أصلها قحطاني، ولكنها خليط من تلك الفروع. هذا ما لديّ، وعلم الأنساب بصفة عامة ليس من العلوم التي تقوم على أسس علمية، موضوع لها قواعد، وإنما هو ما تناقله الأحفاد عن الأجداد، والذاكرة غالبا خوّانة، والعواطف ذات تأثير في هذا المتوارث المتناقل»[1]، وقال الجاسر مثل هذا - أي دخول قبائل قحطانية وعدنانية في قبيلة حرب- في أحد مقالاته في جريدة المدينة[2]. وأقول: معلوم أنّ قبيلة أسلم من خزاعة كانت في القرون الثلاثة الأولى تسكن في نواحٍ واسعة من الحجاز، منها مَرّ الظَّهْران والغَمِيم والأَشْطاط وجُمْدان وقُدَيد

(١) وثيقة صالح البشري المزيني الحربي، مودعة بدارة الملك عبدالعزيز، برقم الوارد ١٩٨ وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤٣٨هـ كتبها الجاسر على مطبوعاته ووقع عليها وختمها بختم الدارة بتاريخ ٢٨/ ٢/ ١٤٢٠هـ وهي إجابة عن سؤال ورده خطيا من صالح البشري المزيني. وأول من أشار إليها في بحث الدكتور عبدالمحسن بن طما في كتابه: وادي حجر ١٤، (الطبعة الثالثة) ثم عبدالغني الرحيلي في كتابه: قبيلة حرب مذحجية ص ٤٠.

(٢) ينظر: جريدة المدينة (ملحق التراث) العدد ٨٣٠٨ بتاريخ ٢/ ٧/ ١٤١٠هـ ونقلت هذا عن مبارك المعبدي في كتابه: ملامح من تاريخ قبيلة حرب ١٦.

والحُجْفة ونَدَا والأَبْواء والعَرْج والمَضِيق، ولها ذكر في النّواحي الجنوبيّة والشّرقيّة لجبل آرَة والفُرْع، وتسكن أيضًا في يَيَن بنواحي المدينة، وقال الهمداني في منازل قريش وخزاعة في القرن الرابع: «ومكة أحوازها لقريش وخزاعة، ومنها مرّ الظّهران والتّنعيم والجعرانة وسرف وفخّ والغميم[١] وعسفان وقديد وهو لخزاعة والجحفة وخمّ إلى ما يتّصل بذلك من بلد جهينة ومحال بني حرب وقد ذكرناها»[٢]. وقبيلة أسلم التي في السائرة (وادي حجر) هم أسلم الخزاعية التي دعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم، دخلوا في حرب، قال البلادي: «أسلم قبيلة تسكن وادي حجر.... وأعتقد أنهم من خُزاعة انضمّت حلفًا إلى زبيد؛ لأنّ ديار أسلم الخزاعيين كانت قريبة من هنا»[٣]، وعن آرة قال البلادي: «وكانت أَسْلَم تحلّ نواحي آرة الشّرقيّة والجنوبية، ولا زالت قريبة منه»[٤]، يعني إلى اليوم بعد دخولها في قبيلة حرب، وسيأتي مثل هذا في أقوال البلادي المتكرّرة. وقال مُبارك المعبّدي: «بنو أَسْلَم من أقدم قبائل الحجاز، وقد اقتطع لهم النّبيُّ –صلى

(١) في الأصل: العُصْم، ورجّح الجاسر أنه الغميم.

(٢) صفة جزيرة العرب ٢٥٩.

(٣) نسب حرب ٦٤.

(٤) معجم معالم الحجاز ٧/ ٩٤.

الله عليه وسلم- قَطائع في وادي الفُرْع، ولهم في وادي حجر قُرى وعيون، هي جُلّ القرى القديمة بهذا الوادي، ولهم بقرية راين حِصن بني أسلم، وهم أسلم بن أَفْصَى بن حارثة بن عمرو بن عامر»[١]. ويشير عبدالحافظ القريقري الحربي إلى انحصارهم إلى وادي حجر[٢]. وتأمّل قول حمد الجاسر في النص السابق: (ثم كَثُرَت الفروع العدنانية والقحطانية التي دخلت في حرب) وقوله: (وفروع أخرى قحطانية) مما يدلّ على علم الشيخ الجاسر بما في قبيلة حرب من تحالفات، ومن منهجه أنّه يذكر بعضها تصريحًا ويشير إلى بعضها تلميحًا.

٥- وقال الجاسر: «أمّا قبيلة ضَمْرة، وهي من كنانة، فيظهر أنّها اندمجت في قبيلة حرب، فلا تُعرف الآن في هذه البلاد»[٣]. وأقول: اعتدّ الجاسر بالمكان وهو ديار حرب اليوم واعتدّ أيضًا باختفاء قبيلة ضَمْرة اليوم. ومن ديار ضَمْرة التي ذكرها البلدانيون: الصفراء ونواحيها وبدر ونواحيها ووادي يليل وودّان والأبواء وثافل وخبت الجميش وخبت البزواء والخرار وحسنا وغيقة

---

(١) ملامح من تاريخ قبيلة حرب ١٦٩، ١٧٠ الطبعة الأولى.

(٢) قديد وطريق الهجرة: دراسة تاريخية وجغرافية وأثرية ط ١٤٢٦هـ ص ٦.

(٣) الأماكن للحازمي ١/ ٩٠ تعليق في الحاشية، وينظر مجلة العرب ج٧، ٨ س محرم ٣١-محرم، صفر سنة ١٤١٧هـص ٤٣٦.

والسقيّا، وذات السُّلَيم، وهي ماء لبني صخر بن ضَمْرة قرب الجار، وقال البَكريّ في ذكر مياه ضَمْرة: كانت البُغَيبِغة وأذناب الصّفراء مياهًا لبني غفار من بني ضَمْرة. وقال: في رسم غَيْقة إنها ماء لبني غفار بن مُلَيل بن ضَمْرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة[1].

٦- وقال الجاسر عن قبيلة حرب: «دخلتها فروع من مُزينة وبني سُليم... كما دخل فيها فروع أخرى صغيرة من كنانة وخُزاعة وغيرهما»[2]. أقول: ومعلوم أنّ جزءًا كبيرًا من ديار كنانة العدنانية وخُزاعة القحطانية أصبحت اليوم من ديار حرب، والجاسر يعتدّ بالمكان عند اختفاء القبائل، كما ترى، فيستنتج ما يهديه إليه عقله، ولا ينتظر المصادر الغائبة أن تخبره بشيء من هذا، والبلادي مثله كما سيأتي.

٧- وقال الجاسر في حديث له عن قبيلة سليم: «وقد انحدر من فروعها الكبيرة إلى نجد بنو زِعْب قبل القرن العاشر الهجري... كما دخل كثير من فروع سُليم في قبيلة حرب»[3].

---

(١) معجم ما استعجم ٣/ ١٠١٠.

(٢) بلدة البرود ٤١٢.

(٣) جمهرة الأسر المتحضّرة في نجد ١/ ٣٦٦، ٣٦٧.

٨- وذكر الجاسر بني صَخْر في العلا، وذكر شيخهم، ثم قال: «ولا يزال في الحجاز من بقايا بني صَخْر فرع كبير...»[١]. وذكر الجاسر أنّ بني صَخْر بطن من الأوس من الأنصار[٢]، ولعله سهو منه، والصحيح أنّ بني صخر الواردين في المصادر القديمة من قبائل الخزرج وليسوا من الأوس، وقد ورد ذكر الأنصار في الرّوحاء والصّفراء وينبع في عدّة مصادر.

٩- وقال الجاسر في كتابه بلدة البرود: «انتشرت قبيلة حرب في تلك البلاد وكثرت فروعها، وغلبت السكان المنتشرين هناك، بحيث دخل أغلبهم في القبيلة نفسها»[٣]، ثم يبدو الجاسر في الظاهر وكأنه يناقض نفسه في الصفحة نفسها حيث يقول: «وليس صحيحا القول: إن أكثر حرب من العدنانية، وأنها غير منحدرة من سلالة واحدة، وهيب أقفوال درج عليها بعض الباحثين المتأخرين، فقالوا: هي مجموعة متحالفة، وقال بعضهم: هي من بني هلال بن عامر، وغير ذلك»[٤]، ويدفع هذا التعارض إلا أن يقال إنه يتحدث عن الأكثر، وأن الأكثر من حرب، والأقل هم

(١) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١/ ٤٣٩.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٣٨.
(٣) بلدة البرود ٣٨٥.
(٤) بلدة البرود ٣٨٥.

الأحلاف فيها، هكذا يُواءم بين النصين اللذين وردا في صفحة واحدة من كتابه، وأول النصين هو الأصح، ويؤيّده قول الجاسر في موضع آخر من هذا الكتاب: «ومن المعروف أن قبيلة حرب إنما انتشرت بين الحرمين، وكانت في حالة قوتها، اضطرّت أكثر فروع القبائل الصغيرة التي في هذه البلاد إلى الانضمام إليها، حلفا ومصاهرة وحماية، ولهذا دخلتها فروع من مزينة وبني سليم، وهما قبيلتان عدنانيتان صريحتا النسب، كما دخل فيها فروع أخرى صغيرة، من كنانة ومن خزاعة وغيرهما، مما لا داعي للتوسع في الكلام فيه. وهذا هو شأن القبائل القوية حين تنتشر وتسيطر على البلاد، فإن القبائل الضعيفة القليلة العدد تنضمّ إليها، كما هو الحال في أكثر قبائل نجد الآن، بحيث لا يجد الباحث قبيلة واحدة يجمعها أصل واحد في جدّ واحد، وإنما هي مجموعة أحلاف من قبائل ذات أصول متعددة»[١]، وسائر نصوص الجاسر التي أسردها في فقرات هذا البحث هي صريحة وقاطعة برأيه.

١٠- وقال الجاسر في تحقيقه للتّعليقات والنّوادر للهجريّ: «وبنو حرب من أثرى القبائل المعروفة الآن، منتشرة فيما بين المدينتين

---

١ البرود ٤١٢.

الكريمتين، وفي بلاد نجد، وقد دخلت فيها فروع تنتمي إلى قبائل أخرى ليست قحطانية الأصل، وتلك عادة كل قبيلة قوية يحالفها من هو أضعف منها ممن يجاورها من القبائل، ويختلط فيها»[1].

ولم يخبرنا الشيخ الجاسر عن تلك القبائل غير القحطانية، لكن أشهر القبائل العدنانية الواقعة على طريق القوافل بين المدينتين المقدّستين هي قبائل خزاعة ومنها أسلم، وقبائل كنانة ومنها ضمرة وغفار، وقبيلة مزينة العدنانية، بالإضافة إلى قريش التي نزل كثير من سادتها في تلك الأودية، بعد قيام دولة الإسلام في المدينة، وتملّكوا فيها وكوّنوا فيها كيانات وزعامات عشائرية، ولا يمكن إنكار بعض القرشيين وآل البيت ضمن مكونات قبيلة حرب، ولهم مصاهرات قديمة في حرب، ذكرها بعض المؤرخين.

١١- وقال الشيخ الجاسر في محاضرة له مصوّرة: «طسم وجديس والأمم البائدة لم تبد، ولكنها دخلت في أمم أخرى، وهذه عادة القبائل، إذ يعتورها ما يعتور المرء، من شباب وكهولة وقوّة وضعف، ثم بعد ذلك تنماع وتدخل في القبائل الأخرى، وليس معنى هذا أنها تفنى كلها عن أسرها». انتهى. قلت: فكل قبيلة اختفى اسمها،

---

(١) التعليقات والنوادر ٤/ ١٧٢٢ الإحالة ذات الرقم ٢.

ولم تذكر كتب التاريخ أنها هاجرت كلها، فالغالب أنها انضوت في غيرها، ممن حلّ في ديارها أو جاورها وزاحمها على مياهها ومراعيها وديارها، كانضواء أَسْلَم ومالك وضَمْرة وليث وغِفار ومُزينة في حرب.

١٢- ونقل أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري عن الشيخ حمد الجاسر كلامه في التداخل والأحلاف في القبائل الكبيرة، ونصّ كلامه: «عقّب الجاسر بقوله: الواقع أنّ كل قبيلة كبيرة من قبائل العرب في عهدنا الحاضر تتكون من فروع كثيرة، لا يجمعها جدّ واحد»[١].

١٣-ويقوم الحِلف مقام النسب في الواجبات والحقوق. يقول الجاسر عن الأسر المتحضّرة في نجد: «إنني اعتقد جازما أنّ كلّ أسرة نجدية، كانت تقيم في هذه البلاد قبل أن يتمّ الاتصال بالعالم الخارجي بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري.. كل أسرة ذات أصل عربي صحيح، إما بصلة نسب أو بحِلفٍ أو ولاء، وكل هذه الأمور تُبنى عليها صحّة النسب منذ أقدم العصور، ولكن كثيرًا من تلك الأسر جُهلت أصولها لأسباب كثيرة»[٢].

---

(١) الدواسر ٥١٠ ، دارة داود الظاهري، الرياض ١٤١٤هـ.

(٢) جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد ١/ ٤.

١٤-وألّف حمد الجاسر كتابًا في تداخل القبائل، سمّاه: (نظرات في اختلاط الأنساب وتداخلها) وأشار إليه في سوانح الذكريات[١]، وقال: لم ينشر. ويبدو أنّ الشيخ تردّد في نشره، إذ قال: «غير أنّي رأيتُ فتح هذا الباب قد يثير تساؤلات كثيرة، أنا في غنى عنها»[٢].

١٥-ولحمد الجاسر إشارات للتحالف القبلي متفرّقة في كتبه غير ما سبق، ذكرها في بعض فروع حرب الرئيسة[٣]، وله -أيضًا- نصوصٌ متفرّقة تنصّ على تحالفاتٍ في قبائل غير حرب ودخول بعضها في بعض[٤].

ثانيًا: من أقوال: مؤرخ الحجاز عاتق البلادي (ت ١٤٣١هـ):

١- لعاتق البلادي أقوال كثيرة صريحة في هذا الباب، متفرّقة في كتبه وبحوثه ومقالاته، ووقفت على بعضها، وقال البلادي في حديثه عن وادي كُليّة: «هذه المنطقة كانت تشترك فيها قبيلتا خُزاعة وكنانة»، إلى

---

(١) من سوانح الذكريات ٢/ ٦٩٦.

(٢) من سوانح الذكريات ٢/ ٩٧٤.

(٣) ينظر: معجم قبائل المملكة العربية السعودية ١/ ٢٦٥.

(٤) هي كثيرة في كتب الشيخ ومقالات، ورأيت منها على سبيل المصادفة وليس الاستقصاء إشارات في كتابه: معجم قبائل المملكة العربية السعودية ١/ ٥١، ٢٦٩.

أن قال عن قبيلة حرب: «ثم أخذت تتمدّد يَمنة ويَسرة، فاضمحلّت قبيلتا خُزاعة وكنانة بين الذوبان في قبيلة حرب والانكماش والتراجع أمامها»[١].

٢- وقال البلادي في حديثه عن وادي الصفراء: «وكان قديمًا لغِفارٍ من كنانة، ويبدو أنّ بني غِفارٍ انصهرت في حرب، وكثير من القبائل تفعلُ ذلك حِفاظًا على أوطانها وأملاكها»[٢]. قلت: ومن سكان وادي الصفراء في القرون الأولى قبائل من الأنصار، من الخزرج، أشار لهم جمع من البلدانيين والنسابة من لدن عرّام السلمي إلى عاتق البلادي نفسه، الذي نقل نصوصهم في كتابه معجم معالم الحجاز، والأنصار كغيرهم في سنن البقاء، و«القبائل تفعلُ ذلك حِفاظًا على أوطانها وأملاكها» كما قال البلادي، الذي يعتدّ بالقرائن عند شحّ المصادر وسكوتها، ومن القرائن التي يعتدّ بها البلادي: ديار القبيلة تاريخيا مع اندثارها في زماننا وحلول قبيلة أكبر في ديارها، دون ورود خبر بانتقالها أو فنائها، وهذا منهج صحيح في الاستنباط حين تسكت المصادر القديمة التي لا يعلم مصنّفوها عن تلك القبائل البدوية إلا القليل النادر.

---

(١) قلب الحجاز ٨٤.

(٢) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ١٧٧.

٣- وقال البلادي: «غير أنّ كنانة -كما تقدّم- لا زالت معروفة في حَلي ونواحيها. ثم حلّت ديارَها الشمالية –بين مر الظهران والصفراء- قبيلةُ حرب في القرن الثاني الهجري، فاندمجت بطون كثيرة في حرب، وذابت بقيّتها»[١].

٤- وقال البلادي في كتابه معالم مكة التاريخية والأثرية: في رسم (لفت): «وعليها طريق القوافل، ثم سَدّتها الرّمال فتحوّل الطريق عنها ولم تعد تُطرق، وكانت هذه المواضع من ديار خزاعة حتى القرن الثاني الهجري حين نزلت بنو حرب بن سعد بن سعد بن خولان[٢] هذه الديار فذابت بقايا خزاعة فيها، ولم يعد يعرف منها إلا سكان غرب مكة وجنوبها، فأصبحت هذه الديار من ديار حرب»[٣]. انتهى. فتأمل قوله: (فذابت بقايا خزاعة فيها) أي ذابت في حرب، ويرى

(١) معجم قبائل الحجاز ٤٤٧.

(٢) نسب البلادي حربًا في خولان نقلا عن الإكليل (مختصر الإكليل لابن نشوان الحميري)، على الرغم من أن قبيلة حرب لم تعرف هذا النسب الخولاني قبل ظهور الإكليل في القرن الماضي ولم يرد منه شيء في أشعارهم أو وثائقهم، وليس للخولانيين أي شهرة أو استفاضة في حرب لدى كبار السن الذين أدركناهم، وحتى القبائل القضاعية المجاورة لحرب، كجهينة وبلي، لايذكرون انتماء غيرهم لقضاعة في الحجاز باستثناء نَهْدٍ، التي لم يعد لها ذكر في الحجاز، لانصهارها في غيرها.

(٣) معالم مكة التاريخية والأثرية ص ١٦٨.

أُبنهايم مثل هذا الرأي، قال: «ويبدو أنّ جزءًا من خُزاعة اندمجوا في حرب»[١].

٥- وقال البلادي في رسم نَدا: «وادٍ يصبّ في مرٍّ من الشرق عند مُغَيْنِية، سُكاّنه البلادية، ومرّ هذا هو وادي رابغ»، ثم قال: «وكانت هذه بلاد خزاعة، وبقاياها اليوم في حرب»[٢]، ويؤيد هذا قول ياقوت: «ونَدَا: موضع في بلاد خزاعة»[٣].

٦- وقال البلادي: في كلامه عن غِفار بن مُلَيل، بعد أن ذكر منازلهم في وادي الصفراء: «ولم يبق لغفار اسم اليوم في الحجاز، ويظهر أنّها اندمجت في قبيلة حرب الخولانية عند حلولها أرض الحجاز، فلا زالت قرى بني غفار عامرة مسكونة ببطون من حرب»[٤]. وهنا رجّح البلادي اندماج غفار بدلالة المكان واختفاء القبيلة.

٧- وقال البلادي عن أسلم في كتابه نسب حرب: «أسلم قبيلة تسكن وادي حجر.... وأعتقد أنهم من خُزاعة انضمّت حلفًا إلى زبيد؛ لأنّ ديار أسلم الخزاعيين كانت قريبة من هنا»[٥]، ومرة أخرى يعتدّ

(١) البدو الجزء الثاني فلسطين، سيناء، الأردن، الحجاز ٥٢٥.

(٢) معجم معالم الحجاز ٩/ ٥٠.

(٣) معجم البلدان ٥/ ٢٧٩.

(٤) معجم قبائل الحجاز ٣٨٥.

(٥) نسب حرب ٦٤.

البلادي بالمكان، ويذكر رأيه بناء على قرينة دون مصدر، فيقبل ما يراه عقله، وهذا منهج صحيح، حين تشحّ المصادر، وشحّها أكثر من عطائها، فإنّ ما لم يدوّن من تاريخ القبائل أضعاف أضعاف مادوّن، ومعلوم أنّ عناية المؤرخين الذين تناولوا الحجاز كانت منصبّة على المدينتين المقدّستين مكة والمدينة، ورأينا فيما سبق قول البلادي: «لم يُدوّن من تاريخنا إلا ما وجدناه في المراجع التي ما كان مؤلّفوها يستطيعون أنْ يتجاوزوا حدود الحرم»[١].

٨- وقال: «توجد الآن قبائلُ في حرب باسمها القديم، مثل أَسْلَم ومُزينة...»[٢]، وذكر غيرهما من القبائل في هذا النص.

٩- وقال: «أَسْلَم بن أفْصَى: بطن من خزاعة، وهم بنو أَسْلَم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر... وهم اليوم بطن من زبيد من حرب، يسكنون شرق رابغ؛ وفي بعض كتب النسب: هم أخوة خُزاعة»[٣].
وهذا نصّ صريح من البلادي رحمه الله.

١٠- ورأينا فيما سبق تكرر أقوال البلادي وقبله الجاسر بدخول أسلم الخزاعية في قبيلة حرب، وهي في ثبوت دخولها كمزينة، وقد دعا

(١) نهاية الدرب في نسب حرب ١٠.
(٢) قلب الحجاز ٨٤ الحاشية ذات الرقم ٤.
(٣) معجم قبائل الحجاز ١٩.

الرسول صلى الله عليه وسلّم لأسلم، رهط ثويبة الأسلمية[١] التي أرضعته مع ابنها مسروح قبل أن تأخذه حليمة السعدية، فبنو أسلم أخواله بالرضاعة وكذلك بنو النجّار أخوال جدّه عبدالمطلب، وهما من فروع قبيلة حرب اليوم.

١١- وقال البلادي: «أسلم: بطن من زُبيد من مسروح من حرب، يسكن وادي حجر (السائرة)، وربما هم أسلم الخزاعيّون؛ لأن هذه ديارهم القديمة. ومن فروع أسلم: المناقيش والحوايصة وريّان»[٢]، وقال عن ديار خزاعة التي منها أسلم: «كانت لهم من المواضع: مرّ الظهران وعُسفان وخُليص وقُديد والجُحفة والسائرة (حجر الآن) وشطر من الأبواء»[٣]، فأقول: تأمّل كيف اعتدّ البلادي بعنصري المكان واسم القبيلة في حكمه على أَسْلَم الحربية بأنّها أسلم الخزاعيّة، دخلت في حرب، فلماذا يغضب بعضهم حين يقال: إنّ في قبيلة حرب قبائل دخلت فيها غير مزينة؟ وما الفرق بين مزينة وحلفائها من الأوس والخزرج؟ وما الفرق بين مزينة وأسلم وغِفار؟ فإن كان بعضهم لا يقبل إلا بنصٍّ قديمٍ صريح فأين النصوص القديمة التي تقول بدخول

(١) ينظر: عيون الأثر ١/ ٤٠، و٢/ ٣٦١، والمختصر الكبير في سيرة الرسول ٢٣، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ١/ ٢٢٢، وسمط النجوم العوالي ١/ ٣١٠.

(٢) معجم قبائل الحجاز ١٨، ١٩.

(٣) معجم قبائل الحجاز ١٣٧.

مزينة وأسلم وغفار في قبيلة حرب؟ وكيف قال الجاسر والبلادي بدخول قبائل كأسلم وغفار وبطون من خزاعة وكنانة دون نصّ من مصدر قبلهما؟ إن المؤرخ حين يفقد النصوص لا يفقد عقله، ولا يعجزه التماس القرائن. هذا بعضٌ من منهج الجاسر والبلادي، في التأصيل، وأرى مثله في قبائل الأوس والخزرج دخلت في قبيلة حرب، فهم بأسمائهم في حرب وفي ديارهم إلى اليوم أو قريب منها، وتأمل أسماء بعض قبائل الأنصار: كبني عوف وبني عمرو وبني النجّار وبني سالم وبني الحبلى، وبني سلِمة، وبني ساعدة، وبني صخر، وبني علاء، وغيرهم[1]، فهناك أسماء تقابلها في حرب، والديار هي الديار، فأين ذهبت تلك القبائل؟ هل بادت أو دخلت في قبيلة حرب كما دخلت مزينة وأسلم وغفار، وسأوجز قرائن الجاسر والبلادي في النتائج إن شاء الله.

١٢- وقال البلادي: «الشيوخ: بطن صغير في أمّ الجِرْم بغُران، يقال لهم: المصابيح، وهم حلفاء الصحاف من زبيد من مسروح من حرب، والشيوخ –عموما- يدّعون أنّهم من الأنصار»[2].

(١) وفيما يخصّ قبيلة الرحلة ينظر تفصيلات مهمة في كتاب الدكتور عبدالغني الرحيلي: (قبيلة حرب مذحجية وليست خولانية).

(٢) معجم قبائل الحجاز ٢٥٥.

١٣-وقال البلادي: «والشّيوخ: بطن في ساية وفي خليص وحجر ودَوْقة والطائف... وكل هذه المسمّيات ترجع إلى أصل واحد، هم الأنصار، حسب أقوال كبارهم»[١]. قلت: وقد نرى من يقول بهاشميّتهم وقرشيّتهم.

١٤-وقال البلادي: «المَوازين: حيّ من الشيوخ في وادي ستارة، قريتهم هناك الغُزيلة تصغير غزالة، يقولون: إنهم يعودون بأصلهم إلى المصابيح سكّان أم الجِرْم في غُران، وأنهم من الأنصار»[٢].

١٥-وقال البلادي: «الطُّمَح: بطن من بني السفر من مسروح من حرب، يسكن كليّة ورابغ، ويدّعون أنّ لهم نسبًا في الأنصار»[٣].

١٦-وذكر البلادي في كلامه عن المشاييخ من زبيد اليمن من حرب القاطنين في نواحي المظيلف أنهم من الأنصار[٤].

١٧-وقال البلادي وهو يذكر فروع زُبيد اليمن من حرب القاطنين في نواحي المظيلف ودونه ما نصه: «إنّ بني عيسى قبيلة معدودة في حرب، وهم ينتسبون إلى بني سالم من حرب...» ثم قال البلادي: «ولا أدري لمَ تبادر إلى ذهني وأنا أزور ديارهم أنهم بقايا بني أسد الذين

---

(١) معجم قبائل الحجاز ٢٥٥.

(٢) معجم قبائل الحجاز ٥١٦.

(٣) معجم قبائل الحجاز ٢٨٤.

(٤) بين مكة واليمن٩٨، وانظر: ص ١٤٢.

عناهم كُثيّر عندما رثى صديقه خندقًا؟ وإنها كعادة القبائل انضمت إلى كنانة أيام عنفوان كنانة، ثم لما ضعفت كنانة انضمت إلى حرب هذه»[١]، وتأمل قوله (كعادة القبائل) فهو يرى أنّ انضمام القبيلة الصغيرة إلى قبيلة أكبر (عادةٌ قبلية) مألوفة تقتضيها الظروف القاسية للحياة، وما قال البلادي إلا حَقًّا، فهذا هو المألوف منذ العصر الجاهلي إلى قُبيل عهد الملك عبدالعزيز موحّد البلاد السّعودية المباركة وباني مجدها.

١٨-ونقل البلادي عن الهمداني أن قبيلة حرب قبيلة خولانية قحطانية، تركت ديارها في اليمن إثر حروب بينهم وبين الربيعة بن سعد في مطلع القرن الثاني، ثم قال: «فساروا حتى نزلوا الحجاز، حول الفُرْع والصفراء، فجالدوا مُزينة وسُليمًا وعنزة حتى سيطروا على ما بين مكة والمدينة، فاندمجت مُزينة وقبائل من سليم وكنانة وعنزة في قبيلة حرب»[٢].

١٩-وقال البلادي وهو يعدّد فروع زبيد اليمن من حرب القاطنين في نواحي المظيلف: «الكوامل: واحدهم كاملي، ولعلّ هؤلاء من كوامل البلاديّة؛ لأنّه لا يُعرف اسم الكوامل في زبيد، وهؤلاء يقال لهم

(١) بين مكة واليمن ٩٥.

(٢) الرحلة النجدية ٢٠

(جِرّكامل) أي ذِرّ أو نسل كامل، وهذه لفظة لا تُعرف عند حرب، فلعلّهم أيضًا من بقايا كنانة انضمّوا إلى زُبيد عند ضعف كنانة»[١].

٢٠- وقال البلادي: «إن القبيلة قد تتزحزح عن ديارها نتيجة الحرب، بينما تتشبث بعض الفروع بأرضها فتبقى فيها، وهذا مشاهد كثيرا في جزيرة العرب، وإنّ بعض الفروع تنضم إلى قبائل قوية مع بقائها في أرضها، وعلى تلك [القبيلة] القوية حمايتها، وهذا حدث كثيرًا في القبائل التي شاخت ككنانة ومَذْحِج»[٢]، وأقول: أمّا مَذْحِج فنواة قبيلة حرب، وقد انتهيت إلى هذا في غير البحث[٣].

٢١- وقال البلادي: «إنّ القبيلة العربية لا تندثر، وقلّما تغادر ديارها بأجمعها، غير أن الظروف وطول الزمن يُدخل على تشكيلها القبلي تغييرات، فقد يحدث بين بطونها نزاع فتلحق كل قبيلة بقبيلة مجاورة قوية، مثل ما حدث مع بجيلة وعدوان، وقد تندمج في قبيلة أخرى...»[٤]، وذكر أمثلة لبعض القبائل التي انضوت في غيرها فاختفت أسماؤها من الوجود، أو بقي منها بقايا بأسمائها في القبيلة

(١) بين مكة واليمن ٩٧.

(٢) بين مكة واليمن ٣٢٤.

(٣) لم ينشر بعد.

(٤) بين مكة وحضرموت ٦٨.

الجديدة، وبهذا ونحوه يستدل البلادي -وقبله الجاسر- على دخول قبائل في قبائل، واستدلالهما صحيح.

٢٢-وهناك قبائل أخرى وبطون كثيرة أشار البلادي إلى دخلوهم في قبيلة حرب، أو دخولهم في قبائل غير حرب، أو هم من غير قبيلة حرب ودخلوا في قبائل غير حرب، ونحو هذا من الإشارات المهمّة التي تؤيّد مبدأ الحلف عند العرب وتداخل قبائلهم مع طول الوقت للظروف القاسية التي تفرضها عليهم الحياة في بعض الأزمان، ولكثرة النصوص أكتفي بالإحالة على ما جاء في كتاب البلادي معجم قبائل الحجاز، ويمكن الرجوع إليه وتأمل أقواله وإشاراته في كتابه معجم قبائل الحجاز[1].

٢٣-وأضيف إلى ما سبق من أقوال الجاسر والبلادي ما نقرؤُهُ من نصوص في عدد من المصادر القديمة التي ترفع نسب زُبيدٍ الحربية إلى

---

(١) ينظر ص ٢٣، ١٣٨، ١٥٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٨، ٣٧، ٧٠، ٧٧، ٨٨، ٨٩، ١١٨، ١٢٩، ٢١٠، ٢١٠، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢٤٨، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٦٥، ٣٠٤، ٣١٢، ٣١٥، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٣٣، ٣٣٧، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٦١، ٣٦٥، ٣٦٩، ٣٨١، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٥، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣١، ٤٣١، ٤٥٤، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٦، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٦، ٤٨٦، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠٤، ٥٠٦، ٥١٩، ٥٣٢، ٥٦٦، ٥٦٧. وينظر كتابه: بين مكة واليمن ص ٧٣، وص٢٠٣ في كلامة عن الخيرة، والأحلاف، وص ٢٠٤، وص ٢٠٥ عند كلامه عن بني هلال، وص ٢٠٦ عند كلامه عن كنانة، وص ٢٣٦ عند ذكره المشاييخ في الشقيق.

مذحج[1]، وهي قبيلة كبيرة في حرب اليوم، فندرك من هذا كله أنّ القول بخولانية حرب عامّة قول ضعيف، لا ينبني على أسس علمية وتاريخية، وأنّ الخولانية تنحصر في طائفة قليلة جاءت من اليمن سنة ١٣١هـ، ثم عاد بعضهم إلى اليمن، كما ذكرت بعض المصادر، ومنها مختصر الإكليل نفسه، ودخل من بقي من الخولانيين في حِلف زبيد وإخوتهم حرب بن سعد بن منبّه، من سعد العشيرة المذحجية، لحاجة الخولانيين لذلك الحلف الذي يعطيهم الحق في الاستقرار في الحجاز بعد أن أُجبروا على الجلاء عن ديارهم باليمن، على رواية الهمداني، فتكوّنت نواة قبيلة حرب الكبيرة التي سيطرت على الساحل في البداية ثم تمدّدت وسيطرت على منطقة واسعة في الحجاز منذ القرن الرابع، واستقطبت قبائلَ عريقةً أخرى دخلت فيها، كمزينة وغيرها، وقد أشارت المصادر المعتبرة إلى أنّ بني حرب الحجاز من مذحج، خلافًا لقول الهمداني الذي يتكلم عن الخولانيين وحدهم وسنة نزوحهم إلى الحجاز، وبهذا يمكن التوفيق بين الروايات المتعارضة في ظاهرها.

---

(١) ينظر: نشوة الطرب لابن سعيد ٢٤١، ٣٧٢، ٣٧٣، وتاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٨٦، و٦/ ٨، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي ٧/ ٣٠٧، ومنائح الكرم للسنجاري ٣/ ٢٢، ٢٣.

أقوال أخرى لباحثين غير الجاسر والبلادي:

١- ذكرت فيما سبق عند الحديث عن التداخل والتحالف في القبائل العربية القديمة مما جاء في أقوال النسّابة المتقدمين قولين مهمين للهمداني يتصلان بقبيلة حرب، أذكر أحدهما هنا، وهو إشارته إلى اختلاط بين بني حرب الخولانية وبعض بني كامل بن الربيعة بن سعد، فروى الهمداني عن بعض وَضَعَة السجلّ ونُسّاب الهميسع وهو يذكر أنساب خولان العالية أنّ «عفرت والجابر وكُبيّ وخفاجة فإنهم من ولد كامل بن الربيعة، منهم بالمدينة مع بني حرب، وأكثرهم ممن خرج مع خالد بن قيس، سيّد بني حيّ إلى مصر»[1]. قلت: ولد كامل بن الربيعة ليسوا من حرب، فدخل بعضهم فيها، كما يقول هذا النصّ، ولعلّهم أوّل من دخل في الفرع الخولاني من حرب، فمن يعلم نسلهم اليوم ويميّزهم من بني حرب؟ وما نسبتهم فيها؟ ليس لأحد أن يعلم ذلك، وحسبنا من هذا النص المهمّ الذي لم يتوقّف عنده أحد أنْ نعلم أنّ بعض الخولانيين الذين قدموا إلى الحجاز لم يكونوا من نسل حرب بن سعد بن سعد بن خولان، وهذا يؤيد مبدأ التداخل في حرب وغيرها، وأنه قديم فيها.

---

(١) الإكليل ١/ ٣٥٦.

٢- ويشير فؤاد حمزة إلى ضياع قسم من تاريخ القبائل: «ومع شدّة عناية العرب بالمحافظة على أنسابها والتمسّك بأحسابها ومراعاتها لتسلسل فروعها وأقسامها، فإنه من الصعوبة بمكان عظيم أن يتمكّن الباحث من الوقوف على أصول جميع القبائل العربية الموجودة في الوقت الحاضر بسبب ضياع قسم غير قليل مما كتبه الأقدمون عن الأنساب، وفقدان حلقات عديدة من سلسلة الأنساب في الأعصر المتوسطة أيام ضعف الدول العربية واختلاف أمرائها وقبائلها، ومن الواضح أنه حصلت خلال تلك الحقب هجرات قبائلية متعددة حلّت فيها الواحدة محل الأخرى أو غلبتها على أمرها وأجلتها عن ديارها وشرّدتها بين القبائل فنسيها الناس وجهلوها. ومن أجل ذلك فإننا لم نحاول في كتابنا هذا أن نرد الفروع إلى أصولها القديمة إلا في المواضع التي تثبتنا من صحتها، وتركنا تحقيق ما عدا ذلك إلى محبي البحث والتنقيب، واكتفينا بما هو موجود في زماننا هذا من الفروع فسردناها بأسمائها المشتهرة بها، ومما تجب الإشارة إليه أننا شاهدنا بعض حالات تنحدر فيها فروع القبيلة من أصول

مختلفة بعيد بعضها عن بعض، وقد نشأ ذلك على ما نعتقد عن تحالف الفروع في زمن مضى لا نستطيع تعيينه»[١].

٣- وممن تابع البلادي وقال بالتداخل والتحالف في بعض القبائل ومنها قبيلة حرب الدكتور فايز البدراني، إذ قال: «إنّ قبيلة حرب المعاصرة والمكونة من قبائل كثيرة منها ما يدخل في القبيلة الأمّ بالنسب الصريح، ومنها ما دخل في القبيلة بالحِلف، واندمج ليكون قبيلة واحدة، هي قبيلة حرب»[٢]، وقال عن قبيلةٍ غير حرب إنّها: «لا تخلو من بعض القبائل المتحالفة، وهي بذلك تشبه غيرها من القبائل كحرب والدواسر ومطير التي فيها القحطاني والعدناني»[٣]. ويضاف إلى هذا ما جاء في بعض الوثائق الأهلية، وكم فيها من إشارات صريحة أو خفية لتحالفات مختلفة، على عادة العرب في عقد الأحلاف بناء على المصالح وحماية الديار منذ العصر الجاهلي.

٤- ورأيت رأيًا آخر للدكتور فائز البدراني، غير قوليه السابقين، قال فيه: «إن حربًا قحطانية الأصل، باستثناء قبيلة أو قبيلتين فقط من القبائل الحجازية القديمة التي كانت في الحجاز العهد

---

(١) قلب جزيرة العرب ١٢٣.

(٢) فصول من تاريخ قبيلة حرب ١٢٨.

(٣) تعريفات وإشارات (قراءة سريعة لبعض الإصدارات المعاصرة في التاريخ) ٦٦.

النبوي، وتشرفت بنصرة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- وبرز منها قادة وصحابة وفاتحين أجلّاء»[١]. وهنا يبدو صاحب هذا النصّ متردّدًا، فلا يدري أهي قبيلة أو قبيلتان، فأعطانا احتمالين لنختار أحدهما، فإن كنا نعرف القبيلة –وهي مزينة- فما القبيلة الأخرى التي تشرّفت بنصرة الرسول –صلى الله علبيه وسلّم؟ هل هي من خُزاعة أو من كنانة أو من قريش أو من قبائل الأوس والخزرج؟

٥- وقال د. مبارك المعبّدي: «وهناك قبيلة الشيوخ الذين يسكنون في قرى بني سُليم في وادي ساية، ولقد زرت تلك القرى، فوجدت الشيوخ يسكنون في قرية الغَرِيف والرُّمَيضة والعُوَيصد والكامل، وقال لي أحد رجال بني سُليم: إنّ هؤلاء الشيوخ يسكنون هذه القرى منذ زمن قديم، وإنّ أصلهم من بقايا الأنصار القدامى في المدينة المنورة، وقد سكنوا مع بني سليم وصاهروا عشائرهم. وقال أحد أبنائهم: إنّ من فروعهم ذوي حبوش وذوي فهد وذوي عائشة. وقبيلة الشيوخ منتشرة بكثرة في معظم منطقة الحجاز مع قبيلة حرب»[٢]. وقال: «وكثيرًا ما يُطلق على الشيوخ لقب

---

(١) الحرب على يقولون ٢/ ٣٤٨.

(٢) ملامح من تاريخ قبيلة حرب: زبيد في الحجاز ١٧٠.

الأنصار، فهناك من يكتب الشيخ، وهناك من يكتب الأنصاري، وفي الحقيقة أنّ قبيلة الشيوخ تحتاج إلى مؤلَّف مستقلّ، مثل قبائل الأشراف، لكثرة عددها وتواجدها في أماكن كثيرة متفرقة في المملكة العربية السعودية أو في بلادة الشام أو في اليمن، ولقد ذكر الأستاذ حمد الجاسر أنّ بعضًا من الشيوخ حلفاء لبني زبيد من حرب، وهؤلاء يسكنون في وادي خُليص وغُران وحَجر وأم الجِرْم وغيرها، أمّا شيوخ البَرْزة فهم حلفاء بني عمرو، بصفة عامة، وحلفاء قبيلة مُعبّد بصفة خاصّة»[١]. قلت: وثمّة فروع وأسر تنتمي لقبيلة حرب الحجازية، يعرفون انتماءهم لقريش عامّة ولآل البيت خاصّة، وذكروا أنّ لديهم مشجراتٍ بذلك رأيتُ بعضها، أو لديهم شهرة واستفاضة، وليس هذا البحث الوجيز مكانًا لبسط القول في تلك الفروع.

٦- وقال حمود بن محمد القَصِيري المزيني الحربي: «تحالفت مزينة في العصور الجاهلية مع قبائل أخرى في وقت المطاحنات والغزوات لأهداف وقتيّة أو جوار مستمرّ»[٢]، ثم يشير إلى تحالف مزينة وبني سالم في قبيلة حرب، ويقول: «أحدث هذا التكتّل السالمي

(١) ملامح من تاريخ قبيلة حرب: زبيد في الحجاز ١٧٠، ١٧١

(٢) عشيرة القصيرين المزنية الحربية ١٧٣.

الكبير، وليس المراوحة كما ذكر البلادي، مسمى القبائل السالمية الموحدة في نجد والمدينة المنورة بعد أن كان الوضع في المدينة والحجاز يوحي بتفرّد بعض بطون بني سالم وتحالفات بعضهم مع بعض أو مع بطون أخرى غير بني سالم تحالفات قوّة ونُصرة»[١]، ثم يقول: «فكان المزني يسجّل اسمه: المزيني السالمي الحربي، لظروف الأحداث والتاريخ، وقد استمرت هذه التسمية إلى الآن في أهل نجد بالذّات»[٢]. وقس على ذلك بقية القبائل التي دخلت في حرب.

٧- ومن المعاصرين الذين لهم عناية بالأنساب الأديب المؤرّخ النسّابة محمد حسين زيدان، قال في حفل تكريمه في اثنينية عبدالمقصود خوجه: «وبعض قبائل العرب تغيّرت أسماؤها، ودخلت قبائل في قبائل، من الضغط الذي حُمّلوه من الأمويين والعباسيين... فأين أشجع وأين محارب وبنو عامر... كلها انضمّت إلى بعضها»[٣].

---

(١) عشيرة القصيرين ١٧٧.

(٢) عشيرة القصيرين ١٧٧، ١٧٨.

(٣) حفل تكريم الاثنينية للأستاذ محمد حسين زيدان، اثنينية ٥، بتاريخ ١٥/٠٥/١٤٠٣هـ الموافق ٢٨/٠٢/١٩٨٣م. وهي مرفوعة على اليوتيوب.

٨- ومن المعاصرين أيضا الدكتور عبدالرحمن العثيمين، وله قول صريح في تداخل القبائل، ذكره في مقابلة تلفزيونية في برنامج سيرة أدبية، قال: «معرفة أصول القبائل العربية والإلمام بها وضبطها وإتقانها.. لا يوجد على وجه الأرض من يحسن هذا أبدا أبدا لا أنا ولا غيري.. ولا الجاسر.. لا يوجد على وجه الأرض من يحسن معرفة الأنساب (أي يتقنها إتقانًا تامًّا مطابقًا للواقع) ومن ادّعى معرفة النسب فلا تصدقه». ويواصل العثيمين قوله: «والنسب منذ الجاهلية ثلاثة أقسام: نسب أصالة، ونسب ولاء، ونسب حلف... قبيلة عربية ضعيفة تحالف قبيلة أكبر منها، كقريشٍ، فتُسمّى قريشًا... والحليف كالأصيل عندهم، له ما لهم وعليه ما عليهم، وبالولاء يكون من مواليهم، مملوكا، ومولى القوم منهم، ويأخذ اسمهم، ومع مرور العصور تتداخل القبائل فلا نعرف الأصيل من الحليف، وهكذا يقال عن سائر القبائل، والتفرقة بين الأقسام الثلاثة صعبة جدا جدا، فمع مرور الزمن يتداخل الحليف والأصيل، هذا هو القسم الأول ومعرفته صعبة، ولا يستطيع الإلمام به بشر، أبدًا، ولا يوجد أحدٌ اليوم يضبط الأنساب، وحتى من يوصف بالضبط فإنّ ضبطه لا يتجاوز ١٠٪

والباقي كلام لا يثبت»[١]، انتهى قوله رحمه الله، وكلامه صحيح في جملته، فما في كتب الأنساب القديمة والحديثة لا يطابق الواقع تمام المطابقة فإما فيه نقص مخل أو فيه زيادة لا تصح أو فيه اختلاف واضطراب، وأما النسبة التي ذكره فمحلّ نظر، وهي تقديره الخاص.

٩- ويقول الدكتور سعد الصويّان: «القبيلة ليست أبناء رجل واحد، والدليل على ذلك أنّه خلال العصور القبائل تتفكّك ثم يُعاد تشكيلها في قبائل أخرى بمسمّى جديد»[٢]. وذكر أمثلة لقبائل مشهورة.

١٠- وأختم هذا البحث بالإشارة إلى بني ليث بن بكر، فقد ذكر البكري أنّ من ديارهم تِعْهِن، وقال: «وتِعْهِن وذو الرّيّان وأمجّ: مياه لبنى ليث بن بكر؛ وتِعْهِن: بين القاحة والسّقيا»[٣]، ولهم منازل في مَرّ الظهران والكديد بين أمج وغران، ولهم منازل في جبال الشَّرَى، قال البكري نقلا عن السُّكُوني: «شَراء: جبل

---

(١) من مقابلة مع الدكتور عبدالرحمن العثيمين في برنامج سيرة أدبية مع الدكتور عبدالعزيز القرشي، الحلقة الأخيرة، وقد فرّغت نصه وحافظت عليه، وحررت بعض الجمل بما لا يخل بالمعنى الذي أراده.

(٢) من مقابلة تلفزيونية.

(٣) معجم ما استعجم ١/ ٣١٥.

مرتفع شامخ، يلي هرشى، لبني ليث وبني ظفر، من بني سليم، وهو دون عسفان، من عن يسارها، وفيه عقبة تذهب إلى ناحية الحجاز، لمن سلك من عسفان، يقال لها الخَريطة، مرتفعة جدّا، وهي جَلَدٌ صَلْدٌ لا تُنبِتُ شيئا. فأمّا شَراء فإنّه يُنبت التَّبْعَ والشَّوْحَطَ والقَرَظ. ثم تطلُع من شَراء على ساية، وهو وادٍ بين حاميتين، هما حرّتان سوداوان، به قرى كثيرة، سكّانها من أفناء الناس، ومياهها عيون تجري تحت الأرض»[١]، وذكر البكريُّ – أيضا- أنّ بني ليثٍ يشاركون الأنصار وجهينة في ينبع[٢]، ولا أستبعد دخولهم في قبيلة حرب.

ويمكن القول بناء على ما ذكره الجاسر والبلادي وبناء على القرائن التي اعتمداها وبناء على ما سمعناه من بعض أفراد حرب وبناء على ما كتبه بعض باحثيهم: إن من تلك القبائل التي دخلت في قبيلة حرب أو دخل بعضها على الأقل: بنو عوف من الأوس، وبنو سالم وبنو ساعدة وبنو الحارث وبنو الحُبلَى وبنو سَلِمة وفروع من بني النجّار وغيرهم من الخزرج، وفروع من

(١) معجم ما استعجم ٢/ ٧٨٦، ٧٨٧.

(٢) معجم ما استعجم ٢/ ٦٥٦، وينظر كتاب قبيلة الزبالي في الجاهلية والإسلام للأستاذ بدر الزبالي، الطبعة الثانية، دار اللؤلؤة ص٣٧.

خزاعة، كأَسْلَم ومالك، وفروع من كِنانة، كبني غِفار من بني ضَمْرَة.

وأودّ أن أشير هنا إلى أنّ أساسَ هذا البحث الذي بين يدينا هو الأحلاف في القبائل منذ العصر الجاهلي، وأنني لا أتحدّث عن المسألة الأنصارية، أي دخول قبائل من الأوس والخزرج في حرب، فهذه مسألة كبيرة وشائكة، تحتاج إلى بسط، وسأكتب فيها بحثًا مستقلًا إن شاء الله.

الخاتمة وأبرز النتائج

بعد هذا التطواف مع نصوص المؤرخين والنسّأبة المتقدّمين والمتأخرين، وشهاداتهم الصريحة بانضواء قبائل في قبائل، يمكن القول: إن ظاهرة الأحلاف في القبائل العربية قديمة قِدَم التجمّعات البشرية في جزيرة العرب، وإنّه ليس في قبائل العرب قبيلة كبيرة تشغل حيّزا كبيرًا إلا وفيها مكوّنات مختلفة وأحلاف انضوت إليها في أزمان مختلفة، طلبًا للحماية والمشاركة في الديار، وإنّ أغلب القبائل الكبيرة لا يعود جميع أفرادها إلى جدّ واحد، ولكنهم ينظرون إلى اسم قبيلتهم نظرة الحفيد إلى الجدّ البعيد الذي تحوطه هالة من التبجيل والتقدير والاعتزاز به، ولذا قال النسّابة إنّ الحلف يرقى إلى درجة النسب في الحقوق والواجبات عند العرب.

ومن الأدلة القطعية على وجود الأحلاف القديمة في القبائل الكبيرة وأنها لا تعود إلى جد واحد تباينُ النتائج لتحليل الحمض النووي DNA. وهذا يثبت صدق النسّابة الذين أشاروا إلى الأحلاف.

ومن أبرز النتائج

أ- أنّ من عادة العرب منذ عصورهم القديمة عقد الأحلاف بين قبائلهم المتجاورة أو المتداخلة بما يحقّق لهم المصالح ويحمي الأرواح

والديار والممتلكات، فتنضوي الأفناء أو البطون أو القبائل الصغيرة في القبائل الأكبر، وتتبنى نسبها الجديد، وتنسى مع طول الزمان وتعاقب القرون نسبها القديم، ورأينا في ذلك نصوصًا للنسابة المتقدمين كهشام الكلبي ومصعب الزبيري والبلاذُري والقاسم الأنباري والهمداني والوزير المغربي والعوتبي الصحاري والبكري وابن حزم وابن عبدالبر النمري وابن ماكولا، ونصوص للنسابة المتأخرين كالجاسر والبلادي ونصوص لباحثين كبار كجواد علي وأُوبنهايم وبلاشير.

ب- أنّ القبائل تعيد التكوين والتشكُّل بحسب ما تتطلبه الأحداث والظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بها، وهذا شأنهم منذ العصر الجاهلي، ولذا اختفت قبائل وظهرت مسمّيات جديدة لم تكن معروفة من قبل، ولم تفنَ القبائلُ المختفية ولم تغادر أراضيها، ولكنها دخلت في مسمّى أو حِلف جديد يحقّق مصالحها، وقد عادت بعض القبائل والأسر التي شاركت في الفتوحات إلى الحجاز وتملكوا فيه رغم تملكهم في تلك الأمصار، ومن هؤلاء بنو ساعدة من الخزرج، وبني الحارث، والقرشيون عامة وآل البيت خاصة.

ت-أنّ وقوع التحالف بين القبائل ودخول بعضها في بعض أمر شائع منذ العصر الجاهلي ولم تتوقف حركة التحالفات القبلية التي تلبي

المصالح وينتج عن بعضها الدخول في النسب إلا بعد توحيد هذه البلاد المباركة على يد مؤسس الدولة السعودية الثالثة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن، رحمه الله، الذي أرسى دعائم الأمن والاستقرار والمساواة في هذه البلاد، والحمد لله.

ث- قول الجاسر وغيره من علماء النسب إنه يحصل بالحلف ما يحصل بالنسب، وإنّ الصِّلات بين فروع القبائل وأصولها العليا لا تقوم على أساس البُنُوّة، وإنّما على الحِلف الذي يَلحق به ما يلحق بالنّسب الصّريح.

ج- لم يكن لدى الجاسر والبلادي وأُبنهايم نصّ قديم فيما ذكروه من دخول بعض القبائل في حرب أو غيرها، ولكنهم اعتمدوا على قرائن هدتهم إلى ذلك، وهو منهج صحيح عند شحّ المصادر أو سكوتها. ويمكنني أن أوجز القرائن التي اعتمدها الجاسر والبلادي في القول بدخول تلك القبائل في قبيلة حرب، في ثلاثة قرائن، وهي:

١ - **الديار مع الاندثار**، وأعني به أنْ تحلّ قبيلة كبيرة محلّ قبيلة صغيرة فتختفي القبيلة الصغيرة، دون أن يذكر التاريخ أنّها رحلت أو فنيت. قال الجاسر: «أمّا قبيلة ضَمْرة، وهي من كنانة، فيظهر أنّها اندمجت في قبيلة حرب، فلا تُعرف الآن في هذه

البلاد»[١]، فجعل المكان وهو ديار حرب اليوم مع اختفاء قبيلة ضَمْرة قرينة بنى عليها رأيه. وكذلك فعل البلادي في عدّة نصوص كما تقدم، فديار القبيلة عبر التاريخ مع اندثارها في زماننا وحلول قبيلة أكبر في ديارها، دون ورود خبر عن انتقالها أو فنائها، دليل عند الجاسر والبلادي وأُبنهايم على دخولها في القبيلة الأكبر التي حلّت في ديارها، وهذا منهج صحيح في الاستنباط حين تسكت المصادر القديمة.

٢ **ظهور أسماء في القبيلة الكبيرة مماثلة لاسم القبيلة المختفية،** كأسلم من خزاعة وأسلم (يسلم)[٢] من حرب، في السائرة ونواحيها (وادي حجر)، فدلّ ذلك على أنّ أسلم الحربية هي أسلم الخزاعية، ولذا قال الجاسر والبلادي في نصوص متكررة إنّ أسلم دخلت في حرب، واعتدّوا بعنصري المكان واسم القبيلة في حكمها على أسلم الحربية بأنها أسلم الخزاعية، دخلت في قبيلة حرب.

---

(١) الأماكن للحازمي ١/ ٩٠ تعليق في الحاشية، وينظر مجلة العرب ج٧، ٨ س محرم ٣١-محرم، صفر سنة ١٤١٧هـ ص ٤٣٦.

(٢) في لهجاتنا البدوية قد يقلبون الهمزة قي أول الكلمة ياء، فمن ديارهم (الأتمة) ينطقونها اليوم: (اليتمة) ومن قبائلهم: (أسلم) فيقولون: (يَسلم) وفي (أيّوب) يقولون: (يُوب) بحذف الهمزة؛ لأن قلبها ياء ولا يجمع بين ياءين، وقالوا في النسب: يوبيّ، وقال البلادي في معجم قبائل الحجاز ٥٧٧: بنو يُوْس (بنو الأوس) بطن رئيسي من زهران بن كعب.

٣ الحاجة إلى الحِلف؛ لأنه يحفظ الأوطان والأملاك، قال البلادي: عن وادي الصفراء: «وكان قديمًا لغِفارٍ من كنانة، ويبدو أنّ بني غِفارٍ انصهرت في حرب، وكثير من القبائل تفعلُ ذلك حِفاظًا على أوطانها وأملاكها»[1]. وصدق البلادي فإن القبائل في جزيرة العرب تفعل ذلك منذ العصر الجاهلي إلى القرن الثالث عشر حِفاظًا على أوطانها وأملاكها.

تم البحث والحمد لله

في ٢٦/١٢/١٤٤٢هـ بالمدينة المنورة

(١) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ١٧٧.

المصادر والمراجع

- أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه، لعرّام السلمي، تحقيق عبدالسلام هارون، ضمن نوادر المخطوطات، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- الإكليل للهمداني، اختصار محمد بن نشوان الحميري، تحقيق محمد بن علي الأكوع، منشورات المدينة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م
- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، بن ماكولا (ت ٤٧٥هـ) دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- الأماكن (ما تفق لفظه وافترق مسمّاه من الأمكنة) لمحمد بن موسى الحازمي (ت ٥٨٤هـ) أعده للنشر حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٤١٥هـ
- الإنباة على قبائل الرواة، لابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م

- أنساب الأشراف للبلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ) (جمل من أنساب الأشراف) تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م
- الأنساب = أنساب العرب، لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري (المتوفى: ٥١١هـ) تحقيق إحسان النص، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ
- أهكذا يُجازى صاحب نسب حرب؟ مقال في ملحق التراث بجريدة المدينة، لعبدالرزاق فراج الصاعدي.
- الإيناس بعلم الأنساب، للحسين بن علي بن الحسين، أبو القاسم الوزير المغربي (٤١٨هـ) أعده للنشر حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- البدو الجزء الثاني فلسطين سيناء الأردن الحجاز، تأليف ماكس أوبنهايم ترجمة محمود كبيبو تحقيق وتقديم ماجد شبّر، شركة دار الوراق المملكة المتحدة، لندن الطبعة الثانية ٢٠٠٧م.
- بلدة البرود: موقعا وتاريخا وسكّانا، لحمد الجاسر، مطبوعات مجلة العرب، ١٤٢٠هـ٢٠٠٠م.
- بين مكة وحضرموت: رحلات ومشاهدات، لعاتق البلادي، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠٢ه، ١٩٨٢م.

- بين مكة واليمن: رحلات ومشاهدات، لعاتق البلادي، دار مكّة، مكة المكرمة، ١٤٠٤هـ١٩٨٤م.
- تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) لعبد الرحمن بن خلدون أبو زيد، (المتوفى: ٨٠٨هـ) تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (ت ٩٦٦هـ) دار صادر، بيروت.
- تذكرة الألباب في أصول الأنساب، لحمد بن عبدالعزيز البَتّي، بتحقيق حمد الجاسر.
- تعريفات وإشارات (قراءة سريعة لبعض الإصدارات المعاصرة في التاريخ) لفايز بن موسى البدراني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.
- التعليقات والنوادر، لأبي عليّ الهجري، بترتيب حمد الجاسر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ١٩٩٢م.
- جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد، لحمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

- جمهرة أنساب العرب، لابن حزم، تحقيق عبدالسلام هارون، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة التاسعة ٢٠٢٠م.
- الحرب على يقولون، الجزء الثاني، لفايز البدراني، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م
- حمد الجاسر: جغرافي الجزيرة العربية ومؤرّخها النسابة، لأحمد العلاونة، دار القلم، دمشق.
- دارة الملك عبدالعزيز، الوثيقة رقم ١٩٨ وتاريخ ٢٥/ ١/ ١٤٣٨هـ
- الدواسر، لأبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، دارة داود الظاهري، الرياض ١٤١٤هـ.
- الرحلة الناصرية الكبرى، لمحمد بن عبدالسلام الناصر (ت ١٢٣٩هـ) تحقيق المهدي الغالي، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية بالمغرب، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م
- الرحلة النجدية، لعاتق البلادي، دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى.

- السلوك لمعرفة دول الملوك ٧/ ٣٠٧ للمقريزي تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، بيروت ١٤١٨هـ.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١هـ) تحقيق عادل أحمد عبد الموجود- علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- شرح المفضليات للمفضل الضبي، للقاسم بن محمد بن بشار الأنباري، تحقيقه كارلوس يعقوب لايل، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٣٠م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت ٥٧٣هـ) تحقيق حسين بن عبد الله العمري ومطهر بن علي الإرياني ويوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

- صفة جزيرة العرب، للهمداني، تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي، أشرف على طبعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، الرياض ١٣٩٤ه‍١٩٧٤م.
- عشيرة القصيرين المزنية الحربية (نسبها وديارها ومشاركات رجالها مع الملك عبدالعزيز في توحيد المملكة) لحمود بن محمد القصيري الحربي، الطبعة الأولى ١٤٣٥ه‍٢٠١٤م.
- عناية الشيخ حمد الجاسر بالأنساب، لعائض الردادي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ه‍/٢٠٠٣م.
- فصول من تاريخ قبيلة حرب: في الحجاز ونجد، لفائز بن موسى البدراني الحربي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ه‍/ ١٩٩٩م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس، اليعمري الربعي، (ت ٧٣٤ه‍) تعليق إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت.
- في سراة غامد وزهران، لحمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٩٧ه‍/ ١٩٧٧م.
- : قبيلة حرب مذحجية وليست قحطانية، لعبدالغني الرحيلي، دار الضياء، الطبعة الأولى ١٤٤٠ه‍.

- كتاب قبيلة الزبالي في الجاهلية والإسلام للأستاذ بدر الزبالي الطبعة الثانية دار اللؤلؤة.
- قديد وطريق الهجرة: دراسة تاريخية وجغرافية وأثرية، لعبدالحافظ القريقري الحربي، ط ١٤٢٦هـ.
- قلب جزيرة العرب، لفؤاد حمزة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م
- قلب الحجاز: بحوث جغرافية وتاريخية وأدبية، لعاتق البلادي، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.
- المختصر الكبير في سيرة الرسول صلى الله عليه، لعز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، المعروف بابن جماعة الكناني، (ت ٧٦٧هـ) تحقيق سامي مكي العاني، دار البشير، عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
- معالم مكة التاريخية والأثرية، لعاتق البلادي، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لأبي عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقّا، مكتبة عباس أحمد الباز، مكة المكرمة.

- معجم قبائل الحجاز، لعاتق البلادي، دار مكة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤٠٣ه١٩٨٣م.
- معجم قبائل المملكة العربية السعودية، لحمد الجاسر منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٠ه.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق البلادي، دار مكة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٢ه/ ١٩٨٢م.
- معجم معالم الحجاز، لعاتق البلادي، دار مكة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨ه١٩٧٨م
- مقدمة تحقيق تذكرة الألباب في أصول الأنساب، مجلة العرب س ١٥ ج٧ و٨، المحرم وصفر ١٤٠١ه
- مقدمة حمد الجاسر لتحقيق "تذكرة الألباب في أصول الأنساب" مجلة العرب س ١٥، ج٧ و٨ المحرم وصفر ١٤٠١ه
- ملامح من تاريخ قبيلة حرب: زبيد في الحجاز، لمبارك المعبّدي، الطبعة الأولى.
- من سوانح الذكريات، ذكريات حمد الجاسر، الطبعة الأولى ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.

- المنمق في أخبار قريش، لمحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، للهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) تحقيق حسين سليم أسد الدّاراني وعبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق.
- نسب حرب (قبيلة حرب: أنسابها وفروعها وتاريخها) لعاتق البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ /١٩٨٤م.
- نسب معدّ واليمن الكبير، لأبي المنذر هشام بن السائب الكلبي، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، لابن سعيد الأندلسين تحقيق نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان، الأردن.
- نهاية الدرب في نسب حرب (مستدرك وذيل ومناقشات في نسب حرب) لعاتق البلادي، دار مكة، مكة المكرمة.
- وادي حجر (السائرة: دراسة جفرافية وتاريخية وأثرية) لعبدالمحسن بن طما الأسلمي الحربي، الطبعة الثالثة ١٤٣٨هـ٢٠١٨هـ.

(٢)

نهاية الإيجاز
في إثبات سُكنى قبائل الأنصار في بادية الحجاز

نصوص مهمة للمؤرّخين والبلدانيين

عبدالرّزّاق الصّاعديّ

المدينة المنورة ١٤٤٣هـ

تنبيهٌ مُهـمّ

الغاية من هذا البحث إثبات سُكنى قبائل الأنصار في بادية الحجاز، بعد العصر النبويّ، ولن يتناول البحثُ (المسألة الأنصارية) ودخولهم في قبائل أكبر، فلها بحثٌ آخر وحديث مستطيل، سيأتي إن شاء الله

جاء الإسلام وقبائل الأوس والخزرج حجازية حاضِرتُها يثرب، ومنهم من يسكن الواحات والقرى القريبة منها، وكان بعضهم باديةً يُقيمون ويظعنون بماشيتهم، كما قال بعض المؤرخين، وسيأتي، وكان بين الأوس والخزرج حروبٌ ووقائعُ رواها المؤرّخون، ومنها: حرب سُمَير، وحرب كَعْب بن عمرو المازني، ويوم السَّرَارة، ويوم فارِع، ويوم الرَّبيع، ويوم الفِجار الأوّل والثاني، وحرب الحُصين بن الأَسْلَت، وحرب حاطِب بن قَيْس، ثم يوم بُعَاث، وهو أشهرها، وكانت قبائل الأوس والخزرج في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- تسكن في قرى حول المدينة، يقرب بعضها حتى يلامس المدينة، ويبعد بعضها عنها، وقد جاء في حديث الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ بن عَفراء، قالت: أرسلَ رسولُ الله -صَلّى اللهُ عليه وسلّم- غداةَ عاشُوراء إلى قُرَى الأنصار، التي حول المدينة: «مَنْ كان أصبَحَ صائِمًا، فليُتِمَّ صومَهُ، ومَن كان أصْبَحَ مُفطرًا، فليُتِمَّ بقيّةَ يومه»[١].

والحِلف بين قبائل الأنصار ومُزينة قديم متجدّد، كان قبل يوم بُعَاث وبعده، فرضته الخُلطة والمشاركة في بعض الدّيار، فحالفت مُزينة الأوس في بُعَاث، ثم حالفت الخزرج فيما بعد، وهم جيرانها غرب المدينة، وكان بنو

(١) صحيح مسلم (ح١١٣٦) ٢/ ٢/ ٧٩٨، واللفظ له، والحديث في صحيح البخاري (ح ١٩٦٠) ٣/ ٣٧، وصحيح ابن خزيمة (ح ٢٠٨٨) ٣/ ٢٨٨.

عوف بن الخزرج ومُزينة شركاء في غـزوة خيبر، وقـع سهمهم في ناعِم من النَّطاة[١]، وكان بين مزينة والخزرج مصاهرات[٢].

ويذكر ابن شبّة (٢٦٢هـ) منازل مزينة في المدينة، ومن حلّ معها من قيس، وذكر أنّ ممّن نزل معهم وخالطهم بنو هُذْبة بن لاطم بن عثمان بن عمرو، وأشار إلى أنهم نزلوا ما بين زاوية بيت القروي المطلّ على بُطحان الغربية، إلى زاوية بيت أبي هَبّار الأسدي، الذي صار لبني سَمْعان الشرقيّة إلى خطّ بني زُرَيق، إلى دار الطائفي التي بشقّ بُطحان الشرقي، ونزل معها في هذه المحلّة بنو شَيْطان بن يَرْبوع، من بني نَصْر بن معاوية، وبنو سُلَيم بن منصور، وعَدْوَان بن عمرو بن قيس، وعن شرقي خطّة مزينة، وسُليم بن منصور أيضًا، وسعد بن بكر بن هوزان بن منصور إلى دار خلدة بن مخلد الزَّرْقي. وأدنى دار أمّ عمرو بنت عثمان بن عفان، إلى بيوت نفيس بن محمد، مولى بني المُعَلَّى في بني زُرَيق من الأنصار، إلى أن تلقّى بني مازن بن عديّ بن النَّجّار. ثم قال:

---

(١) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبّة ١/ ١٩٢، تحقيق محمد فهيم شلتوت، وقال السهيلي في الروض الأنف للسهيلي ٧/ ١٢٦ ت السلامي، و٦/ ٥٢٦ ت الوكيل: ثُمّ كانَ الخامسُ سَهْمَ ناعِمٍ، لبنى عوف بن الخزرج ومُزَينة وشُرَكائهم. وينظر: جوامع السيرة النبوية لابن حزم ١٧٠.

(٢) ومن الخزرج عِتْبانُ بن مالك بن عَمرو بن العَجلان بن زَيد بن غَنْم بن سالم بن عوف، وأمّه من مزينة. ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٥٥٠ (دار صادر)

«فهؤلاء الذين نزلوا مع مُزينة، ودخل بعضهم في بعض، وإنما نزلوا جميعًا؛ لأنّ دارهم في البادية واحدة»[1].

وذكر البَلاذريّ في أنساب الأشراف أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كانَ يشرب من بئر رُؤمة بالعقيق، ونقل عن الواقديّ قوله: «وهي بئر قديمة كانت انطمّتْ، فأتى قومٌ من مُزينة، فحالفوا الأنصار، وقاموا عليها بأبدانهم وأصلحوها»[2]، ومعلوم أنّ مزينة مكوّنٌ مهم من مكونات حرب اليوم، وديارهم مجاورة لديار الأنصار، كانت ولم تزل.

وبعد انقضاء العصر النّبويّ وانقضاء خلافة عثمان -رضي الله عنه- وظهور الفتنة بين المسلمين تفرّق الناس وتحزّبوا، وخرجت جموع من أهل المدينة، ومنهم الأنصار (من قبائل الأوس والخزرج) فمنهم من التحق بالأمصار، ومنهم من خرج إلى قُرًى وأوديةٍ متفرّقةٍ بالحجاز، هروبًا من الفتنة، ومع ذلك بقي جمع من قبائل الأنصار في المدينة ومحيطها، في صدر الإسلام إلى صدر القرن الثاني، وكانوا ملء العين والبصر في المدينة أيّام الفتنة بمقتل عثمان، وهم كذلك بعد منتصف القرن الأول، ويدلّ على كثرتهم حينذاك كثرةُ من قتل منهم يوم الحرة سنة ٦٣هـثم قُتل منهم ومن غيرهم

(١) تاريخ المدينة لابن شبّة ١/ ١٦٥.

(٢) أنساب الأشراف ١/ ٥٣٦ ، وينظر: إمتاع الأسماع ٧/ ٣٥٠.

خلق كثير في يوم قُديد في القرن الثاني، سنة (١٣٠هـ) وكانت الوقعة فيه بين أهل المدينة وأبي حمزة الخارجيّ الأعور اليماني.

وقد ضاقت المدينة بأهلها بعد الخلافة الراشدة، وكان كان بعض الصحابة والتابعين يتحدثون في أمر الرحيل منها، ولكل مقصد، جاء في صحيح مسلم: «وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي سعيد، مولى المهري، أنه جاء أبا سعيد الخدري ليالي الحرة، فاستشاره في الجلاء من المدينة، وشكا إليه أسعارها وكثرة عياله، وأخبره أن لا صبر له على جهد المدينة ولأوائها، فقال له: ويحك لا آمرك بذلك، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يصبر أحد على لأوائها، فيموت، إلا كنت له شفيعا -أو شهيدا- يوم القيامة إذا كان مسلما»[1].

ويشير ابن بطّال (٤٤٩هـ) نقلا عن بعض مصادره إلى خروج أهل المدينة منها، هروبا من بعض الفتن، قال بعد أن ذكر حديثا: «وفي هذا برهان من النبي -عليه السلام- لأنه ذكرَ أهلُ الأخبار أنه قد رحل عن المدينة أكثر الناس في الفتن التي تعاورتها، وخاف أهلها على أنفسهم، وكانت في عهد الخلفاء أحسن ما كانت من البنيان والعمارة والغرس للنخيل والأشجار، فتركت للطير والسباع، وبقيت مدة على ذلك ثم عاد الناس إليها. وروى عن

---

(١) صحيح مسلم: ٤٧٧ - (١٣٧٤) بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، وروي الحديث في عدد من المصادر، منها مسند أحمد، ح ١١٥٥٤ .

مالك فى هذا الحديث: (لتتركن المدينة خير ما كانت حتى يدخل الكلب، أو الذئب، فيعوي على بعض سوارى المسجد). وأكثر المدينة اليوم خراب لا يدخلها أحد منفردًا فيأمن، وهذا مما يلي القبلة والجوف (لعله الجرف)، وليس لأبوابها ثقاف ولا غلق، وكذلك أبواب المسجد أكثرها لا تغلق وهي كبيرة. وقد رأى كثير من الناس الكلب يعوي على بعض سوارى المسجد كما قال –صلّى الله عليه وسلّم، وأما كونه فيما يستقبل فلا شك فيه بما قد أنذر به أمته من عموم الفتن واشتدادها، وانتقاض الخير، وغلبة الباطل وأهله، وأن الإسلام سيعود غريبًا كما بدأ غريبًا، وظهور الشرائط وتواتر المحن حتى يتمنى الأحياء الموت. وقال الأخفش: العوافي واحدها عافية، وهي التي تطلب أقواتها، والمذكر عافٍ، والعوافي والمعتفي التى تطلب فضلك»[١].

وضيّق بعض الخلفاء على الأنصار لميلهم إلى الطالبيين ونتج عن ذلك انتشارهم في أودية الحجاز وخروج بعضهم إلى الأمصار، والتحاق بعضهم ببعض الطالبيين في قطائعَ لعليّ بن أبي طالب في نواحي رَضوى وينبع، وقال عرّام السلمي: «ومن عن يمين رَضْوَى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر، على ليلة من رضوى: (ينبع)، وبها منبر وهي قرية غَنّاء، سكانها الأنصار وجهينة وليث، أيضًا»[٢]، ونقله عنه الحربي في المناسك[٣]، وأبو عبيد البكري

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤/ ٥٤٦هـ.

(٢) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢/ ٣٩٧، ٣٩٨.

(٣) ٥٣٨.

في معجم ما استعجم[١]، والحافظ الحازمي في الأماكن[٢]، وابن الجوزي في المنتظم[٣]، وياقوت في معجم البلدان[٤]، والسمهودي في وفاء الوفاء[٥]، وقال عاتقُ البلادي: «وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث»[٦]، وقال مثل هذا في كتابه قلب الحجاز[٧]. وكان بعضُ الأنصار قد تَبدَّوا في البادية، فاصبحوا يظعنون كسائر القبائل البدوية. قال الهمداني في حديثه عن مساكن العرب فيما جاوز المدينة: «فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدنية إلى حد الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرة ديار سليم لا يخالطهم إلا صِرْمٌ من الأنصار سيّارة، وقد يحالّون طيّئًا»[٨].

ولم يكن بوسع المدينة لما وقع فيها من أحداث بعد عصر النبوة أو حلّ بها من جَدْب عبر الأزمان أن تستبقي أهلها كلّهم، وكان جلُّهم من الأنصار، وليس لأكثرهم إلا أن يخرجوا منها، وينساحوا ويتفرّقوا في الأرياف والأودية المحيطة بها والخيوف، وكذلك الآفاق البعيدة، وقد أخبر النبي -صلّى

(١) معجم ما استعجم ١/ ٦٥٦.

(٢) ٢/ ٩٣٢.

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والملوك ١/ ١٤٢.

(٤) ٥/ ٤٥٠.

(٥) وفاء الوفاء ٤/ ١٦٦.

(٦) معجم معالم الحجاز ١٠/ ٣٧.

(٧) ص ١٦٢.

(٨) صفة جزيرة العرب ٢٧٤.

الله عليه وسلم- بخروجهم في حديث جابر بن عبدالله، عند البَزّار برجال الصّحيح مرفوعًا، قال: «لَيَأْتِيَنَّ على أهل المدينة زَمانٌ ينطلقُ النّاسُ منها إلى الأرياف يلتمِسُون الرَّخاءَ فيجِدُون رَخاءً ثُمّ يأتُون فيَتَحَمَّلُونَ بأهليهم إلى الرَّخاءِ والمدينةُ خيرٌ لهم لو كَنُوا يَعلَمُون»[١]، واللفظ للبزّار، ورواه المنذري، وقال: رَواهُ أحمد والبَزَّار واللّفظ له ورِجاله رجال الصّحيح[٢]، قال ابن حجر: في إسناده بن لَهِيعة، ولا بأس به في المتابعات، وورد هذا الحديث بروايتين، إحداهما هذه، وفيها: (الأرياف)، والأخرى رواية أحمد بن حنبل، وفيها: (الآفاق)، مكان الأرياف، والمعنى متقارب، فالأرياف جمع ريف، وهي ما قارب المياه في أرض العرب، وقيل: هي الأرض التي فيها الزرع والخِصب، مما هو خارج المدينة وكان صالحا للسكنى، ويشمل البلدان المفتوحة كثيرة الأرياف والمياه، وأما الآفاق فجمع: أُفُق، وهي النواحي من الأرض، وكذلك آفاقُ السماء نواحيها، وأُفُقُ البيت من بيوت الأعراب ما دون سُمكه[٣]، والأُفُق أيضا هو كل ما ابتعد عنك حتى غاب عن بصرك خلف الجبال وفُويقها، تقول الشمس في الأُفُق، إذا انحدرت إلى المغيب وقاربتِ الأرضَ

(١) صحيح لغيره، وفي إسناده ابن لهيعة، رواه أحمد والبزار واللفظ له، ينظر: الترغيب والترهيب للمنذري (ح ١٨٥٤) ٢/ ١٤٤، وفتح الباري ٤/ ٩٣، وعمدة القارئ ١٠/ ٢٣٩، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٤٤، وشرح الزرقاني على الموطّأ ٤/ ٣٥٣، وصحّحه المنذري والألباني، وفي المسند (ح ١٤٦٨٠) ٢٣/ ٣٧ وغيره مكان الأرياف: الآفاق، والآفاق تشمل كل ما هو خارج المدينة.

(٢) الترغيب والترهيب للمنذري (ح ١٨٥٤) ٢/ ١٤٤.

(٣) العين ٥/ ٢٢٧.

بعين الرائي، ومسافة الأُفُق نحو خمسين ميلا من مكانك، ثم يغيب عنك كل شيء حتى الجبال، ومن معاني الأفاق البلدان المتفرقة، قال الشاعر:

وقـد نقَّبْـتُ في الآفـاقِ حتى رَضِيتُ مـن الغنيمةِ بالإيابِ

وقال ابن ميّادة:

يَكْفِيكَ من بَعْضِ ازدَيارِ الآفاقْ سَمْـرَاءُ مِمّا دَرَّسَ ابنُ مِخْـراقْ

معناه يكفيك من زيارة الآفاق والجَوَلان فيها هذه النّاقةُ السَّمراء.

وديار الحجاز البعيدة عن المدينة داخلة في الآفاق. والحديث بلفظَيه: (الأرياف) و(الآفاق) صحيح، وبأيّ الروايتين يصحّ المعنى المراد من خروج أهل المدينة منها إلى آفاق أو أرياف خارجها، والحجاز منها. وهو في الروايتين يدلّ على خروجهم من المدينة بعد عصر النبوّة، وهذا ما حدث وأيّدته المصادر، فمنهم من خرج إلى الأمصار المفتوحة البعيدة، في العراق والشام وأفريقيا، ومنهم من خرج إلى الأودية والخيوف والعيون الجارية الواقعة في أودية الحجاز وتهامة بين الحرمين وفي أطراف المدينة، وكان بعضهم بادية يُقيمون ويَظعنون، تحكمهم ظروف العيش والخِصب، ووصفهم أبو علي الهَجَري (من علماء القرنين الثالث والرابع) بأنّهم كانوا بادية يظعنون بماشيتهم، قال: «وكان الأنصاريّون أهل عَمُود وماشية»[١]، وقد مرّ معنا في

(١) التعليقات والنوادر ٣/ ١٤١١.

نصّ الهمداني المتضمّن أنّ من الأنصار صِرْمٌ يضعنون ويحالّون طيّئًا. وكما استهوتِ الباديةُ بطونًا من الأنصار أو أجبرتهم الظّروف على أنْ يخرجوا من مدينتهم استهوت القرشيين أيضًا، أو ربّما أجبرتهم ظروفهم هم أيضًا، فأَلِفوا عيش البادية، فصاروا بدوًا رُحّلًا، كغيرهم من القبائل.

وللإصطخري المعروف بالكرخي المتوفى سنة ٣٤٦هـ في كتابه (المسالك والممالك) إشارات متفرّقة لخراب بعض الأنحاء في المدينة، منها قوله: «وكذلك حوالى المدينة ضياع كثيرة وأكثرها خراب»[١]. يعني في زمانه. وفي كتابه هذا نصٌّ بالغ الأهميّة يذكر طوائفَ من الحَسَنيين الرُّحّل في البادية، ويشير إلى أنّهم أعراب يظعنون ويتبعون مواطن الخِصب في نواحي ينبع وجبل رضوى وساحل البحر، ولم يكونوا أهل قرار، قال الأصطخري: «وبقرب ينبع جبل رضوى، وهو جبل مُنيف ذو شعاب وأودية، ورأيته من ينبع أخضر، وأخبرنى من طاف فى شعابه أنّ به مياها كثيرة وأشجارًا... وبقربه فيما بينه وبين ديار جهينة وبليّ وساحل البحر ديارٌ للحسنيّين، حَزَرْتُ بيوتَ الشَّعَر الّتى يسكنونها نحوًا من سبعمئة بيت، وهم بادية مثل الأعراب، ينتقلون فى المراعي والمياه انتقال الأعراب، لا تميّز بينهم فى خَلْق ولا خُلُق، وتتّصل ديارهم مما يلي المشرق بودّان»[٢]، وكان وجود الحَسَنيين

(١) المسالك والممالك ٢٣ طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.

(٢) المسالك والممالك ٢٥ طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة بالقاهرة.

جاذبًا ومغريًا لقبائل الأنصار، فاتّجه بعضهم إلى البادية الغربية للمدينة التي تمتدّ إلى ينبع، مرورًا بأودية الصفراء وجبل الأشعر، ثم جبل رَضْوى، وقد ذكرهم في الصفراء ورضوى وينبع عرّام السلمي وأبو عبيد البكري وياقوت الحموي وعاتق البلادي، كما سيأتي في النصوص المفصّلة.

ويشير ابن تَغْري بَرْدي في نقل له عن المِقْرِيزي إلى تفرّق الأنصار في الآفاق لطلب العيش أو محاربة الكفّار، وذكر أنّهم انقرضوا من المدينة فلم يبقَ منهم إلا بقايا متفرّقين بنواحي الحجاز وغيرها(١)، وذكرت بعض المصادر أنّ المدينة كادت تخلو منهم، في الأعصر الوسيطة والمتأخّرة، لتعاقب خروجهم منها منذ العصر الأموي، وثمة نصوص عن البلدانيين والنسّابة وفي كتب التراجم تؤكّد سُكنى الأنصار في الحجاز بعد صدر الإسلام في مثلث كبير بين المدينة وينبع ومكّة، وثمة نقوش متناثرة في تلك المنطقة لبعض الأنصاريين، وقد رصد بعضَها باحثون ميدانيّون، ولم تزل في الحجاز نقوش للأنصار لم ترصد بعد(٢)، وسأنقل بعض النقوش في بحث آخر غير هذا البحث الوجيز.

---

(١) المنهل الصافي ٤/ ١٨٦.

(٢) ذكر لي الباحث محمد المغذوي الحربي أنه رصد نحو ٤٠٠٠ نقش في تخوم المدينة والأودية والجبال المحيطة بها ومنها وادي الصفراء، وذكر أنه وقف على نقوش عديدة للأنصار، نشر بعضها في حسابه في تويتر.

وثمة نصوص كثيرة في المصادر القديمة تثبت سُكنى الأنصار بعد العصر النبوي في مناطق متفرقة من الحجاز وتهامة في المثلث الكبير الواقع بين الحرمين وينبع، ونقل أكثرها مؤرّخ الحجاز البلداني عاتق البلادي في كتابه معجم معالم الحجاز، ومن تلك النصوص:

١- يونس بن محمد الظَّفَري الأنصاري، من تابعي التابعين، من عَقِب أنَس بن فضالة الظّفري الأنصاري، عاش في القرن الثاني، أدركه الواقدي وروى عنه، وذكروا أنه كان يسكن الصفراء، قال ابن عبدالبرّ: «أنس بن فضالة بن عديّ بن حرام بن الهتيم بن ظفر الأنصاري الظفري... ومن ولد أنس بن فضالة: يونس بن مُحَمَّد الظفري. منزله بالصفراء»[١]، ونقل ابن الأثير الجزري هذا النص في كتابه[٢]، وكان يونس الأنصاري عارفًا بنواحي الصفراء وقبور الصحابة في بدر، قال الواقدي: «حدثني يونس بن محمد الظفري قال: أراني أبي أربعة قبور بسَيَر- شعب من مضيق الصفراء- فقال: هؤلاء من شهداء بدر من المسلمين»[٣].

(١) الاستيعاب ١/ ١١٢.

(٢) أسد الغابة ١/ ١٤٩ ط دار الفكر.

(٣) المغازي ١/ ١٤٧.

قلت: والصَّفراء عند إطلاقها تحتمل القرية وتحتمل الوادي، وقد يُسمّى الوادي الكبير باسم بئر أو جبل أو قرية فيه، ومن ذلك قرية الفُرع ووادي الفُرع، وقرية الصفراء ووادي الصفراء، وقرية العَرْج ووادي العَرْج، ومثل هذا كثير في جزيرة العرب، وحين يطلق الاسم فإنه يحتمل الوادي ويحتمل القرية، ويحدّده السياق أو العرف.

٢- ذكر ابن سعد (ت ٢٣٠هـ) في الطبقات -عند ترجمة عبد الله بن سهل من الخزرج- عمرَو بن جشم بن الحارِث بن الخزرِج، وأشار إلى انقراض نسله، ثم كأنّه استدرك وأشار إلى بعض عقبهم، قال ابن سعد: «وقد انقرض أيضًا ولد عمرو بن جشم بن الحارث بن الخزرج منذ زمان طويل، وهم أهل راتج، إلا أنّ في أهل راتج قومًا من غسّان من ولد عُلْبة بن جَفْنة، خلفاؤهم آل أبي سعيد، ولهم اليوم عقب يسكنون الصفراء بناحية المدينة، ويدّعون أنّهم من ولد رافع بن سهل وأنّ عمهم عبد الله بن سهل الذي شهد بدرًا»[١]، ولم ينكر ابن سعد دعواهم، ويبدو أن المصادر التي ذكرت المنقطعين الذين لم يُعقِبوا لم تكن دقيقة في كل ما تذكر، وهذا موضوع بحث لطيف وشاقّ، ولو بحثه باحث لأتى بشيء يصحّح مصادرنا، وقد رأيت من ذلك أشياء ليس هذا مكان الحديث عنها.

---

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ٣٤٠ دار الكتب العلمية.

٣- وقال عرّام السلمي (من علماء القرن الثالث) وهو من أهل الحجاز، وكان خبيرًا بمسالكه وسُكّانه: «والصّفراء قريةٌ كثيرة النخل والمزارع، وماؤها عيون كلّها، وهي فوق ينبُع مما يلي المدينة، وماؤها يجري إلى ينبُع، وهي لجهينة والأنصار ولبني فهر ونهد»[١]، ونقله أبو إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ) في المناسك[٢]، ونقله ياقوت الحموي[٣] عن عرّام، ونقل عاتق البلادي عن ياقوت عن عرّام أنّ الصفراء كانت لجهينة والأنصار وبني فِهر ونَهْد[٤]، ولم يُنكر عليهما، وورد هذا أيضا في كتاب البكري[٥]، وقال البلادي في كتاب آخر: «المعروف أنّ وادي الصفراء كان في بداية الإسلام لبني غفار من كنانة، ولكن لا يُستبعد أن تكون الأنصار وجهينة قد تملّكتا فيه بعد الإسلام»[٦].

قلت: وتملّك القبيلة يقتضي سكناها، في الأعلم الأغلب.

٤- وقال عرّام السُّلمي: «ومن عن يسار الطريق مقابلا قُدسًا الأسود جبلٌ من أشمخ ما يكون، يقال له (آرة)، وهو جبلٌ أحمر تخرّ من جوانبه عيون، على كل عين قرية، فمنها قرية غنّاء كبيرة يقال لها (الفُرع)

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها ٤/ ٣٩٨.

(٢) المناسك ٥٣٨، ٥٣٩.

(٣) معجم البلدان ٣/ ٤١٢.

(٤) معجم معالم الحجاز ٥/ ١٥٠.

(٥) معجم ما استعجم ٢/ ٨٣٦.

(٦) قلب الحجاز ١٤٤.

وهي لقريش والأنصار ومُزينة»[١]، ونقل هذا النصّ البكريّ عن السُّكُوني[٢]، وذكر الحافظ الحازمي الفُرع، وقال: «وهي لقريشٍ والأنصار ومُزينة»[٣]، وابن الجوزي في المنتظم[٤]، وكذلك ياقوت الحموي[٥]، وقال عاتق البـلادي نقلا عن ياقوت: إنها لقريش والأنصار ومزينة[٦]. وياقوت ينقل عن عرّام أو البكري، وعاتق لم ينكر عليهم.

٥- وقال عرّام السلمي: «ومن عن يمين رَضْوَى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر، على ليلة من رضوى: (ينبع)، وبها منبر وهي قرية غَنّاء، سكانها الأنصار وجهينة وليث، أيضًا»[٧]، ونقله عنه الحربي (ت ٢٨٥هـ) في المناسك[٨]، وأبو عبيد البكري[٩]، والحافظ الحازمي في الأماكن[١٠]، وابن الجوزي في المنتظم[١]، وياقوت في معجم

---

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢/ ٤٠٤.

(٢) معجم ما استعجم ٣/ ١٠٥١.

(٣) الأماكن ٢/ ٧٣٩، ٧٤٠.

(٤) المنتظم ١/ ١٤٥.

(٥) معجم البلدان ٤/ ٢٥٢.

(٦) معجم معالم الحجاز ٧/ ٤٢.

(٧) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢/ ٣٩٧، ٣٩٨.

(٨) ٥٣٨.

(٩) معجم ما استعجم ١/ ٦٥٦.

(١٠) ٢/ ٩٣٢.

البلدان[٢]، والسمهودي في وفاء الوفاء[٣]، وقال عاتقُ البلادي: «وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث»[٤]، وقال مثل هذا في كتابه قلب الحجاز[٥].

٦- وقال عرّام السلمي: «ثم يُطْلَع من الشَراة على ساية وهو وادٍ بين حاميتين، وهما حَرتان سوداوان، وبه قرى كثيرة مسماة، وطرق كثيرة من نواحي كثيرة، فاعلاها قرية يقال لها الفارع، بها نخل كثير، وسُكّانها من كل أفناء الناس، ومياهها عيون تجري تحت الأرض، فُقُرٌ كلُّها والفُقُر والقنا واحد، وواحد الفُقُر فقير. ثم أسفل منها مَهايع، وهي قرية كبيرة غنّاء، بها ناس كثير، وبها منبر، ووالي ساية من قِبَل صاحب المدينة، وفيها نخيل ومزارِع وموز[٦] ورُمان وعنب، وأصلها لولد علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، وفيها من أفناء الناس وتجار من كل بلد. ثم خيفٌ يقال له (خَيف سَلّام)، والخيف: ما كان مجنّبًا عن طريق الماء يمينًا وشمالًا مُتَّسعًا، وفيه منبر وناس كثير من

---

(١) المنتظم في تاريخ الملوك والملوك ١/ ١٤٢.

(٢) ٥/ ٤٥٠.

(٣) وفاء الوفاء ٤/ ١٦٦.

(٤) معجم معالم الحجاز ١٠/ ٣٧.

(٥) ص ١٦٢.

(٦) كذا في المطبوعتين، مطبوعة الميمني ومطبوعة عبدالسلام هارون، ووهّم البلادي عرّاما لهذا الموز، ولا أرى توهيمه، فقد يكون سهوًا منه أو تحريفا من ناسخ.

خُزاعة، ومياهُها فُقُرٌ أيضًا، وباديتها قليلة، وهي جُشَم وخُزاعة وهُذيل، وسَلّام هذا رجل من أغنياء هذا البلد من الأنصار»[١]، ونقل الحافظ الحازمي عن الأشعث الكندي هذا النص[٢]، ونقله ياقوت الحموي[٣]، ويفيد هذا أنّ بعض الأنصار كانوا يتملّكون في تلك الديار هناك ويسكنون، وأشار عاتق البلادي[٤] إلى الرجل الأنصاري الذي كان يمتلك الخيف، وهو ينقل عن عرّام أو عمّن نقل عنه كالبكري وياقوت، وفي هذا أشارة إلى وجود بعض الأنصار هناك، ومنهم هذا الأنصاري صاحب الخيف.

٧- وقال عرّام السلمي: «ثم إلى (الرَّحضيّة) قرية للأنصار وبني سليم، من نجد، وبها آبار ومزارِع»[٥] (أي شرق الحجاز مما يتاخم نجدًا) ووافقه عاتق البلادي وذكر أنّها للأنصار وبني سليم[٦] و هو ينقل عنه.

٨- وقال عرّام السلمي: «ثم تمضي مصعدًا نحو مكة فتميل إلى وادٍ يقال له (عُريفِطان مَعنٍ) ليس به ماء ولا رعي، وحذاءَه جبالٌ يقال لها (أُبْلَى)، وحذاءَه قُنّة يقال لها (السَّوْدة) لبني خُفاف من بني سُليم،

---

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢/ ٤١٣، ٤١٤.

(٢) الأماكن ١/ ٤١٨.

(٣) معجم البلدان ٢/ ٤١٢.

(٤) معجم معالم الحجاز ٣/ ١٨٤.

(٥) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢/ ٤٢٧.

(٦) معجم معالم الحجاز ٤/ ٤٢.

وماؤهم (الصَّعْبِيّة) وهي آبار يُنزعُ عليها، وهو ماء عذب وأرض واسعة، وكانت بها عين يقال لها (النَّازِيَة) بين بني خُفاف وبين الأنصار، فتضاربوا فسدّوها، وهي عين ماؤها عذب كثير»[١]، ونقل هذا ياقوت وأشار إلى سُكنى الأنصار بها[٢]، وذكر عاتق البلادي[٣] خلاصة هذه الحادثة وأنّ ممن يسكنها الأنصار، نقلا عن أبي الأشعث الذي يروي كتاب عرّام ولم يُنكر سُكنى الأنصار بها.

٩- وقال عرّام السُّلمي: «وبين مكة والطائف، قرية يقال لها (راسب) لخَثْعَم، و(الجَوْنة): قرية للأنصار»[٤]، وذكرها الحافظ الحازمي وأشار إلى أنها للأنصار[٥]، وقال عاتق البلادي: «جُونة: اسم قرية بين مكة والطائف، يقال الجُونة، وهي للأنصار»[٦]، ورجّح حمد الجاسر أنّ الجونة هذه مصحّفة من الحَوِيّة، المعروفة اليوم[٧]، قلت: ظهور الأنصار في تلك الأماكن وسكناهم في الجونة أو الحَوِيّة يدلّ على

(١) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢/ ٤٢٩.

(٢) معجم البلدان ٣/ ٤٠٦.

(٣) معجم معالم الحجاز ٥/ ١٤١.

(٤) أسماء جبال تهامة وسكانها ٢/ ٤١٩.

(٥) الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ١/ ٢٧٩.

(٦) معجم معالم الحجاز ٢/ ١٨٩.

(٧) ينظر: الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة ١/ ٢٧٩ الحاشية رقم: ٣.

تفرّقهم وتمدّدهم وانتشارهم حتى وصلوا إلى نواحي الطائف، ويدحض ادّعاءَ من يزعم أنّ الحجاز أقفر من الأنصار!

١٠- وأشار أبو عليّ الهجري (من علماء القرن الثالث والرابع) -في بعض الشعر الذي رواه- إلى حضورٍ لبعض الأنصار في أطراف وادي عباثر من أودية الأشعر الغورية[١]، قال في حديثه عن وادي الأشعر: «ومن أوديته: عَباثِر، وهو لبني عَثْم من جهينة، وفيه يقول الخارجي:

خلـــيليّ دُلاّني عَبـــاثرَ إنّهـــا
يمُــرُّ على قــيسِ بــن سـعدٍ طريقُهــا

هَــدَتْنا لهــا مَشْــبُوبةٌ يُهْتَــدَى بهــا
يُضــيءُ ذُرَى ذاتِ العُظُـوم حَريقُهــا

يعني قيس بن سعد بن زيد الأنصاري... وفي عَباثر طريق يُفضي إلى ينبع»[٢].

١١- وأشار لُغْدة الأصفهاني (من علماء القرن الثالث) إلى الأنصار في قرية بِرْمة، قال: «ووراءَ خيبر بِرْمة، قرية لقريش والأنصار ولكلٍّ»[٣]، وهذا دليل آخر على انتشار الأنصار في نواحٍ بعيدة عن المدينة، فهم من سُكّان بِرْمة وراءَ خيبر، كما قال، وحدّدها ياقوت بأنها بين

---

(١) التعليقات والنوادر ٣/ ١٣٢٠.

(٢) التعليقات والنوادر ٣/ ١٣٢٠.

(٣) بلاد العرب ٣٩٥.

بَلاكِثَ ووادي القُرى، وذكر البلادي[١] في نقلٍ عن البكري[٢] أنّ بَلاكِثَ هذه فوق خيبر من طريق مصر.

١٢-وأشار الهَمْداني -فيما أوردته بين يدي هذا البحث- إلى بعض الأنصار الذين حلوا في البادية في نواحي شمال المدينة، ووصفهم بـأنهم: (صِرْم) من الأنصار، قال: «من وادي القرى فمن وادي القرى إلى خيبر إلى شرقي المدنية إلى حدّ الجبلين إلى ما ينتهي إلى الحرّة ديار سليم لا يخالطهم إلا صِرْم من الأنصار سيّارة وقد يحالّون طيّئًا»[٣].

١٣-وأشار أبو الفرج الأصفهاني إلى الأنصار في الرَّوْحاء، غرب المدينة، قال: «حدثني عيسى بن الحسين، قال حدثنا الزبير بن بكّار، قال: بلغني عن صالح بن قدامة بن إبراهيم بن محمد بن حاطب الجُمحي يروي شيئا من أخبار الخارجي وأشعاره، فأرسلت إليه مولى من موالينا، يقال له محمد بن يحي، كان من الكُتّاب، وسألته أن يكتب لي ما عنده، فكان فيما كتب لنا قال: زعم الخارجي؛ واسمه محمد بن بشير وكنيته أبو سليمان، وهو رجل من عَدْوَان وكان يسكن الرَّوْحاء، قال: بَيْنا نحن بالرَّوحاء في عام جَدْبٍ قليل الأمطار، ومعنا سليمان بن الحصين وابنُ أخته، وإذا بقطار ضخم، كثير الثقل يهوي،

(١) معجم معالم الحجاز ١/ ٢٤٩.

(٢) معجم ما استعجم ١/ ٢٧١.

(٣) صفة جزيرة العرب ٢٧٤.

قادمٍ من المدينة، حتى نزلوا جانبَ الروحاء الغربي، بَيْننا وبينَهم الوادي، وإذا هم من الأنصار، وفيهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت»[١]، قلت: في هذا إشارة إلى أنّ الجدب سبب من أسباب خروجِ الأنصار من المدينة يلتمسون أرضًا أصابها القطر، وأنّ ما أخرجهم ذاك العام أخرج من قبلهم ويخرج من بعدهم، والجدب الذي يصيب المدينة في بعض السنين مع ما ذكرته من أسباب في صدر هذا البحث يفسّر خروجِ الأنصار من مدينتهم ليسكنوا أماكن عديدة من الحجاز، ويتمددون إلى قرب الطائف جنوبًا وما وراء خيبر ونواحي البِرْمة وبَلاكث ووادي القُرى شمالا وينبع غربًا، وهذا مما يُفسر تحوّل قبائل وبطون من الأوس والخزرج إلى عيشة البادية وانخراطهم فيها ومخالطة غيرهم ممن يسكنون تلك الديار.

١٤-وذكر أبو عبيد البكري في حديثه عن (نَخْلٍ) في نواحي (النُّخيل المعروفة اليوم شمال الحناكية) نقلا عن يعقوب في حديث عن (نَخل) قوله: «هي قرية بوادٍ يقال له شَدَخ، لفزارة وأشجع وأنمار وقُريش والأنصار»[٢]، ونقله عنه عاتق البلادي[٣]، ولم يردّه.

---

(١) الأغاني ١٦/ ٦٨.

(٢) معجم ما استعجم ٢/ ١٣٠٣.

(٣) معالم الحجاز ٩/ ٣٨.

١٥-وقال ياقوت في رسم فرّان: «وفَرّان: ماء لبني سُليم، يقال له مَعْدَن فَرّان، به ناسٌ كثيرة، وهو منسوب إلى فَرّان بن بِلِيّ بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، نزلت على بني سُليم، فدخلوا فيهم، وصاروا منهم، فكان يقال لهم: بنو القَيْن»(١)، وفي هذا إشارة إلى سهولة دخول قبيلة عريقة من قبائل قحطان في قبيلة عريقة من قبائل عدنان. وقال ياقوت في رسم العالية: «ومن أهل الحجاز من ليس بنجديّ ولا غوري وهم الأنصار ومزينة ومن خالطهم من كنانة ممن ليس من أهل السيف فيما بين خيبر إلى العرج مما يليه من الحرة»(٢). وفي هذا دلالة واضحة أيضًا على سُكنى الأنصار في مناطق واسعة من الحجاز، ويستفاد من نص ياقوت –أيضا- الإشارة إلى اختلاط مزينة والأنصار وكنانة، وهو اختلاط قديم، ولا يستغرب؛ والحلف بين قبائل الأنصار ومزينة قديم ومتجدد، كان قبل يوم بعاث وبعده، فرضته الخُلطة والمشاركة في بعض الديار، فحالفت مزينة الأوس في بعاث، ثم حالفت الخزرج فيما بعد، وهم جيرانها غرب المدينة، وكان

(١) معجم البلدان ٤/ ٢٤٥.

(٢) معجم البلدان ٤/ ٧١.

بنو عوف بن الخزرج ومُزينة شركاء في غزوة خيبر، وقع سهمهم في ناعِم من النَّطاة[١]، وكان بين مزينة والخزرج مصاهرات[٢].

١٦-وذكر أبو عليّ الهجري -ونقله عنه السمهودي[٣]- أنّ لبني الأَدْرم -وهم من بني تميم بن لؤي- ماءً قديمًا على طريق حمى ضَرِيّة إلى المدينة على ثمانية عشر ميلا من ضرية يسمى الجَفْر، ومعهم نفر من بني عامر بن لؤي، فاحتفر سعيد بن سليمان المُساحقي العامري عينا وأساحها وغرس عليها نخلا كثيرا على ميل أو نحوه من جَفْر بني الأدرم بدارة الأسود، جبل عظيم أسود، وهي عامرة كثيرة النخل. قال أبو عليّ الهَجَري: «واحتفر جَوْشَن[٤] مولى ابن هشام حُفيرة على ميلين أو ثلاثة من جَفْر بني الأدرم وحُفرة المُساحقي، سماها الجَوْشنية، ثم اشتراها ناس من ولد رافع بن خُدَيج من الأنصار، وأحدثوا بقربها حُفيرة بقطيعة السلطان، فنازعهم محمد بن جعفر بن مصعب بحق بني الأَدْرم، وكان من أشد الرجال، فقاتلهم وحده، فاجتمعوا فأصابه

---

(١) جاء في الروض الأنف للسهيلي ٧/ ١٢٦ ت السلامي، و٦/ ٥٢٦ ت الوكيل: ثُمّ كانَ الخامسُ سَهْمَ ناعِمٍ، لبنى عوف بن الخزرج ومُزَينة وشُرَكائهم. وينظر: جوامع السيرة النبوية لابن حزم ١٧٠.

(٢) ومن الخزرج عِتْبانُ بن مالك بن عَمرو بن العَجلان بن زَيد بن غَنْم بن سالم بن عوف، وأمّه من مزينة. ينظر الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/ ٥٥٠ (دار صادر)

(٣) وفاء الوفاء للسمهودي ٣/ ١٠٩٧، ١٠٩٨.

(٤) في وفاء الوفاء ٣/ ١٠٩٨. جرش.

رجلان منهم بفَرْعين خفيفين في رأسه، فأخذهما أَسْرَى حتى أقدمهما ضَرِيّة، واستعدى عليهما الحسن بن زيد بالمدينة، فضربهما بالسياط، ثم عفا عنهما. واختصموا في الجَوْشنيّة والحُفيرة حتى قضى لبني الأدرم والمُساحقي، فكلمهم الناسُ فسبقوهم بهما، وكان الأنصاريون أهل عمود وماشية، فلما كانت الفتنة أكلتهم لصوص قيس من كلاب وفزارة، فلحقوا بطيئ وناسبوهم، فأمنوا مدّة، ثم أغارت عليهم لصوص طيّئ فتفرّقوا وتركوا البادية»[١].

١٧-وأشار محمد بن علي الأكوع محقّق مختصر الإكليل وهو يتحدث عن الصفراء في الحاشية إلى نص ياقوت المتضمّن أن الصفراء لجهينة والأنصار، ثم أورد رأيه هو فقال: «وتحمِلُ هذا الاسم إلى وقتنا هذا، وغالب من يسكنها من الأنصار، ثم من آل الأكوع المنتسبين إلى سَلَمَة الأَكْوَع وعمومته»[٢].

١٨-الشيوخ في ساية، قال البلادي: «والشّيوخ: بطن في ساية وفي خليص وحَجر ودَوقة والطائف... وكل هذه المسمّيات ترجع إلى أصل واحد، هم الأنصار، حسب أقوال كبارهم»[٣].

---

(١) التعليقات والنوادر للهجري ٣/ ١٤١٠، ١٤١١. وينظر: وفاء الوفاء للسمهودي ٣/ ١٠٩٧، ١٠٩٨.

(٢) الإكليل ١/ ٣٠٤ ح٣.

(٣) معجم قبائل الحجاز ٢٥٥.

١٩-الشيوخ في ساية أيضا، قال د. مبارك المعبّدي: «وهناك قبيلة الشيوخ الذين يسكنون في قرى بني سُليم في وادي ساية، ولقد زرت تلك القرى، فوجدت الشيوخ يسكنون في قرية الغَرِيف والرُّمَيضة والعُوَيصد والكامل، وقال لي أحد رجال بني سُليم: إنّ هؤلاء الشيوخ يسكنون هذه القرى منذ زمن قديم، وإنّ أصلهم من بقايا الأنصار القدامى في المدينة المنورة، وقد سكنوا مع بني سليم وصاهروا عشائرهم. وقال أحد أبنائهم: إنّ من فروعهم ذوي حبوش وذوي فهد وذوي عائشة. وقبيلة الشيوخ منتشرة بكثرة في معظم منطقة الحجاز مع قبيلة حرب»[١]. وقال: «وكثيرًا ما يُطلق على الشيوخ لقب الأنصار، فهناك من يكتب الشيخ، وهناك من يكتب الأنصاري، وفي الحقيقة أنّ قبيلة الشيوخ تحتاج إلى مؤلَّف مستقلّ، مثل قبائل الأشراف، لكثرة عددها وتواجدها في أماكن كثيرة متفرقة في المملكة العربية السعودية أو في بلادة الشام أو في اليمن، ولقد ذكر الأستاذ حمد الجاسر أنّ بعضًا من الشيوخ حلفاء لبني زبيد من حرب، وهؤلاء يسكنون في وادي خُليص وغُران وحَجر وأم الجِرْم

---

(١) ملامح من تاريخ قبيلة حرب: زبيد في الحجاز ١٧٠.

وغيرها، أمّا شيوخ البَرْزة فهم حلفاء بني عمرو، بصفة عامة، وحلفاء قبيلة مُعبّد بصفة خاصّة»[١].

٢٠- الموازين في وادي ستارة، قال البلادي: «المَوازين: حيّ من الشيوخ في وادي ستارة، قريتهم هناك الغزيلة تصغير غزالة، يقولون: إنهم يعودون بأصلهم إلى المصابيح سكّان أم الجِرْم في غُران، وأنّهم من الأنصار»[٢].

٢١- الشيوخ في أمّ الجِرْم، قال البلادي: «الشيوخ: بطن صغير في أمّ الجِرْم بغُران، يقال لهم: المصابيح، وهم حلفاء الصحاف من زبيد من مسروح من حرب، والشيوخ -عموما- يدّعون أنهم من الأنصار»[٣].

٢٢-الطُّمح من بني السفر في كلية، قال البلادي: «الطُّمَح: بطن من بني السفر من مسروح من حرب، يسكن كليّة ورابغ، ويدّعون أنّ لهم نسبًا في الأنصار»[٤]. وقال في كتاب نسب حرب: «الطُّمح: والنسبة إليهم طميحي، وأكثرهم بدو رُحّل، ويدّعون أن لهم نسبًا في الأنصار، وذكر لي الشيخ هاشم بن الحسين السفري ما يؤيّد ذلك»[٥].

---

(١) ملامح من تاريخ قبيلة حرب: زبيد في الحجاز ١٧٠، ١٧١

(٢) معجم قبائل الحجاز ٥١٦.

(٣) معجم قبائل الحجاز ٢٥٥.

(٤) معجم قبائل الحجاز ٢٨٤.

(٥) نسب حرب ٤٢.

٢٣-وجاء في كتاب القطائع النبوية لحمد الجاسر ما نصّه: «الأنصار هؤلاء يجاورون بني سُليم، فهم يسكنون المدينة، وبلاد بني سليم تمتدّ إلى مقربة منها، ولا شكّ أنّ الصِّلات بين السُّلميين والأنصار لم تقف عند حد الجوار؛ فقد حالف بعض السُّلميين بني سواد بن غنم من بني سَلِمة، وهو الصحابي عنترة الذكواني السَّلِمي، وقد تكون هناك صلات غير الجوار والحلف، ولهذا نجد أُناسًا من الأنصار يخالطون بني سُليم في مواضع في شمال بلادهم، مثل الرَّحْضَية والصَّعْبَية، وكثيرًا ما كان الاختلاط سببًا للتنازع والشقاق، وهكذا يحدث بين الفريقين، والغريب في الأمر أنّ الأنصار ما كانت تمتدّ بلادهم خارج المدينة قبل ظهور الإسلام، وما كانت لهم بادية، وحول القرن الثالث الهجري تملّكوا مواقع في شرقي المدينة وجنوبها خارجة عنها، كما يذكر الهمداني أنّ منهم بادية تخالط بني سليم، ووجه الغرابة أن القبائل بعد أنْ تتحضر لا ترجع إلى البادية في الغالب»[1].

٢٤-ومما يؤيّد ما ذكره المؤرخون والبلدانيون في النصوص الكثيرة السابقة إشارةُ القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) إلى خراب المدينة في أيام الفتن التي وقعت بها، وأن أهلها خافوا على أنفسهم فرحل عنها أكثر الناس بها، ونصه كالذي نقلته عن ابن بطال (٤٤٩هـ) ثم أضاف القاضي عياض

(١) القطائع النبوية ٢٧.

كلمة مهمة، قال: «وحالها اليوم قريب من هذا، وقد خربت أطرافها وزالت أغلاقها»[١]، فهذا دليل على تواصل خروج الأنصار منها مع من خرج إلى القرن السادس زمن القاضي عياض، وكذلك أشار غيره من أهل العلم[٢] إلى خروج الأنصار من المدينة وقلّتهم بها بعد عصر الخلفاء الراشدين، للفتن المشار إليها، فخرج بعضهم إلى الأمصار خارج جزيرة العرب وانتقل بعضهم إلى قرى الحجاز وتهامة، كما وصف عرّام السلمي ومن روى عنه من أكابر البلدانيين المحققين كالسُّكُوني، وأبي الأشعث الكندي، ولُغْدة الصفهاني، وإبراهيم الحربي، وأبي عبيد البكري، و الحافظ محمد بن موسى الحازمي، وياقوت الحموي، وعاتق البلادي. وقال محمد حسن شرّاب في كلامه عن المدينة المنورة في القرن الثالث: «دعت الحاجة إلى إقامة سور لحماية أهل المدينة من هجمات البادية... حيث تزايد عدد الموالي والعبيد والمنقطعين إلى الجوار... وانحسر العرب إلى البادية»[٣]. قلت: ولا تكاد تجد منهم داخل أسوار المدينة في القرن الثاني عشر الهجري

---

(١) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض، المسمّى: إكمال المُعلم بفوائد مسلم ٤/ ٥٠٧.

(٢) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم: باب إخباره -صلّى الله عليه وسلّم- بترك الناس المدينة. ح ٤٩٨ (١٣٨٩) ٩/ ١٦٠ طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٣) المدينة النبوية في فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد حسن شراب ٢/ ٤٢ نقلا عن الحق الأبلج لعبدالمحسن بن طما ٧٦.

إلا بُويتاتٍ قليلة وأفرادًا معدودين على الأصابع ذكرهم عبدالرحمن الأنصاري في كتابه تحفة المحبّين والأصحاب، وما ذاك إلا نتيجة لخروجهم من المدينة والتحاق بعضهم بالأمصار وعودة بعضهم إلى حياة البادية في الحجاز من القرن الهجري الأوّل، مجبرين لا مختارين.

٢٥-وفي تفسير تلك النصوص العديدة التي تثبت سُكنى الأنصار في مناطق متفرّقة من الحجاز وما حول الحجاز -وبخاصة في المثلث الواقع بين المدينة وينبع ومكة- أقول: إنّ قبائل الأنصار واجهت ضغوطًا وملاحقاتٍ من بعض الخلفاء الأمويين والعباسيين وبعض ولاة المدينة المتقدّمين في زمن الأمويين والعباسيين، لميل الأنصار أو ميل بعضهم إلى عليّ بن أبي طالب وذريته في أيام الفتنة وبعدها، وليست وقعة الحرّة في عهد يزيد بن معاوية، واستباحة المدينة عنا ببعيد، فقد قُتل من الأنصار خلق كثير، كما تقدّم، وفرّ بعضهم بأهله إلى البادية، ومن هنا كان لهم امتداد في البادية وعمق يحميهم من ملاحقة الخلفاء وبعض الولاة، فحالفوا القبائل الحجازية المجاورة للمدينة وذابوا فيها مع تعاقب القرون وانعدم الأمن، وتفشّي الجهل في البادية قرونًا عديدة، فلم يكن هَمّ القبائل في تلك الأزمان الصعبة إلا العيش والأمن في ديارها وتأمين مياهها ومراعيها، وكانت تلك الظروف القاسية التي واجهت قبائل الأوس

والخزرج، مع الملاحقات المتكرّرة والتضييق عليهم في مدينتهم من أبرز الدوافع للخروج إلى البادية والسكنى بها، وهي دوافع كافية أيضا للتحالف والدخول البطيء الصامت في قبائل أكبر، وذوبانهم فيها، كما دخلت مزينة في حرب بصمت وسكتت عن دخولها المصادر القديمة، ونجد اليوم أسماء عديدة من قبائل الأنصار وبطونها مطابقة لما في بعض القبائل التي تحيط ديارها بالمدينة المنورة من جميع جهاتها، ولا يمكن أن يكون ذلك كله مجرد تشابه أسماء، فالتشابه يدعو إلى النظر حين يؤيده المكان والزمان والظروف السياسية والاقتصادية، وقد وقع مثل هذا لقبائل أخرى ورد ذكرهم في نصوص صريحة للجاسر والبلادي نقلتها في بحثي (**الأحلاف في القبائل العربية**) وليس من أهدافي في هذا البحث أن أتناول المسألة الأنصارية، وأتوسّع في أدلّتها وقرائنها، فلهذا الموضوع بحث آخر مفصل، يأتي في حينه إن شاء الله.

***

وبهذه النصوص الكثيرة المنقولة من المصادر التاريخية والبلدانية القديمة والمعاصرة يَثبت وجود القبائل الأنصارية من الأوس والخزرج في بادية الحجاز بين الحرمين إلى ينبع، وتبطل دعوى خلوّ الحجاز منهم، وبهذا يترجّح انضمام تلك القبائل والبطون

والأفناء إلى قبائل أكبر، بعد القرن الرابع، لتصبح جزءًا من مكوّناتها.
وإنّ تداخل القبائل وتحالفها وانضواء بعضها في بعض عادة اجتماعية مألوفة في جزيرة العرب، فرضتها ظروف المعيشة والحاجة إلى الأمن منذ العصر الجاهلي إلى عهودٍ قريبةٍ من القرون الماضية، قبل توحيد هذه البلاد المباركة على يد موحّدها الملك عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، وقد رأينا في نصوص العلماء منذ هشام الكلبي ما يفيد بتداخل القبائل في جزيرة العرب، كما جاء في بحثي (الأحلاف) ومع ذلك لم يكن المؤرخون شموسًا مشرقة على كل ما في الحجاز من أخبار القبائل وتحركاتها وتحالفاتها طيلة أربعة عشر قرنًا، فما غاب عنهم أكثر وأعظم، ولا شكّ أنه فاتهم من أخبار البادية وسكانها وتداخلاتها الكثير، وبخاصة أنّ عِلْمَ أكثرِ مؤرخي الحجاز بعد الدولة الأموية والعباسية لا يكاد يتجاوز أسوار المدينتين الشريفتين، كما يقول عاتق البلادي[1]، وإنّ ما سكتت عنه المصادر في الأنساب أكثر بكثير مما أفصحت عنه، فعلى الباحث الجاد الذي يريد أن يضيف شيئًا مفيدًا إلى تاريخنا القديم والوسيط، ويسدّ بعض ثغراته ألا

(١) قال البلادي في كتابه (نهاية الدرب في نسب حرب) ص ١٠: «لم يُدوّن من تاريخنا إلا ما وجدناه في المراجع التي ما كان مؤلفوها يستطيعون أن يتجاوزوا حدود الحرم».

يكتفي بما في المصادر القديمة، وهو يعلم نقصها، والتاريخ مزيج من الرواية والنصوص والقرائن والاستنباط.

ترجمة عرّام السلمي وإثبات ولادته في الحجاز ومعرفته بسكّانه ومواضعه:

يُعدّ عَرّامٌ السُّلمي من أقدم البلدانيين الذين عرفهم تراثنا، وهو من رواة اللغة المتقدمين الأثبات، ينقل عنه اللغويون في معاجمهم كما ينقل عنه البلدانيون، وهو عمدتهم في مواضع تهامة الوسطى والحجاز. له كتاب **(أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه)** أملاه على أبي الأَشْعَث الكِنْدِيّ، وعنه نقل البلدانيون.

فمَنْ عرّامٌ هذا؟ وما موطنُهُ؟ وهل هو ثقة في المواضع وسكانها؟

هو عَرّام بن الأَصْبَغ السُّلميّ، من الأعراب الرّواة المتقدمين العارفين باللغة ومواضع تهامة والحجاز، تدلّ القرائن على أنّه ولد في القرن الثاني وعاش الشطر الأكبر من حياته في القرن الثالث، لا يُعرف تاريخ مولده ولا سنة وفاته على وجه التحقيق، ينقل عنه أبو الأشعث عبدالرحمن الكندي والسَّكُوني وأبو تراب اللغوي ولُغْدة الأصفهاني وأبو عبيد البكري ومحمد بن موسى الحازمي وياقوت الحموي وغيرهم، ووَرَد اسمُه في إشارات متفرّقة في عدد من المصادر، يصفونة فيها بـ (الأعرابي)، وبـ (البدوي) أحيانًا، ولم

يفرده أحد من المتقدّمين بترجمة، سوى إشارات عابرة، منها إشارة في الفهرست، إذ ذكره النديمُ في فصحاء الأعراب الذين سَمِع منهم العلماء[١]، وإشارة في إنباه الرواة للقفطي، إذ ذكره في الأعراب الرواة الذين دخلوا الحاضرة[٢]. ووَرَد اسمه في جملة صالحة من النقولات اللغوية في معجم العين للخليل تزيد عن خمسين نصًّا، أدخلها الليث في حشو العين فيما يظهر، ووَرَد اسمه في مرويات في التهذيب للأزهري، أخذ بعضها عن الليث، وأخذ بعضها عن أبي تراب اللغوي صاحب كتاب الاعتقاب في اللغة، أحصيتها حين كتبتُ بحثي عن أبي تراب هذا، ووَرَد اسم عرّام في نصوص متفرّقة في المعاجم الكبيرة، كالعباب واللسان والتاج.

قال عبدالعزيز الميمني محقّق كتاب عرّام: «وممّا لا أكاد أقضي منه العَجَب أنّ أحدًا من أصحاب التراجم لم يذكر عَرّامًا»[٣]، يريد: أنّ أحدًا لم يذكره بترجمة صريحة، مع أنّه عُمدةُ البلدانيين في الحجاز وتهامة، ومن رواة اللغة الثقات المتقدمين.

(١) الفهرست ٥٣ تحقيق رضا تجدّد.

(٢) إنباه الرواة ٤/ ١٢٠، ١٢٢.

(٣) بحوث وتحقيقات عبدالعزيز الميمني ١/ ٤٦٦.

فأين وُلد عرّامٌ وأين نشأ؟

يرى عاتقُ البلادي أنّ عرّامًا وُلد ونشأ في خراسان فيما يعرف اليوم بإيران، وقال في سياق نقده عرّامًا في أحد المواضع: «إنّ عرّامًا لم ير الحجاز ولا مشى فيه!»[١]، وقال: «إنّ عرّامًا رغم أنّه سُلمي، إلا أنّه وُلد ونشأ ببلاد ما يُعرف اليوم بإيران»[٢]، هكذا، وهو قول مستغرب من البلادي الذي عرفناه محقّقًا ومُدقّقًا، فكيف يقول هذا دون دليل ولا سند من قول ولا علّة ولا قرينة، فإنّ كانت المصادر سكتت عن ترجمة مفصّلة لعرّام فإنّ النصوص والأوصاف الواردة فيه ناطقة بأنّه نشأ بالبادية وتمرّس باللغة وعرف بلاد قومه سُليم وأوديتها ومياهها وشجرها، ثم حين برع في حفظ اللغة وصَفَتْ سليقته وطاف ببلاد قومه وخَبَر مواضعَها وخَبَر سكّانَها خبرةَ الحاذق الفَطِن صار أهلا لأنْ يكون من الأعراب الذين ينتخبهم ابن طاهر ويستقدمهم إلى نيسابور بخراسان بعد سنة ٢١٧هـليكون مُربّيًا ومُعلمًا.

أمّا الوهم أو الأوهام التي أخذها عاتق البلادي على عرّامٍ في كتابه وجعلها دليلا على أنّ عرّامًا لم ينشأ بالحجاز ولا مشى فيه فلا يخلو منها كتاب بلدان، وحتى بلدانيات البلادي نفسه لم تخل من الأوهام، مع أنّ أدوات البحث والاطلاع والتنقّل مواتية له أكثر من عرّام وياقوت بمراحل

(١) محراث التراث ٢٧.

(٢) محراث التراث ١٤.

كثيرة، ومع نقده عرّامًا نراه يعتمد على كثير من نصوصه، في معجمه الكبير (معجم معالم الحجاز)، وينقل النصوص التي أشارت إلى سُكنى الأنصار في الديار التي ذكرها عرّام، إما نقلا مباشرًا أو بواسطة، دون أن يُنكر عليه شيئًا منها، أو يعلّق بما يفيد الشكّ.

والقول الصحيح الذي تؤيّده الأدلّة والقرائن أنّ عرّامًا نشأ بالبادية بين ظهراني قومه قبيلة سُليم الحجازية التّهامية، كما يظهر من أقوال العلماء المحقّقين، أمثال القفطي وياقوت الحموي وعبدالعزيز الميمني وخير الدين الزركلي وعبدالسلام هارون، وتعضّده الأوصافُ التي وُصِف بها عرّامٌ، وهي أنه (أعرابي) و(بدوي) و(من الأعراب الذين دخلوا الحاضرة) ويعضّده أيضًا علمه الغزير بمواضع تهامة والحجاز، وأنه يَصدر في وصفها عن نفسه ولا ينقل عن غيره.

وإليكم أقوال العلماء التي تثبت ذلك:

١- ذكر القفطي جماعةً من (الأعراب الذين دخلوا الحاضرة)، ومنهم عرّام السُّلمي[١]، وقوله (دخلوا الحاضرة) صريح بأنهم كانوا في ديارهم في أوّل أمرهم، ثم دخلوا الحاضرة، للاسترزاق والتكسّب

---

(١) إنباه الرواة ٤/ ١٢٠، ١٢٢.

بما يحفظونه من لغةٍ ومعارفَ في البلدان والأنساب، وصريح – أيضًا- بأنّهم لم يولدوا في خراسان ولم ينشأوا بها.

٢- وعرض ياقوت في رسم (ثافل) لمعنى نبات (الأَيْدَع) عند عَرّام، وهو شجر يشبه الدُّلْب، وذكر أنّ اللغويين غير عرّامٍ مختلفون فيه، فأخذ ياقوت بقول عرّام، وقال: «والصواب عندنا قول عَرّام؛ لأنّه بدويّ من تلك البلاد، وهو أعرف بشجر بلاده، ونِعم الشاهدُ على قول عرّامٍ قول كثيّر حيث قال:

كأنَّ حُمُــولَ القَوْمِ حِينَ تَحَمَّلُوا صَرِيمَةُ نَخْلٍ أو صَرِيمةُ أَيْدَعِ»[1]

وهذا صريح بأن عرّامًا عاش في الحجاز أوّل أمره قبل أن ينتقل إلى خراسان، وياقوت بلدانيّ ومؤرّخ ومحقّق، يعرف عرّامًا ويعرف الديار التي نشأ بها.

٣- وذكر ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة أبي سعيد الضرير أنّ عبدالله بن طاهر –وكان ولّاه المأمون خراسان سنة ٢١٧ هـ- استقدم جماعة من الأعراب منهم عرّام، لتأديب أولاد القادة، قال ياقوت: «قال السّلاميّ: حدّثني أبو العبّاس محمّد بن أحمد الغضاريّ، قال حدثني عمّي محمد بن الفضل، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة، قال: لما قدم عبد الله بن طاهر نيسابور وأقدمَ معه

---

(١) معجم البلدان ٢/ ٧١.

جماعةً من فرسان طرسوس وملطية، وجماعةً من أدباء الأعراب، منهم عرّام وأبو العميثل وأبو العيسجور وأبو العجنّس وعوسجة وأبو العذافر وغيرهم، فتفرّس أولاد قوّاده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتأدّبوا بأولئك الأعراب، وبهم تخرّج أبو سعيد الضرير، واسمه أحمد بن خالد، وكان وافى نيسابور مع عبد الله بن طاهر، فصار بهم إمامًا في الأدب»[١]. وهذا صريح في جلبهم من البادية لذلك الغرض الذي ذكره ياقوت، وأنّهم لم يولدوا في خراسان ولم ينشأوا بها.

٤- وحقق عبدالعزيز الميمني كتاب عرّام ونخله نخلًا وعرف أسراره ومحاسنه وعيوبه، فقال: إنه «أوّل ما كتَبَهُ العربُ في البلدان، أو في جغرافيا الحجاز وتهامة، أملاه في مبتدإ القرن الثالث رجلٌ طاف بلادها وبقاعها، وخِرِّيت جاب أغوارها ونجادها، وذاق من ثمارها وشرب من عيونها وبئارها، وخالط أحياءها وقبائلها، وسلك فجاجها ورَقِيَ قواعلَها، فقتل أرضها خِبرةً وخبرا، ووصف كلَّ ما فيها كما شاء وعلى ما رأى:

إذا قـال لـم يَـتْرُكْ مَقـالا لقائـلٍ
بمُلتَقَطـاتٍ لا تَـرَى بينَهـا فَصْـلًا

(١) معجم الأدباء ١/ ٢٥٤.

كَفَى وشَفَى ما في النُّفُـوسِ فلـم يَـدَعْ

لذي إِرْبَةٍ في القَوْلِ جِدًّا ولا هَـزْلا»[١]

والميمني محقّق مدقّق، ولم يقل هذا القول الصّريح في موطن عرّام ومنشئه إلا عن خبرة به وبكتابه الذي حقّقه، وعرف ما فيه كلمة كلمة.

٥- وقال خير الدين الزِّرِكلي في الأعلام: «عرّام بن الأَصْبَغ السّلمي: ثقة في معرفة جبال تهامة وقراها وسكانها، كان أعرابيًّا من بني سليم، تنقّل في جهات تهامة، ووضع كتابًا»[٢].

٦- وقال عنه عبدالسلام هارون في تحقيقه لكتابه: «ويبدو أنه كان أحد أعراب بني سُليم ممن كانوا يطوفون بالبلدان ويتعرّفون مسالكها، فيكتسبون بذلك خبرة صادقة»[٣]. وهارون خبير بالمخطوطات وأحوال العلماء الأوائل.

تلك أقوال صريحة -كما ترى- قالها علماء عرفوا عرّاما واتصلوا بعلمه بسبب، وهي تشير إلى نشأته في ديار قومه سُليم بالحجاز وتهامة. وقد كان كتابه في المواضع والأودية والمياه والجبال والنبات وأهل الديار موضع تقدير وترحيب من علماء البلدانيات جميعهم، مثل لُغدة الأصفهاني وأبي

(١) بحوث وتحقيقات (عبد العزيز الميمني) ١/ ٤٦٧.

(٢) الأعلام ٤/ ٢٢٣.

(٣) أسماء جبال تهامة وسكانها ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٧٨.

عبيد البكري والحازمي وياقوت الحموي، نقلوا عنه، وهو عندهم ثقة فيما يصف، ونقل عنه اللغويون أشتاتًا متفرّقة من اللغة في معاجمهم، وهم في الجملة يثقون في البدو الفصحاء الذين يجيئون من البادية ويدخلون العراق وخراسان. ومن المؤكّد أنّ معارف عرّام البلدانية واللغوية أهّلته لأن يكون من صفوة الأعراب الذين يُستقدمون لتعليم أولاد القادة والولاة في نيسابور زمن ابن طاهر، وكانت نزعته إلى الترحال والاطلاع على المواضع وحاجته إلى الكسب سببًا من أسباب قصده العراقَ وخراسان.

فإن وَهِم عرّام في بعض المواضع من كتابه -كما يقول البلادي- فليس أوّلَ الواهمين ولا آخرَهم، وأين البلداني القديم الذي لا يهم ولا يخطئ؟ وهل سلمت كتب الهمداني ولُغدة والبكري والحازمي وياقوت من الأوهام والأخطاء في المواضع؟ ثم لعلّ بعض ما في كتاب عرام كان من أثر النُّسّاخ واضطراب النسخ، وهي كثيرة الاضطراب والتفاوت، قال الميمني: «ويظهر بعد مقابلة الروايتين أنّ نسخ الكتاب كانت مختلفة جِدَّ اختلافٍ منذ قديم، وقد أورث هذا الاختلاف المتوارَث، إلى اختلافات الورّاقين، وتصحيفات النُسّاخ الحادثة، تضاربًا في الأقوال والمذاهب فاحشًا، وتشتتًا في تسمية الأماكن والبقاع وغيرها، وضبطُها ووصفُها وتحديدُها غير هَيِّن»[1].

---

(١) بحوث وتحقيقات عبدالعزيز الميمني ١/ ٤٦٨.

(٣)

التحرير والإنباء
عن بني عوف أهل قُباء

عبدالرزاق الصاعدي

*نشرت في مجلة الثقافية بجريدة الجزيرة بتاريخ ١٧ ديسمبر ٢٠٢١م

لم تكن مسألة (أهل قُباء) من الأنصار محلّ خلاف ونزاع عند النسّابة والمؤرّخين المتقدّمين، وينبغي ألا تكون كذلك عند المتأخّرين، فمصادر النسب أخبرتنا بهم، وعلى الرغم من ذلك اضطرب فيها أناس من أشباه العامة، وتخبّطوا فيها تخبّط العشواء، وزعم بعضهم أنّ بني عوف بن مالك بن الأوس ليسوا أهل قباء، وإنّما أهل قباء هم بنو عمرو بن عوف، ومما أغواهم أنهم وجدوا بعض المصادر تصف بني عمرو بن عوف بأنهم أهل قُباء، وحَرِيٌّ بالغاوي أن يسترشد حين يرى مصادر الأنساب القديمة منذ هشام الكلبي (٢٠٤هـ) تنصّ نصًّا صريحًا على أنّ أهل قباء هم بنو عوف بن مالك بن الأوس، وألا يلتبس عليه قول بعض المصادر: إن أهل قباء هو بنو عمرو بن عوف، فمَن له أدنى دراية بأنساب الأوس من الأنصار يعلم أنّ بني عمرو فرعٌ من بني عوف، وكذلك بنو الحارث بن عوف، وكلّ عَمريّ من هؤلاء هو عوفيّ بلا ريب حين ترفع نسبه، وأنّ ديار بني عوف بن مالك الأوسية وفرعيها بني عمرو وبني الحارث الذين دخلوا في بني زيد بن أمية من بطون بني عمرو بن عوف–كما سيأتي- كانت قباء وما يجاورها، وأنّ بني عمرو هذه غير بني عمرو بن مالك (النَّبِيت). وهذا يعلمه من له أدنى علم بنسب الأنصار.

فكل من ينتمى إلى عمرو بن عوف أو أي بطن من بطونها هو عَمريّ، وهو عوفيّ حين يُرفع نسبه، فمن قال من أهل العلم: إن أهل قباء بنو عمرو لم

يرفع نسبهم، ومن قال إنهم بنو عوف رفع نسبهم إلى عوف، فهم هم، وديارهم هي ديارهم، ولا تعارض ولا اختلاف بين المصادر، وسأحرّر هذه المسألة تحريرًا أرجو أن يكون وافيًا شافيًا.

أولا: نسب عوف بن مالك بن الأوس (باختصار):

يقول علماء النسب وعلى رأسهم هشام الكلبي (ينظر: نسب معدّ ١/ ٣٦٤ وجمهرة النسب ٦٢١ت ٦٣٣، وجمهرة ابن حزم ٣٣٢): فوَلَدَ الأوسُ بن حارثة: مالكًا: فَوَلَد مالِك بن الأَوْس خمسة نَفَر: عَمْرًا، وهُو النَّبِيتُ؛ وعَوْفًا، وهم أهلُ قُباء؛ ومُرَّة، وهم الجعادِر، وجُشَمُ، وهو أبو بني خَطَمَة؛ وامْرَأَ القَيس، وهو أبو بَني واقِف.

وهَؤُلاءِ بَنو عَوْف بن الأَوْس وهم مرادنا في هذا البحث، قال النسّابة:

وَلَدَ عَوْفُ بن مالِك بن الأَوْس: عَمْرًا، والحارِثَ (دخل بنوه في بني أمية بن زيد).

فَوَلَدَ عَمْرو بن عَوْف بن مَالِك بن الأَوْس: عَوْفًا، وحَبيبًا ولَوْذَانُ.

فَوَلَدَ عَوْف بن عَمْرو بن عوف: مَالِكاً، وكُلْفَةَ، وحَنَشًا.

فوَلَدَ مالِك بن عَوْف عَمرو بن عَوْف: زَيْدًا، وعَزِيزًا، ومُعَاوِيَةَ. قال الكلبي: معاوية قَبِيلة على جُدّةٍ بأُحُد ليسوا بقُباء (وذكرت بعض المصادر

كالتحفة اللطيفة ١/ ١٢٣ وخلاصة الوفاء ١/ ٥٥٥ أنهم أهل مسجد الإجابة) أُمَّهُم: العَوْراءُ بنت النَجّار. فوَلَدَ زَيْد بن مَالِك بن عَوْف: ضُبَيْعَة، وأُمَيَّةَ، وعُبِيْدًا. فوَلَد ضُبَيْعَة بن زَيْد: أَمَة، والعَطَّاف، وزَيْدًا. وحسبنا هذا من فروعهم.

ويتضح من نصوص النسّابة أنّ بني عوف بفرعها الأكبر بني عمرو وأخوتهم بنو الحارث الذين دخلوا في بعض فروع إخوتهم بني عمرو، أعني (بني أمية بن زيد) كما قال ابن حزم (جمهرة أنساب العرب ٣٣٢ وينظر: جمهرة النسب للكلبي ٦٢١) هم أهل قباء، ويستثنى من ذلك بنو معاوية بن مالك فليسوا من أهل قباء، كما تقدم، فبقيت جلّ فروع بني عوف ومن تفرّع منهم في قباء، فلا يُستغرب أن يقال: إن أهل قباء هم بنو عوف، فهم الأصل، ولا يستغرب –أيضًا- أن يقال: بنو عمرو بن عوف هم أهل قباء، فهم الفرع الأكبر من عوف، فكل هؤلاء في قباء، إلا من نصّ أهلُ النسب على أنهم ليسوا من أهل قباء، كما أسلفت، ثم يُلاحظ أنّ عمرًا هذه مكنوفة بعوفين، عوفٍ قبلها وهو أبوها، وعوفٍ بعدها، وهو أحد أبنائها وبطونها، فعوفُ الثانية هذه يمكن تسميتها: بـ (عوف الصغرى) ومنها مالِك وكُلْفَة وحَنَش، كما تقدّم، وبنو عمرو وجميع بطونهم يجمعهم (عوف بن مالك بن الأوس) حين يُرفع نسبهم، وبهذا يظهر لك أن مَنْ وَصَفَ (بني عوف بن مالك) بأنهم أهل قباء فهو مصيب، ومن وصف بني عمرو بن عوف بن مالك

بأنهم أهل قباء فهو مصيب، أيضًا، ومَن وَصَفَ أيّ فرِع من فروِع عوف بن مالك بن الأوس (باستثناء بني معاوية بن مالك) بأنهم أهل قباء فهو مصيب غير غالط، ومن هنا توسّعت المصادر في هذا، كما سيأتي، وأما (بنو عمرو بن مالك) إخوة (بني عوف بن مالك) فليسوا من أهل قباء، وهم من يقال لهم: النَّبِيت، فكل من ينتمي إلى عمرو بن عوف في زمن النبوّة والخلفاء الراشدين فهو من أهل قباء إلا بني معاوية. قال العَوْتَبي الصُّحاري: «ومِن بني مالك بن الأوس: عوف بن مالك وولده، ويعرفون ببني عوف»(الأنساب ٥٣٣) فقوله عن عوف وولده عمرو والحارث وعقبهم: (يعرفون ببني عوف) إشارة صريحة غفل عنها المضطربون في هذه المسألة.

ثانيا: أقوال النسّابة المتقدّمين في أهل قباء:

أ- **القائلون بأن أهل قباء هم بنو عوف بن مالك: (نسبوهم إلى جدّهم الأعلى):**

١- قال هشام الكلبي في نسب معد واليمن الكبير ١/ ٣٦٤: «بنو الأَوْس بن حارثة: فَوَلَدَ الأَوْس بن حارثة: مالِكًا، فوَلَدَ مالك بن الأوس خمسة نَفَر: عَمْرًا، وهو النَّبِيتُ؛ وعَوْفًا، وهم أهل قُباء» وقال مثل هذا في جمهرة النسب. ثم قال بعد أن فرِغ من نسب عوف بن مالك وبطونها وفروعهم وأراد أن ينتقل إلى غيرهم: «فهؤلاء من ولد مالك بن الأوس، وهم أهل قباء»(جمهرة النسب ٦٢١) فتأمل كيف ردّ آخرهم

على أولهم حين ذكر في أوّل حديثه عنهم أنّ بني عوف هم أهل قباء، ثم فصّل في فروعهم –ومنهم بنو عمرو بن عوف- فقال عند فراغه منها: هم أهل قباء، وأراد بذلك أن يرسّخ ما ذكره في صدر الكلام ويردّ الآخر على الأول، وأن يقول: إن الفروع من نسل عوف بن مالك كلهم أهل قباء إلا من استُثني منهم، وهم بنو معاوية بن مالك. ولعمري إن هذا وحدَه كافٍ للقول: إنّ بني عوف هم أهل قباء على التعميم؛ لأن بني عمرو داخلون في عموم بني عوف.

٢- وقال ابن دريد في الاشتقاق ٤٣٧ في كلامه على فروع الأنصار: «بطون الأوس ورجالهم: وَلَدَ مالكٌ: عوفًا، وهم أهلُ قُباء؛ وعمرًا، وهو النَّبيت».

٣- وقال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب ٣٣٢ في أنساب الأوس: «وهؤلاء بنو عوف بن مالك بن الأوس بن حارثة، وهم أهل قباء» ثم قال في موضع آخر ٤٧٠: «هذه بطون الأوس: بنو عوف بن مالك بن الأوس، وهم أهل قباء؛ وبنو عمرو بن مالك بن الأوس، وهم النّبيت».

٤- وقال العَوْتبي الصُّحاري في كتابه الأنساب ٥٣٣ (تحقيق محمد إحسان النَّصّ): «الأوس: فولد الأوسُ بن حارثة رجلا، وهو مالك بن الأوس، ومن مالك تفرّقت قبائل الأوس وبطونها، فولد مالك بن الأوس خمسة رهط: عمرو بن مالك، وهو النَّبِيت، فمن النَّبِيت بنو

عبدالأشهل، وبنو حارثة، وبنو ظَفَر، واسمه ظَفَر كعب، فهذه النَّبِيت. وهم سكان قباء. ومن بني مالك بن الأوس، عوف بن مالك وولده، ويعرفون ببني عوف، وهم أهل قباء –أيضًا- مع النبيت». انتهى.

قلت: قوله بأنّ بني عمرو بن مالك الذين يعرفون بالنَّبِيت هم أهل قباء فوهم منه، فليسوا في قباء، فلعله خلط بين بني عمرو بين عوف وبني عمرو بن مالك.

٥- وقال الأشعري في نسب مالك بن الأوس: «فأولد الأوسُ: مالكًا، وأُمُّه هند بنت سُويد (أو سعد) بن كاهل بن عذرة بن زراعة، فأولد مالك خمسة: عوفًا، وهم أهل قباء، وعمرًا....»(التعريف بالأنساب ١٤٩).

فهذه أقول صريحة لخمسة من النسابة الكبار تنصّ على أن بني عوف هم أهل قباء.

ب-القائلون بأن أهل قباء هم بنو عمرو بن عوف بن مالك: (نسبوهم **إلى جدهم الأدني)**:

وهم يقتصرون على الفرع العَمري دون العَوفي، وهو صحيح كما تقدّم، ونجد هذا في كلام جماعة من المتقدّمين، منهم: ابن شبّة، قال في تاريخ المدينة ١/ ٤٧، قال: «عَمرو بن عَوْف... وهُمْ أَهل قُباءٍ». وقال ابن قتيبة في المعارف ١/ ١١٠: «بنو عمرو بن عوف، أهل قباء». وقال ابن

الجوزي في المنتظم ٣/ ٦٣: «بنو عَمرو هم أهلُ قُباء، وعليهم نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وسَلَّمَ». وقال الديار بكري في تاريخ الخميس ١/ ٣٣٦: «وفى رواية بعث النبىّ -صلّى الله عليه وسلم- إلى الأنصار من يخبرهم بقدومه... فتلقّوا رسول الله -صلّى الله عليه وسلم- بظهر الحرّة، فعدل بهم ذات اليمين نحو قُباء حتى نزل أعلى المدينة فى حيّ يقال لهم بنو عمرو بن عوف، وهم أهل قباء». ولا تعارض بين هذه الأقوال وأقوال النسّابة الذين قالوا: إنّ بني عوف هم أهل قباء، فكل الأقوال صحيحة؛ لأنّ بني عمرو بن عوف هم بطن من بني عوف، وكلهم في قُباء إلا من استثني منهم، فمن المصادر من يرفع النسب ومنهم من يخفضه، كما تقدم.

ثالثا: نسب كلثوم بن الهدم وأمثاله:

جاء نسبه في طبقات ابن سعد هكذا: كُلثُومُ بن الهِدْم بن امرئ القَيس بن الحارِث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عَمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس. (الطبقات الكبرى ط ٣/ ٦٢٣ دار صادر). وأغلب المصادر حين تنسبه تقول: العَمْري أو تقول: من بني عمرو، وبعضها يقول من بني زَيد بن مالِك، أو من بني عُبَيْد، وبعضها يقول العوفي، وهي صحيحة كلها، قال الذّهبي: أوّل ما قدم رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- إلى المدينة نزل بقباء عند الصحابي

كلثوم بن الهدم بن أمرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري العوفي، شيخ الأنصار.(سيرة أعلام النبلاء: الذهبي،ج١-٢٤٢.م٣٨) ، فكما ترى رفع الذهبيُّ نسب كلثوم إلى عوف؛ لأنهم أصل، وبنو عمرو فرع منهم، وهذا ظاهر لا يخفى على أهل العلم.

والأصل في ترتيب النسب أنّ تبدأ من الأعلى ثم تنحدر إلى من تريد ذكرهم من البطون أو الأسماء التي تنسب إليها، قال أبو البقاء الكَفَويّ في الكلّيّات ٨٩٠: «والنّسب إذا كانَ إلى أبي بكر الصّديق، يُقال: القُرشِي التَّيْمِيّ البَكْرِيّ؛ لأنّ القُرشِي أعَمّ من أن يكون هاشِميًّا، والتيميّ أَعَمّ من أن يكون من ولد أبي بكر، وإن كانَ إلى عمر الفارُوق يُقال: القُرشِي العَدوي العُمَرِيّ، وإن كانَ إلى عُثْمَان بن عَفّان يُقال: القُرَشِي الأُمَوِيّ العُثماني، وإن كانَ إلى عليّ بن أبي طالب يُقال: القُرشِي الهاشِمِيّ العَلَوِيّ». انتهى، قلت: ويجوز أن تعكس، ولذا ترى في المصادر: القرشي التيمي، وترى: التيمي القرشي، وكذلك ترى: القرشي السهمي، وترى: السهمي القرشي، ويجوز أن تذكر بطونا وتهمل بطونا، لأنه يصعب ذكر كل البطون في سلسلة النسب للرجل الواحد، فيُكتفى ببعضها أو بالأشهر.

وتكون النسبة إلى كل من ينتمي إلى بني عمرو بن عوف الأوسية مثل كلثوم بن الهِدْم بعِدّة أوجه، فيقال: (كلثوم بن الهِدم العمري) بالاقتصار على البطن، و(كلثوم بن الهِدم العوفي) بالرفع إلى الأعلى، و(كلثوم بن الهِدم العوفي العمري) أو (كلثوم بن الهِدم العوفي ثم العمري) بالجمع بينهما من الأعلى إلى الأدنى، و(كلثوم بن الهِدم العمري العوفي) بالجمع بينهما من الأدنى إلى الأعلى، وربما نسبته إلى بطن أصغر كبني زيد بن مالك أو بني عُبيد بن زيد، لأنهم من سلسلته، كما سيأتي في تنبيهٍ نفيس لابن الأثير، ولذا تفاوتت المصادر، فالذهبي قال العوفي، وقال ابن الأثير في أسد الغابة ٢/ ٣٨٧ (العوفي العمري) وذلك في نسبٍ صحابي من بني عمرو بن عوف، هو «سالم بن عُمير بن كُلْفة بن ثَعْلَبة بن عَمرو بن عوف الأنصاري العوفي العمري»، ونجد في سير أعلام النبلاء للذهبي قوله: «سَهْل بن حُنيف، أبو ثابت، الأنصاري الأوسي العَوْفِيّ» وهذه صحيحة كلها، وكثير من مصادر السيرة تأخذ بالفرع ولا ترفع إلى الأصل، فتقول عن كلثوم بن الهدم: العمري، وبهذا تعلم علم اليقين أنّ الذهبي -رحمه الله- لم يغلط حين رفع نسب كلثوم إلى بني عوف فقال: العوفي.

وأختم مقالي هذا بنصٍ نفيسٍ ورد في أُسْد الغابة لابن الأثير، في ترجمة كلثوم بن الهِدْم نفسه، فقد استشكل بعض أهل العلم ما

وجدوه في بعض المصادر القديمة، مثل: «كلثوم بن هدم، أخو بني عَمْرو بن عوف. وقيل: كانَ أحد بني زَيد بن مالِك، وقيل: أحد بنى عُبيد»، فقال ابن الأثير في (أُسْد الغابة ٤/ ١٩٥، ١٩٦ ط الفكر): «قلت: قول أبي نعيم وأبي مُوسَى: كلثوم بنُ هِدْم أحد بني عَمْرو بْن عوف، وقيل: أحد بني زَيْد بْن مَالِك، وقيل: أحد بني عُبَيْد، إذا رآه من لا معرفة له بالنسب لظنّه اختلافًا، وليس كذلك. ولو ساقا نسبه لعلما أنّه واحد، فإنّ (لعله: فإنه) عُبَيد بن زَيد بن مالِك بن عمرو بن عوف؛ فمنهم من نسبه إلى عُبَيد بن زَيد، ومنهم من نسبه إلى أبيه زَيد بن مَالك، ومنهم من نسبه إلى عمرو بن عوف، وهو والد مالك، فلا اختلاف فيه»، انتهى. قلت: ولو رفعه إلى عوف بن مالك، فلا اختلاف فيه أيضًا.

وبهذا يتضح أنّ أهل قباء في عصر النبوّة والخلفاء الراشدين هم بنو عوف والبطون المنحدرة منهم، ومن بطونهم بنو عمرو والبطون المتفرّعة منهم، ومن بطون بني عمرو العوفية: عوف بن عمرو بن عوف، ويستثنى من تلك البطون بنو معاوية بن مالك. ومن لا يَعرف تركيبة القبائل وطرائق النسبة يخلط في هذا ويتخبّط ويُفسد.

(٤)

عَرّامُ السُّلميّ
ابنُ الحجاز العارفُ بمواضعِهِ وسكانِهِ
(ترجمة علميّة)

عبدالرزاق الصاعدي

*نشرت في مجلة الثقافية بجريدة الجزيرة بتاريخ ٢٤ سبتمبر ٢٠٢١م

يُعدّ عَرّامٌ السُّلمي من أقدم البلدانيين الذين عرفهم تراثنا، وهو من رواة اللغة المتقدمين الأثبات، ينقل عنه اللغويون في معاجمهم كما ينقل عنه البلدانيون، وهو عمدتهم في مواضع تهامة الوسطى والحجاز. له كتاب **(أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه)** أملاه على أبي الأشعث الكندي، وعنه نقل البلدانيون.

فمَنْ عرّامٌ هذا؟ وما موطنُهُ؟ وهل هو ثقة في المواضع وسكانها؟

هو عَرّام بن الأَصْبَغ السُّلميّ، من الأعراب الرّواة المتقدمين العارفين باللغة ومواضع تهامة والحجاز، تدلّ القرائن على أنّه ولد في القرن الثاني وعاش الشطر الأكبر من حياته في القرن الثالث، لا يُعرف تاريخ مولده ولا سنة وفاته على وجه التحقيق، ينقل عنه أبو الأشعث عبدالرحمن الكندي والسَّكُوني وأبو تراب اللغوي ولُغْدة الأصفهاني وأبو عبيد البكري ومحمد بن موسى الحازمي وياقوت الحموي وغيرهم، ووَرَد اسمُه في إشارات متفرّقة في عدد من المصادر، يصفونة فيها بـ (الأعرابي)، وبـ (البدوي) أحيانًا، ولم يفرده أحد من المتقدّمين بترجمة، سوى إشارات عابرة، منها إشارة في الفهرست، إذ ذكره النديمُ في فصحاء الأعراب الذين سَمِع منهم العلماء[1]،

(١) الفهرست ٥٣ تحقيق رضا تجدّد

وإشارة في إنباه الرواة للقفطي، إذ ذكره في الأعراب الرواة الذين دخلوا الحاضرة[١]. ووَرَد اسمه في جملة صالحة من النقولات اللغوية في معجم العين للخليل تزيد عن خمسين نصًّا، أدخلها الليث في حشو العين فيما يظهر، ووَرَد اسمه في مرويات في التهذيب للأزهري، أخذ بعضها عن الليث، وأخذ بعضها عن أبي تراب اللغوي صاحب كتاب الاعتقاب في اللغة، أحصيتها حين كتبتُ بحثي عن أبي تراب هذا، ووَرَد اسم عرّام في نصوص متفرّقة في المعاجم الكبيرة، كالعباب واللسان والتاج.

قال عبدالعزيز الميمني محقّق كتاب عرّام: «وممّا لا أكاد أقضي منه العَجَب أنّ أحدًا من أصحاب التراجم لم يذكر عَرّامًا»[٢]، يريد: أنّ أحدًا لم يذكره بترجمة صريحة، مع أنّه عُمدةُ البلدانيين في الحجاز وتهامة، ومن رواة اللغة الثقات المتقدمين.

فأين وُلد عرّامٌ وأين نشأ؟

يرى عاتقُ البلادي أنّ عرّامًا وُلد ونشأ في خراسان فيما يعرف اليوم بإيران، وقال في سياق نقده عرّامًا في أحد المواضع: «إنّ عرّامًا لم ير الحجاز

(١) إنباه الرواة ٤/ ١٢٠، ١٢٢.

(٢) بحوث وتحقيقات عبدالعزيز الميمني ١/ ٤٦٦.

ولا مشى فيه!»[١]، وقال: «إنّ عرّامًا رغم أنّه سُلمي، إلا أنّه وُلد ونشأ ببلاد ما يُعرف اليوم بإيران»[٢]، هكذا، وهو قول مستغرب من البلادي الذي عرفناه محقّقًا ومُدقّقًا، فكيف يقول هذا دون دليل ولا سند من قول ولا علّة ولا قرينة، فإنّ كانت المصادر سكتت عن ترجمة مفصّلة لعرّام فإنّ النصوص والأوصاف الواردة فيه ناطقة بأنّه نشأ بالبادية وتمرّس باللغة وعرف بلاد قومه سُليم وأوديتها ومياهها وشجرها، ثم حين برع في حفظ اللغة وصَفَتْ سليقته وطاف ببلاد قومه وخَبَر مواضعَها وخَبَر سكّانَها خبرةَ الحاذق الفَطِن صار أهلا لأنْ يكون من الأعراب الذين ينتخبهم ابن طاهر ويستقدمهم إلى نيسابور بخراسان بعد سنة ٢١٧هـليكون مُربّيًا ومُعلمًا.

أمّا الوهم أو الأوهام التي أخذها عاتق البلادي على عرّامٍ في كتابه وجعلها دليلا على أنّ عرّامًا لم ينشأ بالحجاز ولا مشى فيه فلا يخلو منها كتاب بلدان، وحتى بلدانيات البلادي نفسه لم تخل من الأوهام، مع أنّ أدوات البحث والاطلاع والتنقّل مواتية له أكثر من عرّام وياقوت بمراحل كثيرة، ومع نقده عرّامًا نراه يعتمد على كثير من نصوصه، في معجمه الكبير (معجم معالم الحجاز)، وينقل النصوص التي أشارت إلى سُكنى الأنصار في

---

(١) محراث التراث ٢٧.

(٢) محراث التراث ١٤.

الديار التي ذكرها عرّام، إما نقلا مباشرًا أو بواسطة، دون أن يُنكر عليه شيئًا منها، أو يعلّق بما يفيد الشكّ.

والقول الصحيح الذي تؤيّده الأدلّة والقرائن أنّ عرّامًا نشأ بالبادية بين ظهراني قومه قبيلة سُليم الحجازية التّهامية، كما يظهر من أقوال العلماء المحقّقين، أمثال القفطي وياقوت الحموي وعبدالعزيز الميمني وخير الدين الزركلي وعبدالسلام هارون، وتعضّده الأوصافُ التي وُصِف بها عرّامٌ، وهي أنه (أعرابي) و(بدوي) و(من الأعراب الذين دخلوا الحاضرة) ويعضّده أيضًا علمه الغزير بمواضع تهامة والحجاز، وأنه يَصدر في وصفها عن نفسه ولا ينقل عن غيره.

وإليكم أقوال العلماء التي تثبت ذلك:

١- ذكر القفطي جماعةً من (الأعراب الذين دخلوا الحاضرة)، ومنهم عرّام السُّلمي[١]، وقوله (دخلوا الحاضرة) صريح بأنهم كانوا في ديارهم في أوّل أمرهم، ثم دخلوا الحاضرة، للاسترزاق والتكسّب بما يحفظونه من لغةٍ ومعارفَ في البلدان والأنساب، وصريح – أيضًا- بأنّهم لم يولدوا في خراسان ولم ينشأوا بها.

---

(١) إنباه الرواة ٤/ ١٢٠، ١٢٢.

٢- وعرض ياقوت في رسم (ثافل) لمعنى نبات (الأَيْدَع) عند عَرّام، وهو شجر يشبه الدُّلْب، وذكر أنّ اللغويين غير عرّامٍ مختلفون فيه، فأخذ ياقوت بقول عرّام، وقال: «والصواب عندنا قول عَرّام؛ لأنّه بدويّ من تلك البلاد، وهو أعرف بشجر بلاده، ونِعم الشاهدُ على قول عرّامٍ قول كثيّر حيث قال:

كـأنَّ حُمُـــولَ القَـوْمِ حِـينَ تَحَمَّلُـوا

صَـرِيمَةُ نَخْـلٍ أو صَرِيـمةُ أَيْـدَعِ»[١]

وهذا صريح بأن عرّامًا عاش في الحجاز أوّل أمره قبل أن ينتقل إلى خراسان، وياقوت بلدانيّ ومؤرّخ ومحقّق، يعرف عرّامًا ويعرف الديار التي نشأ بها.

٣- وذكر ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة أبي سعيد الضرير أنّ عبدالله بن طاهر –وكان ولّاه المأمون خراسان سنة ٢١٧ هـ- استقدم جماعة من الأعراب منهم عرّام، لتأديب أولاد القادة، قال ياقوت: «قال السّلاميّ: حدّثني أبو العبّاس محمّد بن أحمد الغضاريّ، قال حدثني عمّي محمد بن الفضل، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة، قال: لما قدم عبد الله بن طاهر نيسابور وأقدمَ معه جماعةً من فرسان طرسوس وملطية، وجماعةً من أدباء الأعراب،

(١) معجم البلدان ٢/ ٧١.

منهم عرّام وأبو العميثل وأبو العيسجور وأبو العجنّس وعوسجة وأبو العذافر وغيرهم، فتفرّس أولاد قوّاده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتأدّبوا بأولئك الأعراب، وبهم تخرّج أبو سعيد الضرير، واسمه أحمد بن خالد، وكان وافى نيسابور مع عبد الله بن طاهر، فصار بهم إمامًا في الأدب»[1]. وهذا صريح في جلبهم من البادية لذلك الغرض الذي ذكره ياقوت، وأنّهم لم يولدوا في خراسان ولم ينشأوا بها.

٤- وحقق عبدالعزيز الميمني كتاب عرّام ونخله نخلًا وعرف أسراره ومحاسنه وعيوبه، فقال: إنه «أوّل ما كتَبَهُ العربُ في البلدان، أو في جغرافيا الحجاز وتهامة، أملاه في مبتدإ القرن الثالث رجلٌ طاف بلادها وبقاعها، وخِرِّيت جاب أغوارها ونجادها، وذاق من ثمارها وشرب من عيونها وبئارها، وخالط أحياءها وقبائلها، وسلك فجاجها ورَقِيَ قواعلَها، فقتل أرضها خِبرةً وخبرا، ووصف كلَّ ما فيها كما شاء وعلى ما رأى:

إذا قــال لــم يَــتْرُكْ مَقـــالا لقائــلٍ
بمُلتَقَطــاتٍ لا تَــرَى بينَهــا فَصْــلًا
كَفَى وشَفَى ما في النُّفُـوسِ فلـم يَـدَعْ

(١) معجم الأدباء ١/ ٢٥٤.

لذي إِرْبَةٍ في القَوْلِ جِدًّا ولا هَـزْلا»[١]

والميمني محقّق مدقّق، ولم يقل هذا القول الصّريح في موطن عرّام ومنشئه إلا عن خبرة به وبكتابه الذي حقّقه، وعرف ما فيه كلمة كلمة.

٥- وقال خير الدين الزِّرِكْلي في الأعلام: «عرّام بن الأَصْبَغ السّلمي: ثقة في معرفة جبال تهامة وقراها وسكانها، كان أعرابيًّا من بني سليم، تنقّل في جهات تهامة، ووضع كتابًا»[٢].

٦- وقال عنه عبدالسلام هارون في تحقيقه لكتابه: «ويبدو أنه كان أحد أعراب بني سُليم ممن كانوا يطوفون بالبلدان ويتعرّفون مسالكها، فيكتسبون بذلك خبرة صادقة»[٣]. وهارون خبير بالمخطوطات وأحوال العلماء الأوائل.

تلك أقوال صريحة -كما ترى- قالها علماء عرفوا عرّاما واتصلوا بعلمه بسبب، وهي تشير إلى نشأته في ديار قومه سُليم بالحجاز وتهامة. وقد كان كتابه في المواضع والأودية والمياه والجبال والنبات وأهل الديار موضع تقدير وترحيب من علماء البلدانيات جميعهم، مثل لُغدة الأصفهاني وأبي عبيد البكري والحازمي وياقوت الحموي، نقلوا عنه، وهو عندهم ثقة فيما

(١) بحوث وتحقيقات (عبد العزيز الميمني) ١/ ٤٦٧.

(٢) الأعلام ٤/ ٢٢٣.

(٣) أسماء جبال تهامة وسكانها ضمن نوادر المخطوطات ٢/ ٣٧٨.

يصف، ونقل عنه اللغويون أشتاتًا متفرّقة من اللغة في معاجمهم، وهم في الجملة يثقون في البدو الفصحاء الذين يجيئون من البادية ويدخلون العراق وخراسان. ومن المؤكّد أنّ معارف عرّام البلدانية واللغوية أهّلته لأن يكون من صفوة الأعراب الذين يُستقدمون لتعليم أولاد القادة والولاة في نيسابور زمن ابن طاهر، وكانت نزعته إلى الترحال والاطلاع على المواضع وحاجته إلى الكسب سببًا من أسباب قصده العراقَ وخراسان.

فإن وَهِم عرّام في بعض المواضع من كتابه -كما يقول البلادي- فليس أوّلَ الواهمين ولا آخرَهم، وأين البلداني القديم الذي لا يهم ولا يخطئ؟ وهل سلمت كتب الهمداني ولُغدة والبكري والحازمي وياقوت من الأوهام والأخطاء في المواضع؟ ثم لعلّ بعض ما في كتاب عرام كان من أثر النُّسّاخ واضطراب النسخ، وهي كثيرة الاضطراب والتفاوت، قال الميمني: «ويظهر بعد مقابلة الروايتين أنّ نسخ الكتاب كانت مختلفة جِدًّ اختلافٍ منذ قديم، وقد أورث هذا الاختلاف المتوارَث، إلى اختلافات الورّاقين، وتصحيفات النُسّاخ الحادثة، تضاربًا في الأقوال والمذاهب فاحشًا، وتشتتًا في تسمية الأماكن والبقاع وغيرها، وضبطُها ووصفُها وتحديدُها غير هَيِّن»[1].

---

(١) بحوث وتحقيقات عبدالعزيز الميمني ١/ ٤٦٨.

(٥)

عرّام بن الأصبغ السُّلمي
كلمة أخيرة

عبدالرزاق الصاعدي

*نشرت في مجلة الثقافية بجريدة الجزيرة بتاريخ ١٠ ديسمبر ٢٠٢١م

كتبت مقالا بعنوان (عرام السلمي.. ابن الحجاز العارف بمواضعه وسُكّانه) نُشر في هذا الملحق الأغر في يوم الجمعة/السبت ١٧/ ١٨ صفر ١٤٤٣هـ الموافق ٢٥/٢٤ سبتمبر ٢٠٢١م، ذكرتُ فيه ما جادت به المصادر عن عرّام بن الأصبغ السُّلمي وما يُستلهم من رسالته الشهيرة: (أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى)، وأردتُ في مقالتي تلك أن أُثبت حقيقتين رئيستين؛ (الأولى): أنّ عرّامًا السلمي ابنُ الحجاز، به وُلد ونشأ، وعَرَفه معرفة الخبير قبل أن يلتحق بابن طاهر في خراسان، و(الأخرى) أنّ عرّامًا هذا عالمٌ بالمواضع ولغة قومه، ثقةٌ مأمون في روايته.

ثم رأيت في هذا الملحق في عدد الجمعة/السبت الموافق ٤/٣ ديسمبر ٢٠٣١م مقالا بعنوان (عرّام السلمي.. الذي قدم خراسان ورُوي عنه في معاجم اللغة والبلدان) لكاتبٍ غرضه نقد مقالي المشار إليه، وسعدت برؤيته ورجوت أن أجد فيه ما ينفع، وما أن تفحّصته حتى خاب ظني، فلم أخرِج منه بشيء ذي قيمة علمية، وظهر لي أنّ الكاتب مدفوع بهواه لخلافٍ في المسألة الخولانية والمسألة الأنصارية، ويبدو أنّ نصوص عرّام السلمي لا توافق بعض الأهواء، وأما مقالي الذي ينتقده هذا الكاتب فلُبُّه وأُسُّه إثبات الحقيقتين المشار إليهما، أعني نشأة عرام بالحجاز وأمانته فيما يرويه، ولكن كاتب المقال –هداه الله- لا يعرف الموضوعية والإنصاف، فترك أُسّ المقال ولبّه

وتفرّغ للقشور وجاء بطوامّ تدلّ على أنه ليس من أهل البحث العلمي، ولعل من أسباب الخلل ضعفه الظاهر في اللغة.

■ وهذه تعليقات على بعض ما جاء في مقاله مما يسمح به المقام، أذكرها مرقّمة ليسهل تناولها:

١- قال كاتب المقال: «ويبدو لي أن د. الصاعدي كتب مقاله من منظور شخصي وليس عمليًّا». لعله يقصد: علميّا. فأقول: هذا قول من لا يدري ما المراد بالمنظور الشخصي، فكيف يكون مقالي من منظور شخصي وهو معتمد على نصوص أهل العلم الذين تحدّثوا عن عرام؟ كالقفطي وياقوت من المتقدمين الذين وقفوا على رسالة عرام تلك ونهلوا منها، وكذلك عبدالعزيز الميمني وعبدالسلام هارون محققَي رسالته، وقد عرفا عرّامًا معرفة تامة، وكذلك من ترجم له من المعاصرين كخير الدين الزركلي في الأعلام، وهل يستطيع كاتب المقال أن يأتينا بقول واحد للمتقدمين يقلل من شأن عرام أو يطعن في روايته أو أمانته وينقض ما انتهيتُ إليه في مقالي؟ فإن لم يستطع فأين المنظور الشخصي المزعوم؟

٢- وقال منتقدًا: «أما البلدان فالذي يظهر لي أنه ليس له اطلاع واسع في معاجمها، وقد فات الصاعدي أنّ أبا إسحاق الحربي في المناسك نقل عن أبي الأشعث الكندي واعتمد عليه وأنّ البكري في معجم ما استعجم نقل عن السكوني واعتمد عليه، وأنّ الحازمي في الأماكن نقل عن أبي الأشعث الكندي واعتمد عليه وأنّ ياقوت (الصواب: ياقوتًا) الحموي في معجم البلدان نقل عن أبي الأشعث الكندي وذكره في مقدمته.. إلخ». ثم قال: «أمّا عرّام السلمي فليس له مؤلّف معروف لا في اللغة ولا في البلدان، إلا ما نُقل عنه بالرواية في معاجمها». فأقول: إن كان هذا الباحث يرى نفسه أكثر اطلاعا مني على معاجم البلدان فليقبل مني هدية لتصحيح معلوماته التي ذكرها عن كتاب المناسك ومؤلفه، فقد رجّح الشيخ حمد الجاسر في مقابلة له مصورة ومسموعة أن كتاب المناسك ليس لأبي إسحاق الحربي (ت ٢٨٥هـ)، بل لتلميذه القاضي وكيع (ت ٣٠٦هـ)، وهو كتاب الطريق أو الطرق، وقد ذكرتُ هذا في تغريدة سابقة بتاريخ ٢٥/ ٩/ ٢٠٢١م، ولو اطّلع عليها كاتب المقال لأفاد منها، وأما أبو الأشعث الكندي وابن بشر السُّكُوني فهما أشهر الرواة الذين رووا رسالة عرّام السلمي، وكانا كالجسر الذي عبرت عليه هذا الرسالة وتلقاها عنهما أهل

العلم، والعلماء قد يكتفون باسم الراوي لأنه حامل أصيل وأمين للكتاب الذي يرويه في مجالس العلم، ومثل هذا وقع في بعض مؤلفاتهم القديمة. والبكري والحازمي وياقوت وغيرهم يعلمون أنّ عرّامًا هو مؤلف الرسالة، وآيةُ ذلك قول البكري في مقدمة كتابه: «وجميعُ ما أُوردُهُ فى هذا الكتاب عن السّكونىّ فهو من كتاب أبى عبيد الله عمرو بن بشر السّكونىّ، في جبال تهامة ومحالّها، يحمل جميع ذلك عن أبي الأشعث، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك الكنديّ، عن عرّام بن الأصبغ السّلمىّ الأعرابىّ»(معجم ما استعجم ٤، ٥) وقوله في رسم رضوي: «قال السّكونى: أملى عليّ أبو الأشعث عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الكندىّ، قال: أملى عليّ عرّام بن أصبغ السّلمىّ أسماء جبال تهامة وسكّانها، وما فيها من القرى والمياه، وما تنبت من الأشجار»(معجم ما استعجم ٦٥٥) ومع ذلك تجد البكري يعزو النصوص في كتابه إلى السكوني راوية الكتاب مع علمه بصاحبه، ويعزوها أحيانًا إلى عرّام نفسه، وتجد الحازمي يعزو إلى أبي الأشعث الكندي، وأما ياقوت فيراوح في عزوه بين عرام وأبي الأشعث والسكوني، فإذا قال البلدانيون في مروياتهم عن عرّام: قال السكوني أو قال أبو الأشعث فكأنهم يقولون: قال عرّام.

فالبلدانيون الذين ينقلون عن رواة عرّام يعلمون أنّ الرسالة له، ولا ينكرون نسبتها إليه، وقول البكري في مقدّمته خير دليل على ذلك، وتجد في كتبهم مثل قول ياقوت: (وقال أبو الأشعث الكندي عن عرّام) (معجم البلدان ٣/ ٢٠٤) وقوله: (ذكر ذلك كله أبو الأشعث الكندي عن عرّام بن الأصبغ السلمي) (معجم البلدان ٢/ ٩٣) وهناك أسرار تتصل بالسكوني لا يتسع المقام لذكرها، وبهذا يعلم هذا الكاتب مَن الضّحل ومَن صاحب الاطلاع الواسع على معاجم البلدان!

٣- وقوله: «أمّا عرّام السلمي فليس له مؤلّف معروف لا في اللغة ولا في البلدان، إلا ما نُقل عنه بالرواية في معاجمها»، فأقول: الإملاء عند بعض المتقدمين ضرب من التأليف، يودع المملي كتابه عقول الرجال لا القراطيس، فهم حَفَظة ما يُملي ورواته وشهوده، ولم ينكر الباحثون المحقّقون من المتقدمين والمتأخرين نسبة هذه الرسالة الشهيرة التي حققها الميمني ثم عبدالسلام هارون بعنوان: (أسماء جبال تهامة وسكانها) إلى عَرّام، عن نسخة خطّيّة يتيمة أملى أصلها عرام إملاءً على بعض رواته، ونَقلتُ في الفقرة السالفة نصوصًا عن أبي عبيد البكري وياقوت تثبت أنّ

البلدانيين كانوا على علم بأن الرسالة لعرام، ويعترفون للرواة بالفضل في وصول الرسالة إلى إليهم. ثم يفاجئنا هذا الكاتب بعد عدّة أسطر باعترافه الصريح بأنّ الرسالة لعرام أملاها على أبي الأشعث الكندي. ولا تفسير لهذا التناقض إلا التخبّط والاضطراب، وإن كان صاحبنا يريد بالتأليف كتابةَ المؤلّفِ مصنفه أو رسالته في نسخة خطية وأنّ الإملاء لا يعدّ من التأليف فعليه أن يعيد النظر في فهمه.

٤- وقال: «وعرّف الصاعدي بعرّام وأورد ما ذُكر عنه في المصادر، ثم نقل بعض كلام العلماء مجتزأً وغير مكتمل». فأقول: قوله إني نقلت بعض كلام العلماء (مجتزأ غير مكتمل) قول باطل يدلّ على سوء الفهم لمعنى الاجتزاء، فما نقلته لا يعدّ اجتزاء وإنما اكتفاء بالشاهد الذي يُثبت قولي، ولم أترك ما ينقضه أو يُوهنه، وهذا قولي بنصه: «قال عبدالعزيز الميمني محقّق كتاب عرّام: وممّا لا أكاد أقضي منه العَجَب أنّ أحدًا من أصحاب التراجم لم يذكر عَرّامًا. اهيريد: أنّ أحدًا لم يذكره بترجمة صريحة، مع أنّه عُمدةُ البلدانيين في الحجاز وتهامة، ومن رواة اللغة الثقات المتقدمين» اهفإشارتي إلى خلوّ كتب التراجم من ترجمة لعرام مع

صحتها تحتاج إلى نصّ مؤيِّد، والميمني محقق الرسالة خبير بها وبحال مؤلفها، والبحث العلمي يقوم على الإيجاز وليس ميدانا للحطب والحشو ونقل مقدمات النصوص وأطرافها وذيولها مما يفيض عن موضع الشاهد الذي يريده الباحث، وليس في المتروك ما ينقض المراد، وهو هنا تعجب الميمني من خلو المصادر من ترجمةٍ لعرام، فيبطل بهذا ادعاء الاجتزاء.

٥- وفي مسألة مولد عرام ونشأته وجَزْمِ البلادي بأنّه ولد بخراسان ولم يرَ الحجاز ولا مشى فيه قال كاتب المقال: «ثم تساءل الصاعدي: فأين ولد عرام وأين نشأ؟ ثم ذكر رأي علامة الحجاز عاتق بن غيث البلادي –رحمه الله- عن مولد عرام ونشأته، فنقده نقدًا غريبًا غير مبرّر، ثم ذكر أقولا نسبها للبلادي، واستطرد بحديث منمّق عن عرام كعادة أهل اللغة في الثناء والتلميع... إلخ». فأقول: اللغة التي يسخر من أهلها هي مفتاح العقول، وهي الأداة لفهم النصوص، فليته يتعلم من اللغة ما يكفيه ليفهم النصوص على الوجه الصحيح وليكتب بلغة علمية نقية بعيدة عن الركاكة والخطأ في النحو. وأما تشكيكه في نقلي عن البلادي الذي يظهر من قوله: (ثم ذكر أقوالا نسبها

للبلادي) فيدل على عدم اطلاعه، فلو راجع مصدري (محراث التراث) للبلادي لوجد ما نقلت، وقد أرشدته إلى رقمي الصفحتين وهما: ص ١٤ وص ٢٧.

٦- ويحاول كاتب المقال أن يقلل من شأن مرويات عرّام وقيمتها في إثبات سُكنى الأنصار في مواضع متفرقة من الحجاز في زمانه، وقد أثبتُ سُكناهم في بادية الحجاز بعد عصر النبوّة بالأدلة ونصوص العلماء، في بحثي: (نهاية الإيجاز في سُكنى قبائل الأنصار في بادية الحجاز) وقد أشار إلى سكناهم كثير من أهل العلم غير عرّام، رووا عنه من غير نكير أو رووا عن غيره أو قالوا ما يعرفون، ومنهم: السّكوني والكندي والهَجَري ولُغدة الأصفهاني والقاضي وكيع (صاحب كتاب الطريق المطبوع باسم المناسك) والهمداني وأبو الفرج الأصفهاني والبكري والحازمي وابن الجوزي وياقوت ومحمد الحِميري، ويضاف إلى ذلك النقوش الكثيرة التي رصدها الأستاذ محمد المغذوي، وهي محل تقدير الباحثين، وستكون رافدًا مهمًّا لتاريخ بلادنا ومصدرًا لمعرفة ساكني الحجاز في قرون خلت.

٧- وقال: تحت عنوان: نشأته: «لا يُعرف شيئًا (هكذا، والصواب: شيءٌ، بالرفع، نائب فاعل) عن عرام في أول حياته ونشأته، غير أنه بلا شك من خلال ما ورد عنه في معاجم اللغة ومعاجم البلدان يتبين للباحث أنه عاش بداية حياته في ديار بني سليم وترعرع أول شبابه في أرض الحجاز قبل انتقاله إلى الحواضر ومن ثم إلى خراسان في سنة ٢١٧هـوشهرته به». فأقول: لقد رجع هنا إلى قولي الذي انتهيت إليه في مقالي، وهو أنّ عرامًا نشأ بالحجاز، وهذا اعتراف منه بصواب ما انتهيتُ إليه، فهو يوافقني ويخالف البلادي، ولو كان لديه ما يكفي من الشجاعة العلمية والأدبية لذكر أنني أثبتُّ هذا قبله بناء على النصوص، ثم لردّ هو على الشيخ عاتق البلادي الذي قال: «إنّ عرّامًا لم يرَ الحجاز ولا مشى فيه!» (محراث التراث ٢٧) وقال: «إنّ عرّامًا رغم أنّه سُلمي، إلا أنّه وُلد ونشأ ببلاد ما يُعرف اليوم بإيران»(محراث التراث ١٤) فلماذ أغضى كاتب المقال الطرف عن أقوال الشيخ البلادي هذه ولم ينتقدها؟ وهو يخالفه في نشأة عرام ويوافقني! وما تفسير ذلك؟!

٨- وقال: «ذُكر عرام في عدةٍ من المعاجم اللغوية، وقد جاء ذكره في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـأو بعدها

بقليل) في (٥٢) موضعًا باسمه ونسبه في نصّ واحد عنه ورد بـ: "عرام السلمي"». فأقول: هذا إحصاء المكتبة الشاملة، وفي العين نصّ منقول عن (السلمي) دون ذكر اسمه، فالأرجح أنّه عرّام، ولي بحث قديم عن أبي تراب اللغوي (من علماء القرن الثالث) صاحب كتاب الاعتقاب في اللغة، نشرته في مجلة الجامعة الإسلامية سنة ١٤٢٢هـ، ووجدتُ أبا تراب هذا يروي عن عرّام السلمي في خمسة عشر موضعًا، أحصيتها من التهذيب، وقد لَقِيَ أبو تراب عرامًا في خراسان وسمع منه هناك، قال الأزهري في التهذيب في مادة طمس ٦/ ١١٥: «قال أبو تراب: سمعتُ عَرَّاما يقول: طَمَّسَ في الأرض، وطَهَّسَ، إذا دَخَلَ فيها»، وأشرت في بحثي إلى نصوص عرام المقحمة في معجم العين بعد وفاة الخليل، وذكرت أنّ فيه نصوصًا كثيرة لتلامذة الخليل ولغيرهم بعضها مما حشاه الليث بعد الخليل وبعضها مما علّقه أهل العلم على طرر بعض النسخ، ثم صار من أصل المعجم في النسخ اللاحقة.

٩- وقال كاتب المقال في كلامه عن عرّام: «وذكره ثعلب (ت ٢٩١هـ) في ديوان الخنساء عند الحديث عن المواضع الجغرافية التي ترد في أشعارها، ولم تذكر أدنى معلومة عنه، غير ما ورد من عبارة

موهمة جاءت في الديوان، حيث قال عرّام: إنما هو ذات أَخْبَاب، وكذا قال ابن أخت الخنساء، وهو وادٍ يصبّ في ذي الخَدْمة. والخنساء هي الشاعرة تماضر بنت عمرو السلمية (ت ٢٤هـ) وهذا –أيضا- بالنظر إلى الزمن المذكور بعيد جدا، مما يثير التساؤلات!!» يقصد بالتساؤلات: أن النص قد يوحي أو يوهم بأن عرامًا لَقِي ابنَ أخت الخنساء. فأقول: إن ما يثير التساؤلات حقّا هو أهليّة هذا الباحث الذي لا يفهم النصوص على وجهها الصحيح، ويبني على فهمه السقيم الفجّ استنتاجات باطلة، فليس في نص ثعلب ما يفيد بأنّ عرامًا سمع من ابن أخت الخنساء ولا عاصره، وقد قيل إن هذا الشرح ليس لثعلب، ولكن لنفترض صحة النسبة، وإليكم النصّ كما جاء في ديوان الخنساء ص ٢٠٣، قال الشارح ثعلب أو غيره: «قال عرّام: إنما هو ذات أخباب، وكذا قال ابن أخت الخنساء، وهو وادٍ يصبّ في ذي الخَدْمة» فالشارح هنا يروي قولين أحدهما لعرّام، والآخر لابن أخت الخنساء، فالقائل: (وكذا قال ابن أخت الخنساء) هو شارح الديوان وليس عرامًا، ثم لو قلنا تنزّلا إن القائل هو عرّام؛ أفي هذا النصّ ما يفيد بإنّ عرامًا سمع من ابن أخت الخنساء أو شافهه؟ أفيه: سمعتُ منه أو حدّثني أو قال لي أو نحو هذا؟ ولو

قلتَ أنت اليوم: (قال الخليل) أيعني هذا أنك عاصرت الخليل وسمعت منه؟ فأين ما يثير التساؤلات المزعومة في هذا النص؟ لقد أساء هذا الكاتب الفهم في موضع ظاهر كالمحجّة، لا يخفى إلا على المتطفّلين على البحث العلمي.

١٠- وقال: «ثم أورد الصاعدي في مقاله بعض أقوال العلماء، وعلّق عليها، وفسّرها على غير مرادها، وحقيقة الأمر أنّ أقوال العلماء واضحة فيما ورد عن عرام من غموض واضطراب في مولده ونشأته وروايته، ولو أنّ الصاعدي سار في بحثه على بصيرة وهدى لتبيّن له أنّ الأقوال في عرّام متضاربة، والمرويّات عنه متفاوتة وأن القطع في أمره ومروياته مغالطة والتساهل في بيانه مكابرة».
فأقول: هذا ادّعاء أجوف وهو من باب إلقاء القول على عواهنه بلا دليل ولا سند، فأين أقوال العلماء التي فسرتها على غير مراد أصحابها؟ لماذا لم يذكر قولا واحدًا منها ليثبت زعمه؟ ثم إنه وقع في تناقض دون أن يدري فقد قال في موضع آخر: «غير أنه بلا شك من خلال ما ورد عنه في معاجم اللغة ومعاجم البلدان يتبين للباحث أنه عاش بداية حياته في ديار بني سليم وترعرع أول شبابه في أرض الحجاز قبل انتقاله إلى الحواضر» وقال هنا:

«وحقيقة الأمر أن أقوال العلماء واضحة فيما ورد عن عرام من غموض واضطراب في مولده ونشأته وروايته» فالتناقض ظاهر، فكيف له مع هذا الغموض الذي يشير إليه أن يوافقني ويخالف البلادي ويقرّر أنّ عرّامًا «عاش بداية حياته في ديار بني سليم وترعرع أول شبابه في أرض الحجاز» وقد صدّره بقوله: (بلا شكّ)؟ ما سرّ هذا التخبط والاضطراب؟

١١- وبعد أن سرد جملة من النصوص والإشارات التي ذكرتها أنا في مقالي قال: «وإليكم بعض أقوال العلماء المحققين التي لم يتطرّق لبعضها د. الصاعدي». فذكر الكاتب عَقيب هذا نصوصًا للميمني وعبدالسلام هارون، وهي من النصوص التي أرشدته إلى مكانها، ونقلت ما يكفيني منها وتركت الفضول وما لا حاجة إليه، فكيف يعدّها استدراكًا عليّ؟ إنّ الباحث الحاذق لا يحطب ولا يستكثر ولا ينقل من النصوص إلا موضع الشاهد الوافي، دون أن يترك من النص ما ينقض حجته أو يضعفها. وأما زعمه أنه فاتني نصوص عبدالحميد الشلقاني وإبراهيم السامرائي ومحمد صالح شناوي (السارق كما سيأتي) فزعم باطل أيضًا، وهو يكشف عما لديه من خلل في أدبيات البحث العلمي، فأقوال

هؤلاء -وغيرهم ممن لم يذكرهم- لا تضيف جديدًا لم يقله المتقدّمون أو محققو كتاب عرّام، وإن من عيوب البحث العلمي التزيّد من المراجع والأقوال المكرورة المتأخرة التي لا تحمل مضمونًا جديدًا أو تقدّم فكرة مفيدة. وسأورد هنا بعض النصوص التي يزعم الكاتب أنها فاتتني وأنه استدركها عليّ ليعلم القارئ الكريم حقيقة زعمه ومستوى فهمه، وإليكم أحد النصوص: قال هذا الكاتب: «وقال السامرائي: وعرام بن الأصبغ السلمي صاحب كتاب "أسماء جبال تهامة" من أعراب خراسان، وكان قد ذهب إليها مع عبدالله بن طاهر سنة ٢١٧هـ» فأقول: ما الجديد في هذا النص وما الفائدة منه؟ هل فيه زيادة على ما نقلته أنا من المصادر الأصيلة؟ هل فيه كلمة واحدة لم أذكرها من مصادري قبل السامرائي؟ وهل هو مصدر قديم حتى نحتجّ به ونغتفر له النقل والتكرار لقدمه؟ ومثله ما نقله من كتاب الشلقاني (الأعراب الرواة) وكذلك ما نقله من كتاب الشناوي، فلا جديد فيما نقله عنهما، ولذا تركت ذلك عمدًا. وبهذا تعلم أنّ قوله بعد سرده تلك النصوص: (فأين د. عبدالرزاق الصاعدي عن هذه الأقوال الصريحة الواضحة) يثير الشفقة على حالةٍ بحثيةٍ

بئيسة عند بعض المحسوبين على البحث العلمي وهو منهم بريء.

١٢-وزعم أنه استدرك عليّ قول د. محمد صالح شناوي (محقق رسالة عرام طبعة دار الكتب العلمية): وهو قوله: «ولم نعثر لعرّام على ترجمة، إلا ما ذكره ابن النديم عرضا عند سرده لأسماء الأعراب الذين دخلوا الحاضرة، فذكره قرينا لأبي الهيثم الأعرابي، وأبي المجيب الربعي، وأبي الجرّاح العقيلي، وقد ذكره باسمه كاملا: عرام بن الأصبغ السلمي»، فأقول: لو كان كاتبنا باحثًا محققًا يحسن اختيار النصوص ويعي معنى الاستدراك لما نقل من سارقٍ واحتفى به، فهذا القول الذي نقله عن الشناوي مسروق بنصّه من مقدمة عبدالسلام هارون لتحقيقه رسالة عرام، (أسماء جبال تهامة، الطبعة الثانية، منشور نوادر المخطوطات ٢/ ٣٧٨) وليس فيه حرفٌ واحدٌ زائد على قول هارون (ملحوظة: جاء في الطبعة الأولى لهارون: "ما ذكره القفطي" وصححها في الطبعة الثانية وجعلها: "ما ذكره ابن النديم" ومنها سرق الشناوي) بل إن المقدمة التي كتبها هذا الشناوي بين يدي رسالة عرام مسروقة من مقدمة عبدالسلام

هارون لتحقيقه رسالة عرام (الطبعة الثانية)، إلا أشياء قليلة زادها لا قيمة لها، ولم يشر إلى هارون في أي موضع من مقدمته المسروقة، ولأنّ هذا الشناوي يعلم أنه سارق لم يضع اسمه على غلاف الكتاب ووضعه على استحياء في الغلاف الداخلي. وإنّ مثل هذه السرقات الصلعاء تخفى على أشباه الباحثين.

وفي الختام أنصح هذا الكاتب أن يعيد النظر في أدواته، وأن يتعلّم أسس البحث العلمي قبل أن يتجاسر على الكتابة ويتطاول إلى النقد.

(٦)

الأنساب
وفنون الأدب الثمانية

عبدالرزاق الصاعدي

*نشرت في مجلة الثقافية بجريدة الجزيرة بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠٢١م

يَعرف الراسخون في العلم أنّ الأنساب أحد فنون الأدب الثمانية، وهي: النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم. وزعم أقوام ممن يخوضون في الأنساب في زماننا أنّهم أقرب إلى الأنساب وفهمها من أهل اللغة والأدب، وزعمهم باطل، وهو مبنيّ على أوهام وعُقَد نفسية وجهل بتراث اللغويين والأدباء في الأنساب وتاريخ القبائل، وما كان هذا الفن الذي برع فيه العرب إلا جزءًا أصيلا من تراث اللغويين والأدباء، ولهم فيه مؤلفات عديدة، ومن أجل هذا خلط ياقوت الحموي (ت ٥٢٦هـ) اللغويين والأدباء والنسابة في معجم الأدباء، الذي سمّاه (إرشاد الأريب)، ولم يترجم للمُحدّثين والمفسّرين والفقهاء والأطباء ونحوهم، إلا من كان له حبل متّصل بالأداب واللغة، وترجم لهم قبل ياقوت أبو البركات الأنباري (٥٧٧هـ) في نزهة الألباء في طباقات الأدباء، وله كلمة نفيسة في هذا الشأن، إذ نصّ على أن الأنساب أحد علوم الأدب الثمانية، ومن أجل ذلك ترجم لهشام الكلبي (ت ٢٠٤هـ) في كتابه ذاك، وقال: «وأمّا هشام بن محمد بن السائب الكلبي، فإنه كان عالمًا بالنسب، وهو أحد علوم الأدب؛ فلهذا ذكرناه في جملة الأدباء، فإنّ علوم الأدب ثمانية: النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم؛ وألحقنا بالعلوم الثمانية عِلمين وضعناهما؛ وهما علم الجدل في النحو، وعلم أصول النحو»(نزهة الألباء ٧٥، ٧٦ ت السامرائي).

فالأدباء واللغويون هم أقرب أهل العلوم إلى الأنساب؛ لأنها من علومهم الثمانية، ومع هذا فإني لا أنكر على غير أهل اللغة والأدب أن يكتبوا في الأنساب ويجتهدوا قدر طاقتهم، وحتى العامة قد يأخذون بنصيبهم من هذا الفن، وكان بعضهم من رواة المصادر القديمة، ولكنّ اللغويين والأدباء هم الأقدر على الاشتغال بهذا الفنّ والغوص فيه حين يكون من اهتماماتهم، تعينهم اللغة وهي آلة العلوم وعليها مدار الفنون النظرية. قال الشافعي: «أصحاب العربية جِنّ الإنس يبصرون ما لا يبصر غيرهم». (آداب الشافعي ومناقبه ١٥٠).

وأردتُ بهذا المقال الكشف عن صلة اللغويين والأدباء بالأنساب منذ بدء التأليف في العربية، ورَصْد شيء من تراثهم في هذا الفن، وفي ذلك دليل صريح على صحّة ما ذهب إليه علماؤنا في تصنيف الفنون والعلوم، وقد كشفتْ لنا المصادر القديمة كطبقات اللغويين والنحويين والأدباء وكذلك المصادر التي تُعنى برصد المصنفات والعلوم كالفهرست للنديم (ولا تقل ابن النديم) وكشف الظنون للحاجّ خليفة (ولا تقل حاجي خليفة) وإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي -الكثيرَ من تراث اللغويين والأدباء في التأليف والأنساب، وأظهرتْ صلتهم الوثيقة بهذا الفن.. وإليكم طائفة منهم في هذه العجالة:

- فمن اللغويين المتقدّمين: عبدالرحمن بن هرمز المدني الأعرج (١١٧هـ) عالم المدينة، قال الذهبي: «كان عبدالرحمن بن هرمز أوّل من وضع العربية، وكان أعلم الناس بأنساب قريش».(سير أعلام النبلاء ٢٣/ ٢١٥).
- ومنهم الفُرْقُبي وقيل القُرْقُبي، واسمه زهير بن ميمون (١٥٥هـ) كان نحويًّا قارئًا، وقد سُئل ذات مرّةً: أنّى لكم النحو؟ فقال سمعناه من أصحاب أبي الأسود، وعنه أخذناه. وكان زهيرٌ هذا عالما بالأنساب والأخبار وأيام الناس، وذكره بكر أبو زيد في طبقات النسابين.
- ومنهم حمّاد الراوية (١٥٦هـ) قال ياقوت: «قال المدائني: كان من أعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها» (معجم الأدباء ٣/ ١٢٠٢). وقد ترجم له أبو البركات الأنباري في طبقات الأدباء واللغويين، وجعله من طبقة هارون بن موسى النحوي وعيسى بن عمرو النحوي وحماد بن سلمة النحوي والأخفش الأكبر والشرقيّ بن القطامي الأديب.
- ومنهم مؤرّج السدوسي (١٩٥هـ) النحوي الأخباري، من أعيان أصحاب الخليل عالم بالعربية والحديث والأنساب، قال أبو بكر الزبيدي: «كان عالمًا بالعربية، إمامًا في النحويين» (طبقات النحويين واللغويين ٧٥) وقال عنه ياقوت: «هو من أعيان أصحاب الخليل،

عالم بالعربية والحديث والأنساب» (معجم الأدباء ٦/ ٢٧٣١) واختصر نسب قريش في مجلد لطيف.

- وأبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) اللغوي الشهير صاحب الغريب المصنف وغريب الحديث وغريب القرآن، والأمثال، وأنساب الخيل، وشواهد القرآن، والمذكر والمؤنث والمقصور والممدود، وله كتاب في النحو، وله كتاب النسب، كان عمدة أهل زمانه، وهو تهذيب لكتابي النسب الكبير وجمهرة النسب لهشام الكلبي، طُبِع بتحقيق مريم محمد خير الدرع.
- ومنهم محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥هـ): قال النديم في الفهرست: «كان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل، وعمل قطعة من أشعار العرب، روى عن ابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان وغيرهم وكان مؤدبًا وكتبه صحيحة» قلت: ومن أشهر كتبه في الأنساب (مختلف القبائل ومؤتلفها) قال عنه حمد الجاسر: إنه أوّل كتاب وصل إلينا في موضوعه، وهو معالجة داء تصحيف الأسماء (ينظر: مختلف القبائل ومؤتلفها ٢٨٥) وله أنساب الشعراء، ذكره الحاج خليفة في كشف الظنون.
- وأبو سعيد السُّكّري (٢٧٥هـ) واسمه الحسن بن الحسين العَتَكي، وهو من مشاهير الأدباء واللغويين، له شرح ديوان الهذليين ظهرت فيه

براعته باللغة. أقول: وقد وَجَّهتُ بعض طلابي لاستخراج المادة المعجمية في هذا الشرح النفيس، وسُجّلتْ فيه رسالتان في مرحلة الدكتوراه، وللسّكّري كتاب أنساب بني عبد المطلب كتاب كبير، وروى بعض كتب الأنساب كالمحبّر لابن حبيب، وروى رسالة عرام في أسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى.

- ومحمد بن يزيد الثمالي الأزدي، المعروف بالمبرد (٢٨٦ هـ) إمام العربية والأدب في زمانه، من أشهر كتبه المقتضب من كتاب سيبويه، والكامل في اللغة والأدب، والمذكر والمؤنث، والتعازي والمراثي، والاشتقاق، والتصريف، والرد على سيبويه، وله في الأنساب: كتاب نسب عدنان وقحطان، نشره عبدالعزيز الميمني عام ١٩٣٦هـ.
- ومحمد بن الحسن الأزدي المعروف بابن دريد (٣٢١هـ) وهو عربي صليبة من الأزد، قال عنه السمعاني: «كان رأس أهل العلم والمقدّم في حفظ اللغة والأنساب وأشعار العرب» (الأنساب ٢/ ٢٣٠) وقال ابن الجزري: «وكان من أعلم أهل زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها مع الكرم والمروءة وصدق اللهجة»(غاية النهاية ٢/ ١١٦) له الاشتقاق في أسماء القبائل وأنسابها، وهو كتاب مشهور.
- ومنهم الداروني (٣٤٣هـ) وهو أبو محمد حسين بن محمد التميمي العنبري، ويعرف بابن أخت العاهة، كان إمامًا في اللغة والعلم

بالشعر، قُرئ عليه وسُمِع منه في حياة أبي محمد المكفوف النحوي، وكان مشغوفًا بديوان ذي الرُّمّة، وهو من أعلم الناس به وبغيره من دواوين الشعر، إلى معرفته بأخبار العرب وأنسابها وأيّامها، كما يقول أبو بكر الزبيدي في طبقات النحويين ص٢٤٥.

- ومحمد بن أبان اللخمي (٣٥٤هـ) قال عنه ابن الفَرَضي: «كان عالما بالعربية واللغة، حافظًا للأخبار والأنساب والأيام والمشاهد والتواريخ»(تاريخ علماء الأندلس ٢/ ٧٣٣)
- وأبو الفرج الأصبهاني (٣٥٦هـ) الأديب المشهور صاحب كتاب الأغاني، وَصَفه ياقوت بقوله: «العلامة النسّاب الأخباري»(معجم الأدباء ٤/ ١٧٠٧) ووصفه الذهبي بأنه كان بصيرًا بالأنساب وأيام العرب. له مقاتل الطالبيين، والتعديل والإنصاف في أخبار القبائل وأنسابها، وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني عبد شمس وكتاب نسب بني كلاب، وغير ذلك.
- وأبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (٣٦٨هـ) قرأ كتاب النسب لأبي عبيد القاسم بن سلام على أبي محمد عبيد الله بن عبدالرحمن السُّكّري سنة ٣٦١هـ وهو يرويه عن السُّكّري.
- ومنهم الأديب الحسين بن علي بالعروف بابن الوزير المغربي المتوفى سنة (٤١٨هـ) صنّف في اللغة والأدب والأنساب، ومن أبرز مصنفاته:

المنخّل في اللغة، وهو اختصار إصلاح المنطق لابن السّكيت، وله أدب الخواص، وهو كتاب حافل، يدلّ على سعة اطلاعه، كما يقول الشيخ حمد الجاسر، وله الإناس في علم الأنساب، وقد حقّقه الشيخ الجاسر مع كتاب ابن حبيب مختلف القبائل ومؤتلفها، وأشار إلى أنّه قد يكون أحسن مؤلّفات ابن الوزير حظًّا ورواجًا، وأثنى عليه ابن خلكان وأشار إلى أنّه مع صغر حجمه كثير الفائدة.

- ويوسف بن سليمان الأنصاري المعروف بالرباحي (٤٤٨هـ) قال عنه ابن بشكوال: كان «عروضيا شاعرًا نسّابة»(الصلة ٥٢٠) وقال مثله الصفدي والذهبي.
- وابن حزم الظاهري (٤٥٦هـ) الأديب الفقيه اللغوي النسابة المتفنّن، صاحب طوق الحمامة، قال ياقوت: «ولأبي محمد ابن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة، وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة»، وذكر الزركلي أن له كتابًا في الإعراب. ومن أشهر كتبه: جمهرة أنساب العرب.
- وابن عبد البرّ اللغوي المفسّر، يوسف بن عبد الله الحافظ، القرطبي المتوفى: سنة (٤٦٣هـ) برع في اللغة والأدب، ونثر في تفسيره كثيرًا من فنون اللغة والتصريف والنحو، وله كتاب في الأنساب، سمّاه: القصد والأمم إلى أنساب العرب والعجم.

- وابن الأجدابي اللغوي (٤٧٠هـ) إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله اللواتي الأجدابي،

وصفه القفطي بأنه: من أهل اللغة، وأنه ممن تصدّر فى بلده، واشتهر بالعلم، وصنّف فى اللغة مقدّمة لطيفة، سماها كفاية المتحفّظ يشتغل بها الناس فى الغرب ومصر، قال البغدادي في هدية العارفين: من تصانيفه اختصار كتاب نسب قُرَيش لأبي عبد الله بن الزبير مع زَوائد وإلحاقات تشْتَمل على فَوائد. (هدية العارفين ١/ ١٠).

- وهشام بن أحمد الكناني الطُّليطلي المعروف بالوقَّشي (٤٨٩هـ) قال عنه ياقوت: «كان من أعلم الناس بالعربية واللغة والشعر والخطابة والحديث والفقه والأحكام والكلام، وكان أديبًا كاتبًا شاعرًا متوسّعًا في ضروب المعارف متحققًا بالمنطق والهندسة، ولا يفضله عالم بالأنساب والأخبار والسير»(معجم الأدباء ٦/ ٢٧٧٨)

- ومحمد بن أحمد التّجيبي المعروف بابن الحاج (٥٢٩هـ) قال ابن بَشْكُوَال: «وكان معتنيًا بالحديث والآثار، جامعًا لها، مقيدًا لما أشكل من معانيها، ضابطًا لأسماء رجالها ورواتها، ذاكرًا للغريب والأنساب واللغة والإعراب، وعالما بمعاني الأشعار والسير والأخبار، قيد العلم عمره كله، وعني به عناية كاملة ما أعلم أحدًا في وقته عني به كعنايته، قرأت عليه وسمعت»(الصلة ٤٥٣).

- والقاضي عِياض اليحصبي (٥٤٤هـ) قال عنه ابن خَلِّكان: «كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم»(وفيات الأعيان ٣/ ٤٨٣)
- ومحمّد يعقوب الفيروزي ويسمّونه الفيروزبادي (٨١٧هـ) صاحب القاموس المحيط، له كتاب تحفة الأبيه فيمن نسب إلى غير أبيه.
- وجلال الدين عبدالرحمن السّيوطي أديب لغوي متفنّن (٩١١هـ) له لبّ اللباب في تحرير الأنساب.
- ومن المعاصرين الأديب الشّاعر عبدالله بن خميس (١٤٣٢هـ) عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، له معجم اليمامة في عدة مجلدات، خصص المجلد الرابع منه لأنساب بعض أسر اليمامة.
- هذه جملة صالحة من أهل اللغة والأدب ممن كان لهم اشتغال بالأنساب، ولم أُحْصِهم كلهم، وحين أتحدّث عن نفسي في هذا الشأن -وأنا من أهل اللغة والأدب- فإنني لا أُخفي عنايتي بهذا الفن من فنون الأدب، ولي فيه كتابات مبكّرة قبل ٣٠ سنة، أيّام العَلَمين الكبيرين حمد الجاسر وعاتق البلادي، وقد أسعدني الحظّ أن أخذتُ عنهما طرفًا من علمهما بالمجالسة والمراسلة فضلا عن العناية بكتبهما، وكتبت مقالاتٍ وأبحاثًا في هذين الفنين في أوقات متفرقة، ونشرت في مجلة العرب بحثًا عن قبيلة حرب وعلاقتها بطريق الحج،

وكتبت مقالًا عن القبائل الثمودية والقبائل الصفوية القديمة، ومقالًا عن أخبار مكّة للفاكهي، وسلسلة مقالات عمّا ألف في تاريخ المدينة، ثم طبع في كتاب، ولي كتاب حافل في نسب آل خليفة من التراجمة من الصواعد من عوف من حرب، وكتاب آخر أكبر منه لم ينشر بعد. ولم تكن كتاباتي في هذا الفنّ حميّةً جاهليّة لقبيلةٍ أو تفاخرًا بنسب أو حسب، وإنما أكتبُ للعلم وللإسهام في تاريخ بلادنا الغالية، فالقبيلة جزءٌ من وطن كبير عظيم يظلّنا جميعًا وننعم بخيراته، والناس فيه سواء، لا يتفاضلون إلا بالتقوى وبأعمالهم النافعة، وقدوتنا في هذا نبينا، صلّى الله عليه وسلّم، الذي قال يوم الفتح: أمّا بعد؛ أيّها الناس! فإنّ الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهليّة، يا أيّها الناس! إنّما الناس رجلان: بَرٌّ تقيٌّ كريم على ربِّه، وفاجر شقيّ هيّنٌ على ربِّه، ثمّ تلا: {يا أيُّها النّاسُ إنّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثَى وجعلناكم شُعُوبًا وقبائلَ لتعارَفُوا} حتّى قرأَ الآية، ثمّ قال: أقول قولي هذا، وأَستغفرُ الله لي ولكم (صحيح ابن حبّان ح ٣٨٢٨، ٩/ ١٣٧. وينظر: موارد الضمآن ح ١٧٠٣ ، ٥/ ٣٤٦، وصحّحه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ورقمه: ٢٨٠٣).

(٧)

التداخل بين حرب والأنصار في الأسماء والديار

عبدالرزاق الصاعدي

«المفقود من تاريخنا القديم والوسيط كثير، وما جاء في المصادر من تاريخ القبائل العربية في جزيرة العرب هو الأقل، وأما الضائع أو المسكوت عنه أو ما لم يدون أصلا فهو الأكثر، ثم إنّ المدوّن القديم لا يسلم من الهوى والخطأ والوهم، فيجب على الباحثين أن يستعينوا بأدوات البحث كلها».

عبدالرزاق الصاعدي

تعدّ قبيلة حرب من أكبر القبائل في جزيرة العرب، ظهر صيتها منذ القرن الثاني وكانت ديارها الأولى في الحجاز في مكة والمدينة وما بينهما، ثم توسّعت في الحجاز وتهامة ونجد، واتّسعت قاعدتها في تهامة بين ينبع والقنفذة، وامتدّت إلى نجد إلى قرية قبة وما وراءها إلى الكويت وأطراف العراق وبلاد الشام. وحربٌ اليوم من أعرق القبائل وأكبرها في المملكة العربية السعودية، تشارك في نهضتها الحضارية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

ولمكانة قبيلة حرب وقوّتها دخلت فيها قبائل أصغر كمُزينة وعوف من الأنصار، ولعلّ أكثر مكوّنات عوف الحربيّة هم عوف الأوسيّة الأنصاريّة، التي دخلت في حرب وأصبحت جزءًا منها، ويكون هذا المكوّن الأنصاريّ في أغلب قبائل عوف، ومنهم الصواعد ومنهم التراجمة، ومثلهم بنو سالم من حرب، أحد فروعِ حرب الكبيرة، فالأظهر عندي وعند بعض الباحثين أنهم امتداد لبني سالم من الخزرج من الأنصار، فحين ننظر إلى ديار عوفٍ الأوسية من الأنصار نجدها جنوب المدينة من قُباء إلى أطراف جبل قدس مرورًا بخَلْص ووادي النقيع، وهي ديار عوف الحربية منذ قرون، وأمّا ديار بني سالم من الخزرج الأنصار فغرب المدينة إلى وادي الصفراء وبدر، وهي ديار بني سالم من حرب.

فكيف اختفتْ عوفُ الأوسيّة وحلّت محلّها عوفُ المسروحية الحربيّة لترِثَ اسمها وديارَها وكيف اختفت بنو سالم الخزرجيّة الأنصاريّة وحلّت محلّها بنو سالم الحربيّة؟ لترِثَ اسمها وديارَها، قد تتّفق الأسماء، ولكن يندر اتفاقها مع اتفاق المكان واختفاء الاسم الأقدم ومع بقاء قبائل مجاورة باسمائها إلى اليوم كسُليم وجهينة ومزينة، فمن الصعب أن يتّفق اختفاء قبيلة وظهور قبيلة باسمها وفي مكانها، إنّ هذا الاتفاق يدعونا إلى قبول الفرضيّة التي تقول إنّ الأنصار دخلوا في حرب وانصهروا فيها وأصبحوا من أهمّ مكوّناتها، ولكنّ هذا لا يعني أن كلّ عوفيّ أنصاريٌّ من جهة الأصل، لدخول بطون في بطون وبناء تحالفات تُنسي الأصول مع الوقت، فالداخل يتبنّى اسم القبيلة التي دخل فيها، لأغراض اجتماعيّة واقتصاديّة وأمنيّة ومصالح عامّة معلومة فرضتها عليهم طبيعة حياتهم.

وكان الشيخ محمد بن محمد المختار (عضو هيئة كبار العلماء) ينقل عن والده النّسّابة الشيخ المحدّث محمد المختار الشنقيطي أنّه محال أن تكون عوف الحربية في نفس الديار والاسم ولا تكون هي عوف الأوسيّة الأنصاريّة، وهو يقيس في هذا على جهينة وسليم ومزينة مما ذكرته آنفا. قال: (ولا أفقه في النسب شيئًا إن لم تكن هي عوف الأنصاريّة).

قال عرّام السُّلمي (القرن الثالث) عن الفُرْع: «قرية غنّاء كبيرة يقال لها: الفُرْع، وهي لقُريش والأنصار ومُزينة»[١]. وذكر قرى أخرى ومياة بين المدينتين يسكنها الأنصار، ومنها الصَّعْبِيّة والتّازية[٢] والرِّحْضِيّة[٣]. وبعضها في نواحي صفينة ومهد الذهب، وكان الأنصار متفرّقين في بعض قرى الحجاز وأوديته وفي بعض قرى نجد التي تلي الحجاز من جهة المدينة ومهد الذهب، فأين ذهبوا؟ ولعلّهم ذابوا في القبائل الأكبر ومنها حرب.

وقال عرّام عن وادي الصفراء الذي تسكنه بنو سالم من حرب منذ قرون عديدة: «الصّفراء قرية كثيرة النخل والمزارع، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجرى إلى ينبع. وهي جُهينة والأنصار ولبني فِهر ونَهْد»[٤]. ونقله عنه أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) في معجم ما استعجم وقال: «ويسكن الصَّفراء: جُهينة والأنصار ونَهْد»[٥].

ولم يقتصر انتشار الأنصار على بوادي المدينة، بل وصلوا إلى مشارف الطائف، فتذكر مصادر البلدان أنّ جَوْنَةَ: قرية بين مكّة

---

(١) أسماء جبال تهامة وسكّانها، ومنشور ضمن نوادر المخطوطات لعبدالسلام هارون ٢/ ٤٠٤.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤٢٩.

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٢٧.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٩٨.

(٥) معجم ما استعجم ٣/ ٨٣٦.

والطائف يُقال له الجونة، وهي للأنصار[١] ورجّح الجاسر[٢] أن تكون الجونة محرّفة من الحويّة.

وعلى الأرجح فأنّ ذِكر عرامٍ والبكريِّ الأنصارَ من سكّان وادي الصفراء سيثير الفضول لديك وسيبعث سؤالا: هل هم بنو سالم من الخزرج؟ وما صلتهم ببني سالم من حرب؟ هل هي مجرّد مصادفة؟! والجواب: إنّ الراجح أنهم هم، ولدينا في هذا ثلاث قرائن: أولها: الأسماء، وثانيها: المواضع، وثالثها: بقاء القبائل المعروفة المجاورة في أماكنها تقريبًا كجهينة وسليم ومزينة وهذيل.

ويؤيّد ما ذكره عرّام السُّلمي وأبو عبيد البكري وياقوت الحمويّ النقوشُ الكتابية الصخرية المكتشفة حديثًا في بوادي المدينة، ومنها مكتشفات الأستاذ محمد المغذوي، إذ صوّر وقرأ ووثّق جملة من نقوش الأنصار في ديار حرب غرب المدينة وجنوبها وشرقها، فثمّة نقوش في وادي الصفراء ونقوش في غدران وادي العقيق العليا من جهة الجنوب، الذي يمرّ بالشِّقْرة ومنها غدير مجز وغدير مجزان وغدير رواوة، وهي اليوم

(١) أسماء جبال تهامة وسكّانها ٢/ ٤١٩، والأماكن للحازمي ١/ ٢٧٩، ومعجم البلدان ٢/ ١٨٩، ومراصد الاطلاع ١/ ٣٦١.

(٢) الأماكن للحازمي ١/ ٢٧٩ الحاشية ذات الرقم: ٣.

في ديار عوف، وذكر أن في غدير رواوة خمسةَ نقوش للأنصار، ونقوش في غدير هكر في وادي الخَنَق الذي يدفع من قاع حَضَوْضَى[١].

فإين ذهب أولائك الأنصار المتفرّقون في ديار حرب منذ قرون عديدة؟ وأين ذهبت قبائلهم؟ إنّ فرضيّة دخول بطون أو قبائل من الأنصار في قبيلة أكبر مجاورة لهم كقبيلة حرب فرضيّة مقبولة جدًّا، ولها عند التّحليل التاريخي والجغرافي ما يؤيّدها، وإنّ تشابه الأسماء واتّفاق الأماكن ليسا مجرّد مصادفة، فهما على الأقل يثيران الانتباه ويدعوان إلى مزيد من البحث والتحليل. وهذا الموضوع يستحقّ المراجعة العلميّة الجادّة، وليس هذا مكان تأصيله ولكنني ذكرته لأهميّته لمن يريد أن يعرف تداخل القبائل، والصلات بينها، وذوبان الأصغر في الأكبر أو الأقوى، تبعًا لظروف مرّت بها جزيرة العرب في عصورها المتعاقبة، وإذا دخلت قبيلة أو بطن في قبيلة أكبر فإنّ الداخل يذوب في قبيلته التي ألجأته إليها أسباب العيش والبقاء، حتى ينسى أصله القديم عبر القرون المتعاقبة، وليست قبائل الأنصار وبطونها الأصغر المتناثرة في بوادي الحجاز بين الحرمين حالةَ استثناءٍ من هذا القانون الاجتماعي الذي لا

(١) عندي صور تلك النقوش، ومن أرادها فعليه مراجعة حساب محمد المغذوي في تويتر، وهذا مُعرّفه: @mohammed93athar

يجامل أحدًا، وليس للباحث المحايد ردّ هذه الفرضيّة التي تشير إلى دخول قبائل وبطون وفخوذ من الأنصار في حرب وغيرهم.

ومن الاحتمالات أن يقال: إنّ أصل قبيلة حرب هو المكوّن الخولاني النازِح إلى الحجاز على ما رواه الهمداني في الإكليل، ثم ساد هذا المكوّن الخولاني وأصبح ذا مكانة وشوكة في الحجاز بين المدينتين وحقق انتصارات إقليمية، فدخل فيه المكوّن المذحجي، ثم دخل مكّونان آخران، هما المكوّن الأنصاري، قبائل وبطون من الأوس والخزرج، والمكوّن العدناني، وهم قبيلة مزينة وغيرها. فهذه أربعة مكونات تجانست وتحالفت وانصهرت وأصبحت قبيلة واحدة من أقوى القبائل وأعرقها في جزيرة العرب.

وليست قبيلة حرب بِدْعًا في ذلك، فما من قبيلة كبيرة تشغل مساحة كبيرة إلا وفيها مكوّنات مختلفة لا تعود إلى جدّ واحد، والحلف بين قبائل العرب وإعادة تكوينها في كيانات أكبر أمر معروف وقديم منذ العصر الجاهلي، وهم يعرفون أنّ الداخل فيهم كُفء وذا أصل ومكانة فقبلوه كما قبلهم هو، والعرب أكفاء في النسب.

ويري حمد الجاسر في تكوينات القبائل (جميع القبائل) أنها لا تعود بالضرورة إلى أب واحد، دون أن يدخلها حلف أو ولاء[1]، وهذا شأن العرب منذ الجاهلية، تدخل قبائل أو بطون في قبائل كبيرة مجاورة لأغراض متعددة. ولم يذهب الجاسر بعيدًا عمّا يراه المستشرق الفرنسي بلاشير (Blachère) وخلاصته أنّ القبيلة الكبيرة تعدّ مجموع أرهاط وتفرّعات يجمعها اسم وزعيم قديم، وتستطيع مجموعة غريبة أن تندمج في قبيلة أقوى منها؛ لأسباب عدّة منها القحط والأوبئة والحروب[2].

وفي هذا الشأن يقول الدكتور جواد علي تحت عنوان: (أسماء أجداد القبائل): «لكل قبيلة -كما ذكرتُ- جدٌّ تنتمي إليه وتفاخر وتباهي به. وقد يكون هذا الجد جدًّا حقيقًّا، أي: إنسانًا عاش ومات، وساد القبيلة، وترك أثرًا كبيرًا في قبيلته حتى نسبت القبيلة إليه. وقد يكون الجد اسم حلف تكوّن وتألّف من قبائل عديدة، حتى عرفت به، ودعيت بذلك الحلف، وصار وكأنّه اسم جد وإنسان عاش. ومن هذا القبيل اسم "تنوخ" على حدّ زعم أهل الأخبار، فقد رووا أن تنوخًا قبائل عديدة، اجتمعت وتحالفت، وأقامت في مواضعها. وقد يكون اسم

---

(١) مقدمة حمد الجاسر لتحقيق "تذكرة الألباب في أصول الأنساب" مجلة العرب س ١٥، ج٧ و٨ المحرم وصفر ١٤٠١هـ ص ٤٨٣، وينظر: عناية الشيخ حمد الجاسر بالأنساب لعايض الردادي ٢٦، ٢٧.

(٢) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ٢٨.

موضع، أقامت قبيلة به، فنسبت إليه، كما يذكر أهل الأخبار من اسم "غسان". وقد يكون اسم إله عُبد، فنسب عُبّاده إليه مثل "بني سعد العشيرة"، و"تألب ريام" جد قبيلة "همدان"، وقد يكون اسم حيوان أو نبات أو ما شابه ذلك، مما يدخل في دراسة أصول الأسماء ومصادرها واشتقاقها»[١].

ويقول: «وقد ذهب المستشرق الفرنسي بلاشير (Blachère) إلى أن طريقة النّسابين بالنسبة إلى الأرهاط، هي طريقة إيجابية مقبولة، ولكنها لا تستند إلى أسس صحيحة بالنسبة للقبائل والأحلاف؛ بسبب أن تحالف القبائل وتكتّلها راجع إلى عوامل المصلحة الخاصّة والمنافع السياسيّة، وهي تتغيّر دومًا بتغيّر المصالح، تتولّد تبعًا لذلك أحلاف لم تكن موجودة، وتموت أحلاف قديمة، وتظهر [أسماء] قبائل كبيرة وتموت [أسماء] غيرها. ولهذا التغيّر فعل قويّ في تكوين الأنساب وفي نشوئها، إذ تتبدّل وتتغيّر الأنساب تبعًا لذلك التغيّر، ومن ثَمَّ فلا يمكن الاعتماد على الأنساب الكبرى، التي دوّنها علماء النسب وجمعوها في مجموعات، وشجّروها حفدةً وآباء وأجدادًا»[٢].

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٣٤٠.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٣٤١. وينظر: تاريخ الأدب العربي لبلاشير ٢٩.

ويقول جواد علي في موضع آخر: «ويلاحظ أنّ الأحلاف إذا طالت وتماسكت، أحدثت اندماجًا بين قبائل الحلف قد يتحوّل إلى النسب، بأن تربط القبائل والعشائر الضعيفة نسبًا بنسب القبيلة البارزة المهيمنة على الحلف، وينتمي الأفراد إلى سيّد تلك القبيلة البارزة، فتدخل أنسابها في نسب الأكبر. وفي كتب الأنساب والأدب أمثلة عديدة على تداخل الأنساب، وانتفاء قبائل من أنسابها القديمة ودخولها في أنساب جديدة.

ويؤدّي انحلال الحلف أو انحلال عِقد عشائر القبيلة الذي هو في الواقع حلف سمّي "قبيلة"، إلى انحلال الأنساب وظهور أنساب جديدة، فإنّ القبائل المنحلّة تنضمّ إلى حلف جديد، فيحدث ما ذكرته آنفًا من تولّد أنساب جديدة، ومن تداخل قبائل في قبائل أخرى، وأخذها نسبها. ومن هنا قال جولد زيهر: إنه لفهم الأنساب عند العرب، لا بدّ من معرفة الأحلاف والتحالف، فإنها تكوِّن القبائل؛ لأنّ أكثر أسماء أجداد القبائل هي أسماء أحلاف، ضمّت عددًا من القبائل توحّدت مصالحها فاتّفقت على عقد حلف فيما بينها»[1].

إنّ في الأخذ بروايات بعض النسّابين القدماء أو المتأخرين والتسليم بها على عِلّاتها دون تمحيص ونقد مجازفةً تنافي العلم وأدبيّات

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/ ٣٨٥، ٣٨٦.

البحث الناقد، وقد تسيطر على بعض الباحثين الرغبة في إرجاع القبيلة الكبيرة إلى جدّ واحد دون دليل قطعيّ يثبت أنّها من نسل جدٍّ واحد، وعلى سبيل المثال فإنّنا لو أخذنا برواية الهمدانيّ في الإكليل فإنّنا سنعيد حربًا كلّها إلى خولان، وفي هذا مجازفة كبيرة وظلم لقبيلة عريقة ذات جذور أقدم من الخولانية وأكثر رسوخًا في الحجاز والمدينة.

(٨)

نسب آل خليفة
من التراجمة من الصواعد من عوف
(مقدمة البحث)

عبدالرّزّاق الصّاعديّ

حرر في ٦/ ٦/ ١٤٤٢هـ - ١٩/ ١/ ٢٠٢١م

«تَعَلَّمُوا من أنْسَابِكم ما تَصِلُون به أرحامَكم، فإنّ صِلةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأَهْلِ مَثْرَاةٌ في المالِ، مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ»

حديث، صحّحه الألبانيّ

لَسْـــــنا وإنْ أحْســـــابُنا كَرُمَـــــتْ

يَوْمـــــًا عَـــــلى الأحْســـــابِ نَـــــتَّكِلُ

نَبْـــــنِي كـــــما كانَـــــتْ أوائِلُـــــنا

تَبْـــــنِي ونَفْعَـــــلُ مِثْـــــلَ مـــــا فَعَـــــلُوا

المتوكّل الليثيّ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسّلام على نبيّه المصطفى.

أمّا بعد؛ فإنّ هذا الكتاب الذي يُفصّل القولَ في أنساب آل خليفة -وهم فرع من النواجعة من موسم من التراجمة من الصواعد من عوف من قبيلة حرب- ينحو إلى غاية نبيلة ويسير على سُنّة حسنة سَنّها علماؤنا، وهي بناء عمود النسب الصحيح وتأصيله على ضوء معايير علميّة وأعراف اجتماعية، فعمودُهُ تأصيل النَسَب لذُرّيّة (خليفة بن سُمير بن جريّان النويجعي الموسمي الترجميّ الصاعدي العوفي الحربي) وغايتُهُ التقريب وإبقاء التلاحم بين الأجيال المتعاقبة، لإقامة الحقوق المشروعة لذوي القُربى وصِلة رحمهم، والتّواصل مع أبناء العمومة من القبيلة الأكبر (التراجمة) ثم الصّواعد وعوف وحرب بعامّة في وطننا الأكبر المملكة العربية السعودية التي تدين لها قبيلتنا بالولاء وتعطي ملوكها البيعة، وتشارك في تنميتها وحمايتها منذ توحيدها على يد الملك المؤسّس رحمه الله.

فأسأل الله عز وجلّ أن يبارك في هذا العمل ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، ليكون بابًا مُشرعًا للخير وسببًا من أسباب الدعاء الصادق لآبائنا وأمهاتنا وأجدادنا وجداتنا وعمّاتنا وخالاتنا، وجميع موتانا ولمن هم على قيد الحياة، وليكون دافعًا لصلة الرّحم والمودّة وبذل الخير والمعروف والإحسان بين ذريّة آل خليفة إلى أن يرث اللهُ الأرض ومن عليها.

قصة هذا الكتاب:

حينما كنتُ طالبًا في جامعة الملك عبدالعزيز بجدة (١٤٠٤- ١٤٠٨هـ) كنت مُولعًا باقتناء المصادر في اللغة والأدب والتاريخ والبلدانيات، واقتنيتُ في عام ١٤٠٦هـمن إحدى دور النشر في حيّ الجامعة كتابًا عنوانه (نسب حرب) لمؤرّخ الحجاز عاتق بن غيث البلادي، فطالعتُه وقرأت فيه شيئًا من أنساب قبيلتي (حرب)، وعرفت أصولهم وبعض فروعهم.. وقع

ذلك الكتاب في نفسي موقعًا، وأيقظ فيها أسئلةَ الهُوية ورغبةَ الغوص في التاريخ وماضي الأجداد، وحَبَّبَ إليّ المصادر التي تتناول الأنساب، ثم نظرتُ في كتاباتٍ لحمد الجاسر عن بعض القبائل، فاقتنيتُ في أيّام دراستي بالجامعة كلَّ ما وقعت عليه يدي من كُتُب الأنساب، ومن أبرزها: (جمهرة النسب) لهشام بن السائب الكلبي (ت٢٠٤ هـ) و(نسب معدّ واليمن الكبير) له، و(كتاب النسب) لأبي عبيد القاسم بن سلّام (ت ٢٢٤هـ) و(الإكليل) للسان اليمن الهمداني (توفي بين ٣٥٠ و ٣٦٠هـ) و(الإيناس في علم الأنساب) للوزير بن المغربي (ت ٤١٨هـ) و(جمهرة أنساب العرب) لابن حزم (ت ٤٥٦هـ) و(قلائد الجُمان في التعريف بقبائل عرب الزمان) للقلقشندي (ت ٨٢١هـ) (وسبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) للسويدي[٣٠٥] (ت ١٢٤٦هـ) ونظرتُ في تلك المصادرت وقرأتُ في بعضها، وكانت العلاقة الحميمية الخاصّة بيني وبين هذا الفنّ الأصيل تتوطّد، وكانت الرغبة فيه تدقُّ أوتادها في أعماقي، وكنت أحلم بتاليف كتاب حافل عن قبيلتي (حرب) أتقيّلُ فيه عاتقًا البلادي وأتوسّع فيما أَوْجَزَ فيه أو سكتَ عنه، وبخاصّة أنساب الصواعد والتراجمة، ثم عشيرتي القريبة آل خليفة، وشرعتُ منذ ذلك الحين (١٤٠٦هـ) في جمع المصادر، وكنتُ أشافه كبار السّنّ من عشيرتي، وأدوّن ما أسمع من تفصيلات العشيرة القريبة وفروعها المتناثرة، ونقلتُ فوائد متفرّقة عن عمّي داخل بن دخيل بن فالح وعن خالي سُليم بن سُليِّم بن طريس، وخالي عبدالله بن راجح بن سعد وعن ابن عمنا عبّاس بن حميّد بن محمد بن غنيمة وعن ابن عمنا سالم بن سند بن سعيّد بن مسعود، رحمهم الله جميعًا وعن صويدر بن ماطر بن مسعد الصُّفيحي. ونقلت عنهم وعن بعض المصادر المتفرّقة مادّة زاخرة في تاريخ قبيلة حرب وعشيرتنا (آل خليفة) من النواجعة من موسم من التراجمة من الصواعد.

ثم تغيّرت اهتماماتي وأولوياتي بعد التحاقي بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية، وقلّ اهتمامي بالأنساب لانشغالي بتخصصي (اللغة العربية) وعملي الأكاديمي في الجامعة الإسلامية

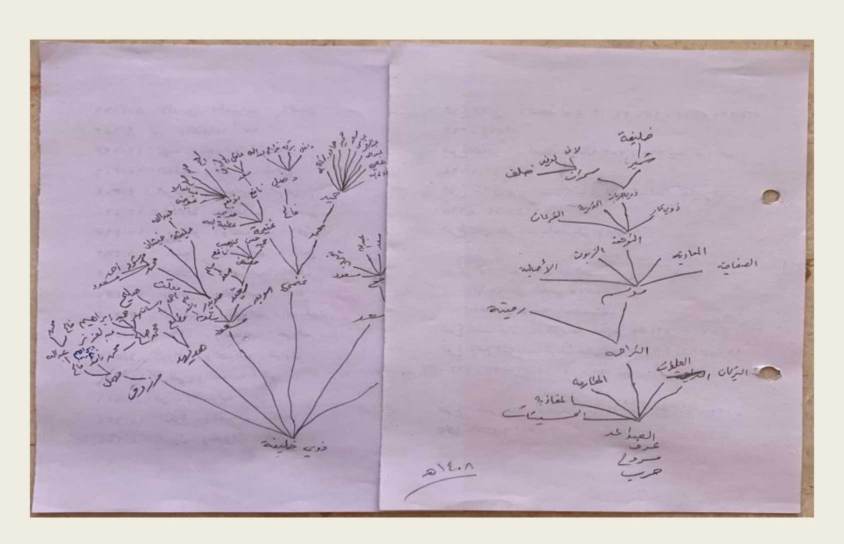
(٣٠٥) هذا الكتاب من أقدم ما اقتنيته ولم أكن أعرف مضمونة، والأرجح أنّ عنوانه اللطيف (سبائك الذهب) هو الذي أغراني باقتنائه من مكتبة صغيرة في شارع العلوي (سوق الندى) بباب مكة في مدينة جدة، وكانت تبيع الكتب القديمة، ويغلب عليها الكتب الدينية والتاريخية.

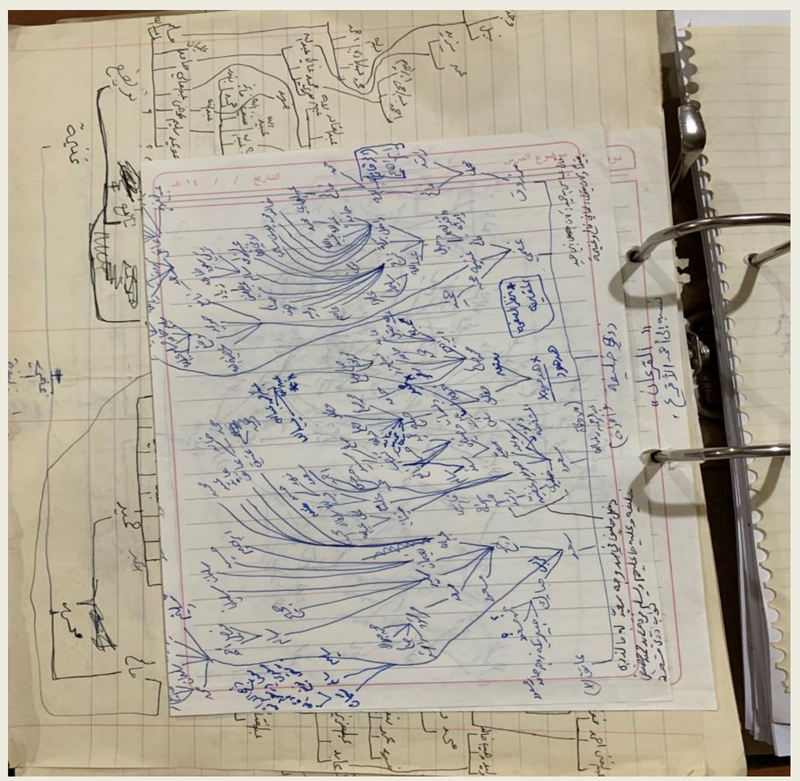
بالمدينة المنورة مع عملي الإداري فيها[٣٠٦]، فكاد يتلاشى ذلك الاهتمام في تلك المرحلة، وقد أظلّتني أعوامٌ متعاقبة بعد عام ١٤٢٠هـ لا أكاد ألقي بالًا للأنساب ومصادرها، وإن كان شغفي القديم يطلُّ أحيانًا في نفسي إطلالات عابرة ويشرق إشراقات ثم يختفي، لقد نسيتُ أو كدتُ أنسى ما صنعتُهُ في مرحلة الجامعة، وتجاهلت أضابيري الحافلة بالمدوّنات والمنقولات والمشجّرات التي صنعتها من أفواه الرُّواة الذين أشرت إليهم، ومن غيرهم.. فلمّا تقاعدتُ في عام ١٤٤١هـ رجعت إلى شيء من عشقي القديم، والعَوْدُ أحمدُ، ولكنني أصبحتُ أكثر واقعيّةً، فتنازلتُ عن فكرة الكتاب الشامل عن قبيلة حرب. لقد اضمحلّ هدفي مع التقدّم في العمر ورضيتُ بالقليل، رضيتُ بالكتابة عن قبيلتي الصغيرة أو عشيرتي على الأصح (آل خليفة) ويقال لهم في لهجتنا الدارجة: (ذوي خليفة) نسبة إلى جدّنا خليفة بن سُمَير[٣٠٧] بن جريّان (١١٩٠- ١٢٦٠هـ) وهم فرع من فروع التراجمة، فأعدتُ النظر في الأضابير المجموعة عندي، وبحثت فيها عن آل خليفة وحدهم، فوجدتُ أنّ أكثر أصولهم التي تُبنى عليها الفروع وفروع الفروع مدوّنة عندي كاملة، فكان هذا دافعًا لي لبعثها من مرقدها، وإكمال ما فيها من نقص، وإضافة عنصر النساء (الجدّات والأمهات والعمّات والخالات والبنات) ليكون العمل متكاملا، لأنّ النسب لا يكتمل إلا بالنساء وهنّ شقائق الرجال، وبهنّ تُعرف الخُؤُولة ويُوصل الرَّحِم على وجهه الأكمل، وكان العمل شاقًّا خلافًا لما توقّعت، وخاصّة عند البحث عن أسماء الجدّات والعمّات والخالات اللاتي مضى على وفاتهن أكثر من قرن، ولكنني استعنت بأبناء العمّ من الرجال وبعض الخالات ممن تحتفظ ذاكرتهم ببقايا من تاريخ آل خليفة، وكان بعضهم

(٣٠٦) عُيّنت معيدًا بقسم اللغويّات في كلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية في ٩/ ٢/ ١٤٠٩ ثم محاضرًا ثم أستاذًا مساعدًا فأستاذًا مشاركًا فأستاذًا، وتقلّدت عددًا من المناصب، إذ كنتُ وكيلًا للدراسات العليا ثم عميدًا للدراسات العليا ثم عميدًا لكلية اللغة العربية ثم عميدًا للدراسات العليا (مرّة أخرى) ثم وكيلًا للجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي.

(٣٠٧) بالتصغير، ولكنهم ينطقونه بلهجتهم العامّيّة (اسْمير) بهمزة وصل خفية مع تسكين السين وإمالة الميم، مثل اسْليم واحْميّد وامْبراك، ، على نهج العامّيّة في التصغير، ويقصدون صيغة التصغير الفصحى: سُمَير، وسُليم وحُميّد ومُبارك.

يسدّ نقصَ بعض، أو يصحّح روايته(٣٠٨)، فاهتديتُ -بفضل الله ثم بمساعدة أولئك- إلى صناعة شجرة النسب لآل خليفة على وجهٍ يطابق الواقع والتاريخ، وأراه أقربَ إلى التّمام، ولا أقول الكمال المطلق.





نماذج من مسوّدات عملي في بداية المشروع في عام ١٤٠٦هـ

الأهداف والدوافع لتأليف هذا الكتاب:

(٣٠٨) وسأذكر أسماءهم كاملة في ذيل هذه المقدمة إن شاء الله.

للأنساب قيمة لدى الأمم، ولها أهمّيّة كبرى عند العرب، شُغِلوا بها منذ أقدم عصورهم، حفظوها ونقلوها بالرّواية إلى أعقابهم، وجمع علماؤهم منذ فجر التدوين قدرًا صالحًا منها، لعلمهم أنّ التراخي في الحفظ والتدوين يؤدّي إلى ضياعها أو ضياع بعضها ويؤدّي إلى اختلاطٍ والتباسٍ وتشويش، والمحمودُ من الأنساب هو ما يحفظ لمعرفة الحقوق وصلة الأرحام، قال نبيّنا محمد -صلّى اللّهُ عليه وسَلَّمَ-: «تَعَلَّمُوا من أنْسابِكم ما تَصِلُون به أرحامَكم، فإنّ صِلةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ في الأَهْلِ مَثْرَاةٌ في المالِ، مَنْسَأَةٌ في الأَثَرِ»(٣٠٩).

وقد عزمتُ منذ ٣٥ سنة على إعداد شجرةٍ خاصّة لآل خليفة بن سُمَير بن جريّان من النواجعة من آل موسم من التراجمة من الصواعد من عوف من مسروح من حرب.. ونقلت عن كبارنا –رحمهم الله- الكثير من التفاصيل. فجاء هذا الكتاب ثمرة لطموحٍ قديمٍ وجهدٍ متقطّع، وسعيتُ فيه إلى تحقيق جملةٍ من الأهداف، من أبرزها:

١- حصر آل خليفة حصرًا كاملًا رجالًا ونساءً وكبارًا وصغارًا وأحياءً وأمواتًا، مع تحديد سنوات الوَفَيَات للرجال، قدر الإمكان، ليعرف كلٌّ منهم فَرعَه وأصلَه وأجدادَه وأعمامَه وأخوالَه، ويصلَ رحمَه، وقد رأيتُ نقصًا وخللًا في هذا الجانب لانعدام التدوين الذي تحرص عليه الأسر والعشائر العريقة التي تُعنى بأنسابها الكاملة وأصولها وفروعها لتثقيف الأجيال المتعاقبة بما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات شرعيّة واجتماعيّة.

٢- صُنْعُ مشجّرةِ نسبٍ دقيقةٍ لآل خليفة ثم مُشَجّرات صغيرات لكلّ فرع من فروع آل خليفة الخمسة مرتّبين بحسب السّنّ:

- آل مرزوق، وهم: (آل فالح، وآل راشد، وآل ضبعان).
- آل غنمي، وهم: (آل حميّد بن محمد، وآل دخيّل بن فالح، وآل غنيمة بن غنمي).
- آل سعد، وهم: (آل طريس، وآل راجح).

---

(٣٠٩) أخرجه أحمد: ٨٨٦٨ والترمذي: ١٩٧٩ وصحّحه الألباني في صحيح الجامع: ٢٩٦٥ والصّحيحة: ٢٧٦.

- آل مسعود وهم: (آل صويدر، وآل سعيّد، وآل سَلّوم).
- آل هدهود (هديهد) وهم: (آل معتق، وآل مطلق).

٣- أن يعرف كلُّ فرد منهم أجدادَه وجدّاتِه، من جهة والديه (أبيه وأمّه) فيعرف أعمامه وأخواله، ويصل رحمه من الجهتين.

٤- معرفتهم وتحديدهم بالأسماء أجدادًا وجدّاتٍ وأعمامًا وخالاتٍ لتذكّرهم والدعاء لهم بالمغفرة، وستصل إليهم الحسنات في قبورهم. أقول هذا لأنّ أكثرنا يجهل بعض أجداده وجدّاته وخالاته ولا يكاد يتذكّرهم بشيء من الدعاء أو الصَّدقة.

٥- التأريخ لميلادهم ووفياتهم، مع التحرّي وبذل الجهد في ذلك واستنباطه مما عرفناه أو عرفه غيرنا عنهم، أو وجدناه في سجلّاتهم الرسميّة (حفائظ النفوس للذين أدركوا حكم دولتنا السعوديّة المباركة) وقدّرت أعمار المتقدّمين منهم؛ كخليفة وأبنائه الخمسة وأحفاده منهم؛ بطريقة تقريبية اعتمادًا على الفوارق بين الأجيال، وقدّرت الفرق بين كلّ جيل والذي قبله أو بعده بنحو ثلاثين سنة، وهذا هو المعتمد في كتب الأنساب، فقدّرت مولد الجدّ خليفة بن سُمير ووفاته بناء على أصغير جيل من أحفاده، وهو لبعضهم الجدّ الثامن، فاستخرجت نتيجةً تقريبية لتعاقب الأجيال وتقدير الزّمن الذي عاش فيه جدّنا خليفة بن سُمير، وهو: (١١٩٠-١٢٦٠هـ).

٦- الرغبة في الحصر الدقيق، للاستفادة منه في الوقف الذّرّيّ حين وجوده لآل خليفة عامّة فيأخذ كلُّ حقّه المشروع، أو أن يكون الوقف الذّري لأيّ فرع من فروعهم الخمسة، فتستفيد منه ذراري الفرع.

٧- تدارك ما فاتنا مما ضاع أو أوشك على الضياع من أسماء الأجداد والجدّات والعمّات والخالات، وبهؤلاء تُعرف التفصيلات الأدقّ في النسب على الوجه الصحيح.

٨- توعية الأجيال الحاضرة والأجيال القادمة بقيمة الأنساب وحثّهم على مواصلة التّدوين المستمرّ جيلًا بعد جيل، وأرجو أن يكون هذا الكتاب أساسًا متينًا يبنون عليه في العقود والقرون القادمة -إن شاء الله.

ملحوظات وتنبيهات عامة:

أ- هذا الكتاب وقفٌ علميّ لجميع ذُريّة خليفة، ليس مخصّصًا للبيع التجاري ولا النشر في الأسواق، بل هو خاصّ وسيوزّع على فروع آل خليفة، ويحفظ لديهم للأجيال القادمة، ليعرفوا نسبهم وأصولهم وفروعهم.

ب-لم نعرف أمّ جدّنا خليفة ولا أمّهات أبنائه الخمسة ولا أمهات الجيل الأوّل من أحفاده، أعني مهمّل بن مرزوق، ومحمد وغنيمة وفالح أبناء غنمي، وطريس وراجح أبناء سعد، وصويدر وسعيّد وسلّوم أبناء مسعود، ومعتق ومطلق أبناء هدهود) وهنّ من غير آل خليفة قطعًا، وهنّ غالبًا من قبائل التراجمة وموسم والتّواجعة، وبعضهن من قبائل أبعد أخرى في حرب وفي غير حرب، ومن القبائل المجاورة كسُليم ومُطير وجُهينة.

ت- عرفنا -بفضل الله- أغلب بنات الجيل الثالث، إذ عرفنا عشرًا من بنات صويدر[٣١٠]، وستّا من بنات راجح.

ث-يشتمل الكتاب على ملحق للصور لمن أدركناهم من آبائنا وأجدادنا ومن توفّاهم الله من جيلنا هذا، لما للصور الشّخصيّة من أهمّيّة في حفظ الملامح الشخصيّة، وبها تعرف الأجيال المتعاقبة القادمة الملامح الدّقيقة لآبائهم وأجداهم، مما يُغني عن الوصف بالكلمات.

الجدّ خليفة بن سُمَير (١١٩٠-١٢٦٠هـ) وأبناؤه الخمسة:

هو خليفة بن سُمير بن جريّان، ليس له أخوة ذكور، ولا نعلم إن كان له شقيقات أم لا، وخليفة هذا رجلٌ مبارك، إذ بُورك في أبنائه الخمسة (مرزوق –وهو أكبرهم- وغنمي وسعد ومسعود وهدهود) وأمّا سادسُ أبنائه -واسمه عاتق- فقد تزوّج ولم يُعقّب، فانقطع فرعه.

وحين نرجع إلى الوارء قليلًا، إلى جريّان جدّ خليفة، نجده أنجب ولدين: سمران وسُمير (ينطق على وزن طوير وينطق في الفصحى سُمَير، على التصغير الفصيح، كما سبق التنبيه عليه) وسمران هو جدّ اللوافية وذوي خلف، وهما أبناء عمومة آل خليفة الأقربين، وأما سُمير فمما

(٣١٠) كان عليثة بن صويدر يقول مازحًا: أنا لا أستطيع الزواج من ذوي خليفة، لأني خال بناتهم.

نعلمه من حاله أنه كَبِر ولم يكن له عقب، وكان يطلب من ذويه أن يزوّجوه، فلمّا ألحّ عليهم بالطلب زوجوه امرأة مطيرية، فحملت منه ومات سُمير وهي في حملها، فأنجبت ولدًا سمّوه: خليفة، تيمّنا بأن يخلف أباه، فكان هذا الشاب اليتيم الذي عاش في كنف أمّه ورعايةٍ من عمّه سمران، هو جدّ آل خليفة، وبُورك في نسله، فأصبحوا قبيلة ذات شأن، أسهموا مع غيرهم في بناء المجتمع وحضارته العمرانية والثقافية في بلادنا المملكة العربية السعودية.

وأرجو منكم وأنتم تنظرون في الشجرة أو تقرؤون التفصيلات من أبناء خليفة أو أحفاده من الفروع الخمسة أن تقولوا: ما شاء الله لا قوّة إلا بالله، تأسّيًا بسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

مكانة الأنساب عند العرب وضرورة حفظها:

لم يكن الغرض من الأنساب التفاخر والتنابز وإثارة النعرات، وإنّما معرفة الحقوق والواجبات وصلة الأرحام، فالناس سواسية، وأكرمهم عند الله أتقاهم، فقد روى الترمذي أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم- خطب بمكة فقال: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنّ الله قد أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليّة وتَعاظُمَها بآبائها فالنّاسُ رَجُلان بَرٌّ تَقِيٌّ كريم على الله، وفاجِرٌ شَقِيٌّ هَيِّنٌ على الله، والنَّاسُ بَنُو آدَمَ وخَلَقَ اللهُ آدَمَ من تُرَابٍ، قال الله: {يا أَيُّهَا النَّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لتَعَارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}"[٣١١].

وفي هذه الآية الكريمة (إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ) تقرير صريح بأنّ الناس متساوون في الخلق وفي القيمة، وأنّه لا أحد منهم أكرم من غيره إلا من حيث تقوى الله عز وجل، بأداء حقّ الله وحقّ الناس.

وقد جاء الحثُّ على تعلّم الأنساب مع ذكر العلّة أو العرض من تعلّمها، إذ رُوي عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تعلّموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامَكم؛ فإنّ صِلة الرَّحِم محبَّةٌ في الأهل، مَثراة في المال، مَنْسَأةٌ في الأَجَل،

(٣١١) الحديث في سنن الترمذي، وهو حديث ذو الرقم ٣١٩٣.. والآية من سورة الحجرات الآية ١٢.

مَرْضاة للرّبّ»[٣١٢] وفي روايات: «احفَظُوا أنسابَكُم، تَصَلُوا أرحامَكُم»[٣١٣] «فإنّهُ لا قُرْبَ لرَحِمٍ إذا قُطِعَتْ، وإنْ كانت قَرِيبةً، ولا بُعْدَ لها إذا وُصِلَتْ ، وإنْ كانَتْ بَعِيدَة»[٣١٤] «وكُلُّ رَحِمٍ آتِيَةٌ يومَ القِيامةِ أمامَ صاحِبِها، تَشْهَدُ له بصِلَةٍ إنْ كانَ وَصَلَها، وعليه بقَطِيعَةٍ إنْ كان قَطَعَها»[٣١٥].

وقال ابن حَزْم: «كان أبو بكر الصّدّيق- رضي الله عنه- وأبو الجهم بن حُذيفة العَدويّ، وجُبير بن مُطْعِم بن عَديّ بن نوفل بن عبد مناف، من أعلم الناس بالأنساب. وكان عمر، وعثمان، وعليّ، به علماء، رضي الله عنهم. وإنما ذكرنا أبا بكر، وأبا الجهم بن حذيفة، وجُبيرًا قبلهم، لشدّة رسوخهم في العلم بجميع أنساب العرب. وقد أمر رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حسانَ بن ثابت -رضي الله عنه- أن يأخذ ما يحتاج إليه من علم نسب قريش عن أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وهذا يُكذّب قولَ من نسب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنّ النسب علم لا ينفع، وجهل لا يضرّ؛ لأنّ هذا القول لا يصحّ، وكل ما ذكرنا صحيح مشهور منقول بالأسانيد الثابتة، يعلمها من له أقلّ علم بالحديث. وما فَرَض عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهم- الديوانَ، إذ فرضوه، إلّا على القبائل؛ ولولا علمهم بالنسب، ما أمكنهم ذلك. فبطل كلّ قول خالف ما ذكرناه. وكان سعيد بن المسيّب، وابنه محمد بن سعيد، والزُّهريّ، من أعلم الناس بالأنساب، في جماعة من أهل الفضل والفقه والإمامة، كمحمد بن إدريس الشافعي، وأبى عبيد القاسم بن سلام، وغيرهما»[٣١٦].

وعلى معرفة الأنساب «تترتّب أحكام الورثة فيحجب بعضهم بعضًا، وأحكام الأولياء في النكاح، فيقدّم بعضهم على بعض، وأحكام الوقف إذا خصّ الواقف بعض الأقارب أو بعض الطبقات دون بعض، وأحكام العاقلة في الدّية حتى تُضرب الدّية على بعض العُصبة دون بعض،

(٣١٢) انظر مسند الامام أحمد ج ٢ ش ٣٧٤.

(٣١٣) الجامع الصحيح للسن والمسانيد ٥/ ١٦٠، وشعب الإيمان ١٠/ ٣٢٧، وانظر: صَحِيحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَد: ٥٤.

(٣١٤) السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٦٤ ح ٢٠٣٦٩، وصحيح الجامع: ١٠٥١.

(٣١٥) الأدب المفرد ٣٩/ ٧٣، وهو حسن الإسناد، وينظر: «السلسلة الصحيحة» (٢٧٧) وصحيح الأدب المُفرَد: ٥٤.

(٣١٦) جمهرة أنساب العرب ٥، ٦.

وما يجري مجرى ذلك، فلولا معرفة الأنساب لفات إدراك هذه الأمور وتعذّر الوصول اليها»[٣١٧].

وعلى معرفتها ينبني اعتبار النسب في كفاءة الزوج للزوجة في النكاح عند الشافعي – رحمه الله- وفي اعتبار النسب في العجم وجهان أصحّهما الاعتبار، فإذا لم يُعرف النسب تعذّرت معرفة هذه الأحكام، ومنها مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح أنّ النبيّ -صلى الله عليه وسلم- قال: تُنكح المرأة لأربع؛ لدينها وحسبها ومالها وجمالها[٣١٨]، فراعى صلى الله عليه وسلم في المرأة الحسب وهو الشرف في الآباء[٣١٩].

كفاءة النسب في الزواج عند آل خليفة:

يلتزم آل خليفة في الزواج بمسألة الكفاءة في النسب، ويعطونها حقّها من العناية، فيحرصون في زواج أبنائهم أشدّ الحرص، ويختارون المرأة الصالحة ذات الدين والنسب، ولا يزوّجون بناتهم إلا الأكفاء صرحاء النسب من العرب، ممن يرتضون خلقهم ودينهم، والعَرَبُ بعضُهُم لبعضٍ أكفاءُ، والكفاءة في النسب من مسائل الشرع والفقه في الإسلام، والاعتبار فيهما بالآباء؛ لأنّ النّاس لا يُنسبون إلى أمهاتهم، وإنّما يُنسبون إلى الآباء بالتعصيب.

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «تخيّروا لنُطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»[٣٢٠].

والكفاءة لغة: المماثلة والمساواة، ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم-: «المسلمون تتكافأ دماؤهم» أي: تتساوى، فيكون دم الوضيع منهم كدم الرفيع، وهي هنا معتبرة في خمسة أشياء: الدين والنسب والحريّة والصناعة واليسار. ذكرها ابن قدامه من المغني في مسألة شروط

(٣١٧) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٧.

(٣١٨) من حديث في البخاري: (ح٥٠٩٠) ومسلم: (ح١٤٦٦).

(٣١٩) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ٨.

(٣٢٠) حديث حسن بطرقه وشواهده، حسنّه ابن حجر في الفتح ٩/ ١٢٥. وأخرجه ابن أبي حاتم في العلل ١/ ٤٠٣ و ٤٠٤، وابن حِبّان في المجروحين ١/ ٢٢٥، والدارقطني (ح٣٧٨٨)، والحاكم ٢/ ١٦٣.

الكفاءة في النكاح، قال: «اختلفت الرواية عن أحمد في شروط الكفاءة، فعنه هما شرطان؛ الدين، والمنصب؛ أي: النسب، لا غير. وعنه أيضًا أنها خمسة؛ هذان؛ أي: (الدين والنسب) والحرّيّة، والصناعة، واليسار. وذكر القاضي، في (المجرّد) أنّ فقد هذه الثلاثة لا يبطل النّكاح، رواية واحدة، وإنّما الرّوايتان في الشّرطين الأولين. قال: ويتوجّه أنّ المبطل عدم الكفاءة في النّسب لا غير؛ لأنّه نقص لازم، وما عداه غير لازم، ولا يتعدّى نقصه إلى الولد. وذكر في (الجامع) الروايتين في جميع الشّروط. وذكره أبو الخطاب أيضًا. وقال مالك: الكفاءة في الدين لا غير. قال ابن عبد البرّ: هذا جملة مذهب مالك وأصحابه. وعن الشافعي كقول مالك، وقول آخر إنّها الخمسة التي ذكرناها، والسلامة من العيوب الأربعة فتكون ستة، وكذلك قول أبي حنيفة، والثوري، والحسن بن حَيٍّ إلا في الصنعة والسلامة من العيوب الأربعة. ولم يعتبر محمد بن الحسن الدين، إلا أن يكون ممن يسكر ويخرج ويسخر منه الصبيان، فلا يكون كفؤا؛ والدليل على اعتبار النسب في الكفاءة، قول عمر -رضي الله عنه-: لأمنعنّ فروج ذوات الأحساب إلا من الأكفاء. قال: قلت: وما الأكفاء؟ قال في الحسب. رواه أبو بكر عبد العزيز، بإسناده. ولأنّ العرب يعدّون الكفاءة في النسب، ويأنفون من نكاح الموالي، ويرون ذلك نقصًا وعارًا، فإذا أطلقت الكفاءة، وجب حملها على المتعارف، ولأنّ في فقد ذلك عارًا ونقصًا، فوجب أن يُعتبر في الكفاءة كالدين»[٣٢١]، ولذا تلتزم به جلّ القبائل العربية العريقة، وقبيلة حرب وفروعها وبطونها من تلك القبائل العريقة.

(٣٢١) المغني لابن قدامة ٧/ ٣٥، ٣٦.

سِمة الأسماء أو التسمية في قبيلة آل خليفة:

لا يكاد العرب يخرجون في عصورهم المتقدّمة عند تسمية مواليدهم عن بيئتهم وثقافتهم ومعتقداتهم وموروثهم العامّ، قال القلقشنديّ: «غالب أسماء العرب منقولة عمّا يدور في خزانة خيالهم مما يخالطونه ويجاورونه، إمّا من الوحوش، كأسد ونمر، وإمّا من النبات، كنَبت وحنظلة، وإما من الحشرات، كحيّة وحنش، وإمّا من أجزاء الأرض، كفِهر وصَخر، ونحو ذلك. والغالب على العرب تسمية أبنائهم بمكروه الأسماء، ككلب وحنظلة وضِرار وحرب، وما أشبه ذلك، وتسمية عبيدهم بمحبوب الأسماء، كفلاح ونجاح، ونحو ذلك.... قيل لأبي الدُّقيش الكلابي: لِمَ تسمّون أبناءكم بشرّ الأسماء، نحو كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء، نحو مرزوق ورَباح، فقال: إنما نسمّي أبناءنا لأعدائنا، وعبيدنا لأنفسنا. يريد أن الأبناء مُعدَّة للأعداء في المحاربة ونحوها، فاختاروا لهم شرّ الأسماء، والعبيد معدّة لأنفسهم، فاختاروا لهم خير الأسماء»(٣٢٢).

وحين نتأمل أسماء الذكور والإناث في آل خليفة نجدها تجري على النسق الدارج في أزمانهم المتعاقبة، فهم جزء من مجتمعهم الأكبر، والعادات والتقاليد الاجتماعية تحكمهم حتى في الأسماء، وهذه طائفة منها:

أولا الذكور:

كانت أسماؤهم فيما سبق لدى الأجيال السابقة من آل خليفة على امتداد نحو ١٥٠ سنة إلى ما قبل ستين سنة ذات نمط يتّصل بثقافتهم الخاصّة وحياتهم الجادّة، ومن أسمائهم: صويدر، دبسان، عليثة، معلّث، خيشان، ندحان، سلّوم، طريس، هدهود، تنيضب، حويمد، حضيّض، غنمي، غنيمة، معتق، شتيّان، سويعد، عميش، ضبعان، خريثع.

ومن الأسماء المضافة إلى الله: دخيل الله، ردة الله، وصل الله، عطية الله، عطا الله، مطيع الله.

(٣٢٢) قلائد الجمان ٢١، ٢٢.

ثم حصل تطوّر في التسمية والذوق العام في الثلاثين سنة الأخيرة، فظهرت أسماء منسجمة مع ذوق المجتمع المعاصر في عصر الطفرة النفطية، ومن هذه الأسماء: وِسام، عزّام، سطّام، ساري، سامي، فِراس، إياد، أيمن، أمجد، أكرم، وهيب، فؤاد، ريّان، فوزي، فوزان، مشاري، مؤيّد، أمير، عزّام، حُسام، علاء. مع محافظة بعضهم على الأسماء الجزلة العريقة كمحمد وأحمد وعبدالله وعبدالرحمن وعبدالعزيز، ونحوها.

ثانيا الإناث:

كانت أسماؤهن قبل قرن من الزمان: جِفنة، قُذلة، قميشة، فرجة، فريجة، رزيقة، رويعية، قليّلة، هليّلة، نافعة، عيدة، حليّة، حُميدة، حمودة، لطيّفة، معيضة، سفرة، عاقلة، نويفعة، مبيريكة، بخيّتة، محيلة، دُبيّة، صُبيّة، غويلية، هديبا، عتقى، رويعية، مسيعيدة، طويعة، حظيّظة، مخيضيرة.

وعندما أراد أجدادنا تطوير الأسماء، سمّوا بناتهم: راشدة، رشيدة، غالية، غلا، حظيّة، رضيّة، راضية، كاملة، فارعة، صالحة، صلوح، منيرة، نورة عزيزة، سلمى. (وهذه أسماء جميلة في مبناها ومعناها) ولكنّ الأحفادَ أوغلوا في رغبة التطوير والتغيير، فاختلفت الثقافة التي كنا نألفها، وهي ظاهرة شاعت في هذا الزمان في كل البلاد السعودية والعربية، فابتعد الناس في الغالب عن الأسماء العربية الجزلة واتخذوا لبناتهم أسماءً مائعة أقرب إلى العجمة. فمن أسماء الحفيدات اليوم: رنيم، وريف، هديل، لانا، غِنَى، وَسَن، رشا، رتال، طيف، سَنا، سما، حور، دِيالا، إيلين، رولين، بيلسان، رنا، هويدا، مَلَك، كادي، غدير، ريوف، جوانا، لجين، لين، تالين، تولين، نتالي، ميرا، ريهام، رند، وَسن، سوسن، شادن، أسيل، مَيَار، روز، هويدا، ريام، ترف، ريمان، تالة، لمار، رتيل، سديم، إيلان، ليان، نمار، ريتاج، رفيف، ريناد، لين، أريام، رندا، جوان، يارا، لارا، تالا، بانا، دانا.. إلخ. ومن هذه الأسماء ما له معنى جميل فيكون معناه مبررًا للتسمية به، ومنها ما لا معنى له، أو هو اسم أجنبيّ.

وشاع في أسماء بناتنا في هذا الجيل كتابة بعض ما فيه تاء التأنيث بألف، نحو: نورا/ سارا/ يارا/ لارا/ تالا/ بانا/ دانا/ ريما/ ديما/ جمانا/ جُوانا..!! وهي لغة غير عربية؛ إذ يفرّون من تاءِ تأنيثٍ عربيةٍ إلى ألفٍ أعجمية!

إنّ إحسان التسمية حقٌّ من حقوقِ المولودِ ذكرًا كانَ أو أنثى، كما يقول ابن القيّم في كتابه (تحفة المودود بأحكام الولود). وإنّ اختيار الأسماء والعناية بدلالتها العربية وهُويّتها الإسلاميّة واجبٌ يقع على عاتق الفرد والمجتمع والدّولة ممثّلة في الأحوال المدنيّة التي تملك حقّ التشريع والاعتراض على الاسم المخالف للهُويّة العربيّة الإسلاميّة.

اللبس في كتابة بعض الأعلام وقراءتها:

ثمّة لبسٌ في كتابة وقراءة بعض الأسماء، لتقاربها في النطق والرسم، كالأسماء المصغرة أو المرقّقة، فهنالك أسماء يوافق رسمُ مكبرها رسمَ مصغّرها، ولا يميّزها إلا الضبط، مثل: سليم سليم/ حميد حميد/ حميدة حميدة، فيميزها الضبط حين تكتب: سَلِيم سُلَيْم سُلَيِّم/ حَمِيد حُمَيد حُمَيِّد/ حَمِيدة حُمَيدة.. وثمّة أسماء أكثر ألتباسًا لاختلافها عن غيرها بالترقيق مثل (عبدالله / عبدِالله) ينطقون الثاني بكسر الدال وترقيق اللام. وقد يجتمعان في نسب واحد مثل: عبدالله بن عبدِالله (مرقّق) بن راشد، وللتفريق بينهما سأكتب عبدالله المرقّق بلام واحدة مشددة، مع كسر الدال، هكذا: (عبدِالّه) وإن خالفنا قواعد الرسم، لأنّ الغرض رفع اللبس، ورأيت أشقّاءنا المصريين يكتبونه: عبدالاه، تمييزا له عن عبدالله.

ومن مشاكل الأسماء الحديثة تعدّد طريقة كتابتها، وأنا في هذا الكتاب أحاول الالتزام بما هو مكتوب في السجل المدني للعائلة أو ما يصل إلي من أهل صاحب الاسم، فمثلا: حظيّظ كتبوه في السجلات المدنية: حضيّض، وهو بالظاء؛ لأنّه مشتقّ من الحظّ، واسم جمانة يكتبه بعضهم جومانة وبعضهم: جومانا أو جُمانا، فهذه أربع صور لهذا الاسم، ورتال يكتبونها: ريتال. وهناك مشكلة تاء التأنيث، فبعضهم يقلبها ألفًا، فيكتبون: ديمة وريمة: ديما وريما، فيتنازعها وجهان على غير هدى، فتارة تكتب بتاء تأنيث، وهو الصواب، وتارة تكتب بألف

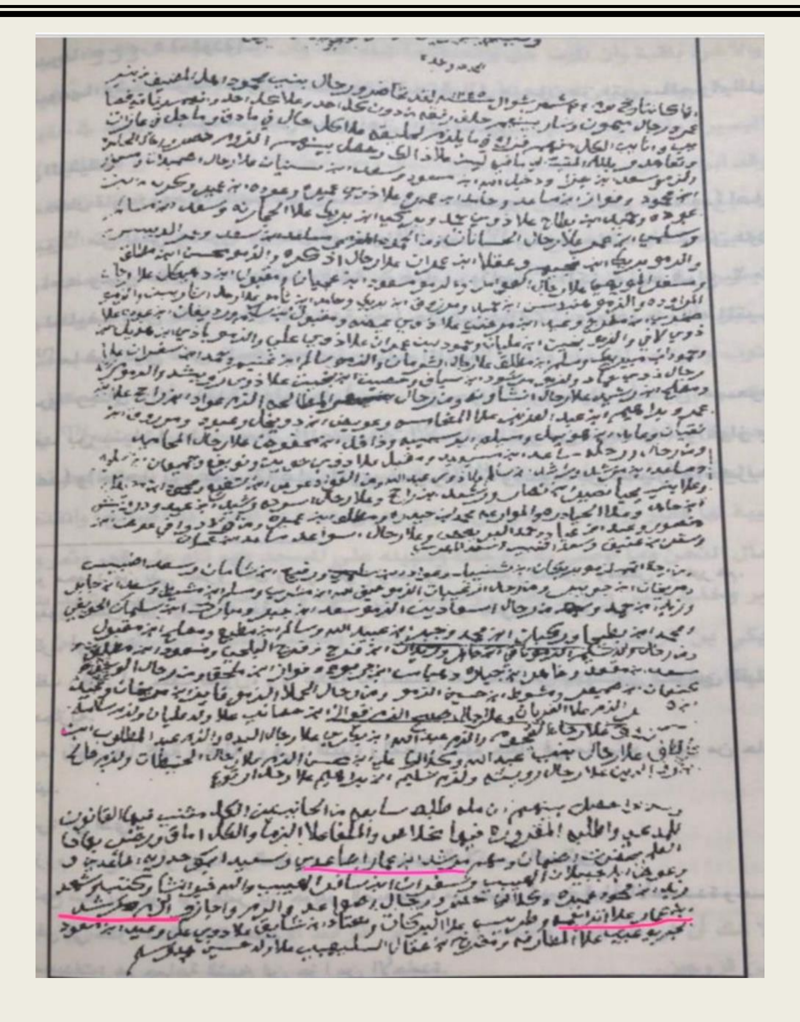
مكان التاء، واضطربت معهم السجلات الرسمية المدنية للمواليد، في شهادات الميلاد والسجل المدني، ولو كان في الأحوال المدنية مدقّق لغويّ ونظام صارم ضابط لما حدث التهاون والاضطراب والخطأ.

مَشْيَخة التراجمة من الصواعد ومشيخة آل خليفة:

أولا: مَشْيَخة التراجمة:

أولا: تخبرنا الوثائق أن مشيخة التراجمة كانت قبل قرنين في مرشّد بن عمّار (ويقال له مرشّد بن شمسة) وهو من ذوي عمّار من ذوي جريّان من النواجعة من ذوي موسم من التراجمة، ولم يزل في عقبه إلى اليوم من يقال لهم: ابن شمسة، وقد وجدت مشيخة مرشّد بن عمّار هذا في ثلاث وثائق قديمة، إحداهن في سنة ١٢٤٥هـوأغلب الظن أنه ورث المشيخة من والده عمّار، ووجدت مشيخات فرعية ولزم على النواجعة لجدي (غنمي بن خليفة)، من آل خليفة ولـ (سعيد أبي حدرية)، من عيال عمّنا الحدارية.

وتظهر مشيخة مرشّد بن عمّار النويجعي الموسي الترجمي في الوثيقة التالية:



وثيقة قديمة مؤرخة ١٢٤٥هـ تثبت مشيخة مرشّد بن عمّار (ابن شمسة)

من ذوي عمّار من النواجعة

ثانيا: أن مشيخة التراجمة انتقلت إلى ذوي رميثة، وهي في آل مساعد تحديدًا، وشيخ التراجمة في زماننا هذا هو: تركي بن حمود بن مرزوق بن صالح بن راجح من آل مساعد، أخذ الشيخة بعد وفاة والده حمود بن مرزوق بن صالح بن راجح، بتاريخ ١٤٠٢هـ وذكر لي الشيخ تركي أنها كانت قبل والده حمود في: عبدالله بن سعيد بن راجح، وكانت قبل عبدالله بن سعيد في محسن بن راجح، وقبله والده راجح، وهذا تسلسلهم القريب حسب ما رواه لي الشيخ تركي بن حمود[٣٢٣]، وعليه اقتصرت للاختصار:

---

(٣٢٣) روى لي الشيخ تركي بن حمود كل ما يخصّ مشيخة التراجمة، وأضاف قائلا: «إنّ مشيخة التراجمة قبل محسن كانت في والده راجح، ومن قبل متوارثة من جدنا مساعد الترجمي منذ ما يُقارب الثلاثمئة عام مضت». انتهى قوله.

١- راجح بن سعد بن محمد بن سعد بن مساعد الترجمي.

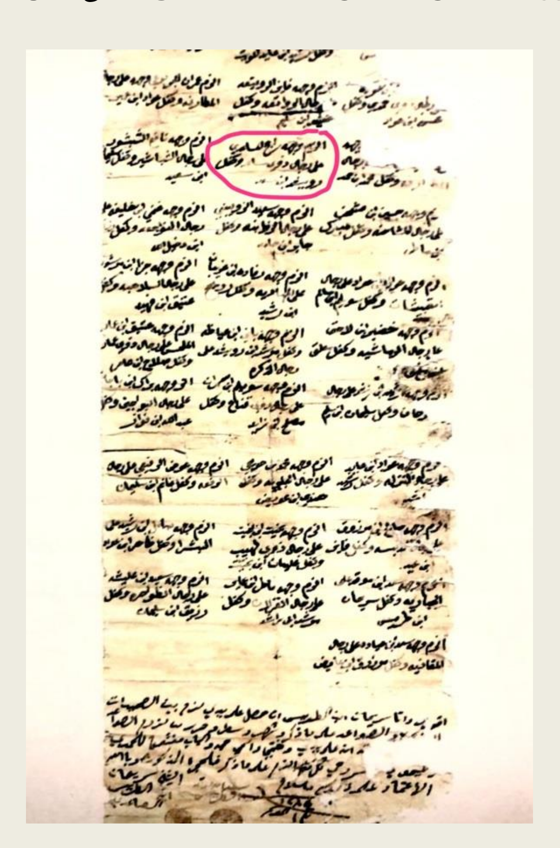
٢- محسن بن راجح بن سعد بن محمد بن سعد بن مساعد الترجمي إلى ١٣٥٣هـ

٣- عبدالله بن سعيد بن راجح من ١٣٥٣ إلى ١٣٨٦هـ

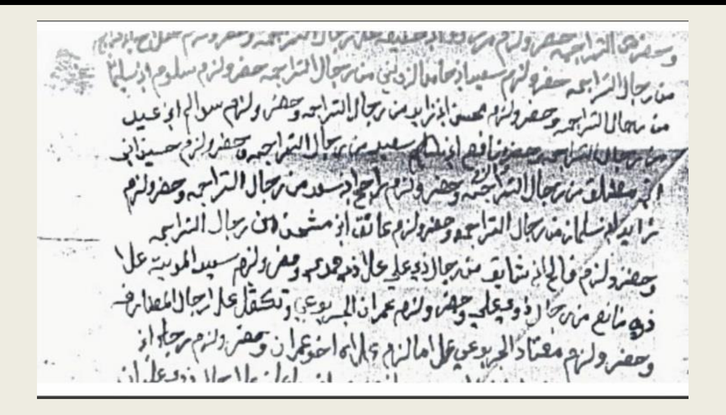
٤- حمود بن مرزوق بن صالح بن راجح من ١٣٨٦هـ إلى ١٤٠٢هـ

٥- تركي بن حمود بن مرزوق بن صالح بن راجح من ١٤٠٢هـ إلى اليوم.

وفيما يأتي صورة وثيقتين يظهر فيهما اسم راجح من ذوي مساعد، وهي لزمة له على جماعته ذوي مساعد، ووثيقة أخرى تظهر فيها أسما مجموعة من التراجمة:



وثيقة تظهر لزمة راجح المساعدي على رجال ذوي مساعد



وثيقة فيها مجموعة من رجال التراجمة والصواعد

هذه المشيخة العامّة، ولهم مشايخ على الفروع، كثر لا أستطيع أن أحصيهم، فلكل فرع شيوخه المتعاقبون، رحم الله من مات منهم.

وكانت قبيلة التراجمة منذ ثلاثة قرون يَدًا واحدة وكان فرعاها (موسم ورميثة) معًا في المغرم والديات، أسماؤهم في قيد واحد؛ أي دفترٍ واحد، واستمروا على ذلك حتى حدثت حادثة قبل نحو ٨٠ سنة، وخلاصتها أنّ رجلا من ذوي موسم[٣٢٤] قتل عبدًا مملوكًا لرجل من الصّحاف من قبيلة زبيد من حرب، وحمّله قاضي الصلح دية ثلاثة أشخاص مقابل التنازل عن الدم، فقبل القاتل وأهلُه، واعترض ذوو رميثة، لأنّ القاتل وأهله قَبِلُوا تحمّل الدّية المضاعفة دون مشاورتهم، وحصل على إثر ذلك اختلاف في وجهات النظر، وكلٌّ يرى أن الحقّ معه، وعلى إثر هذه الحادثة تفرّق التراجمة في دفترين من دفاتر القيد، دفتر لآل موسم، ودفتر لآل رميثة، ثم انقسم آل موسم قسمين: الأوّل: النواجعة والصفاحية. والثّاني: المعادية والزُّبون.

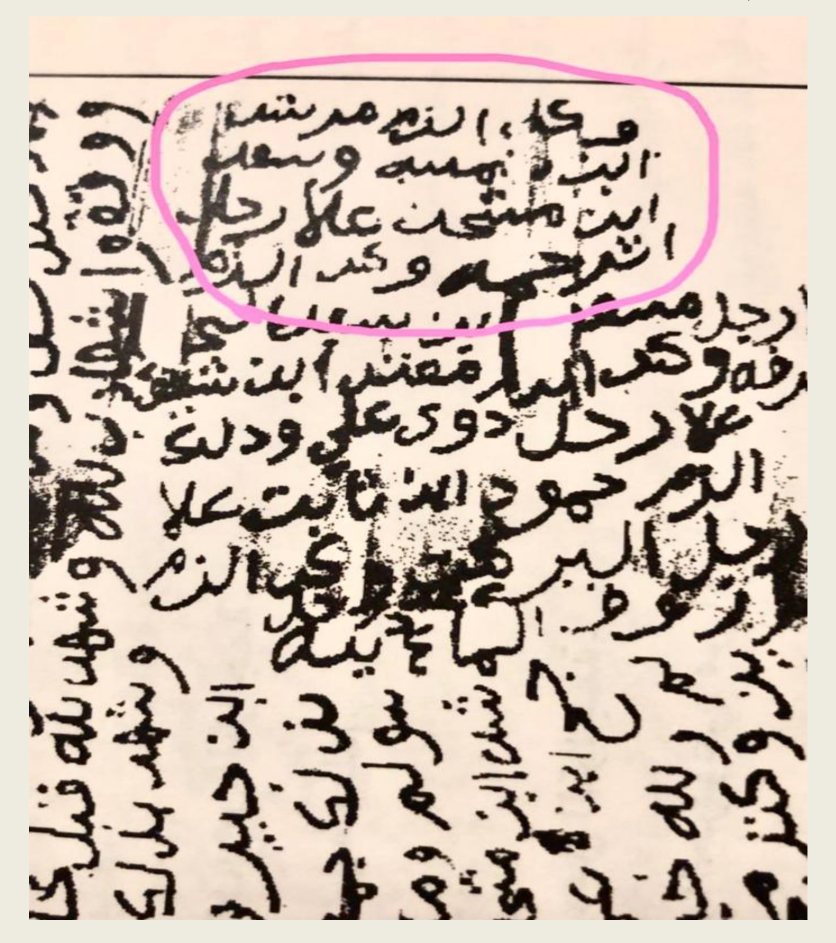
ثانيا: مشيخة النواجعة:

ومن مشيخة النواجعة:

١- مشيخة في ذوي عَمّار، وشيخهم (مرشّد بن عمّار)، ويقال له: (مرشّد ابن

(٣٢٤) نقل لي بعض الرواة أن الرجل هو: عودة بن لافي بن سمران من آل جريّان من النواجعة، واسم المقتول: رصوند.

شمسة)[٣٢٥].



وثيقة يظهر فيها لزمة مرشّد ابن شمسه وهو (مرشّد بن عمّار) من ذوي عمّار

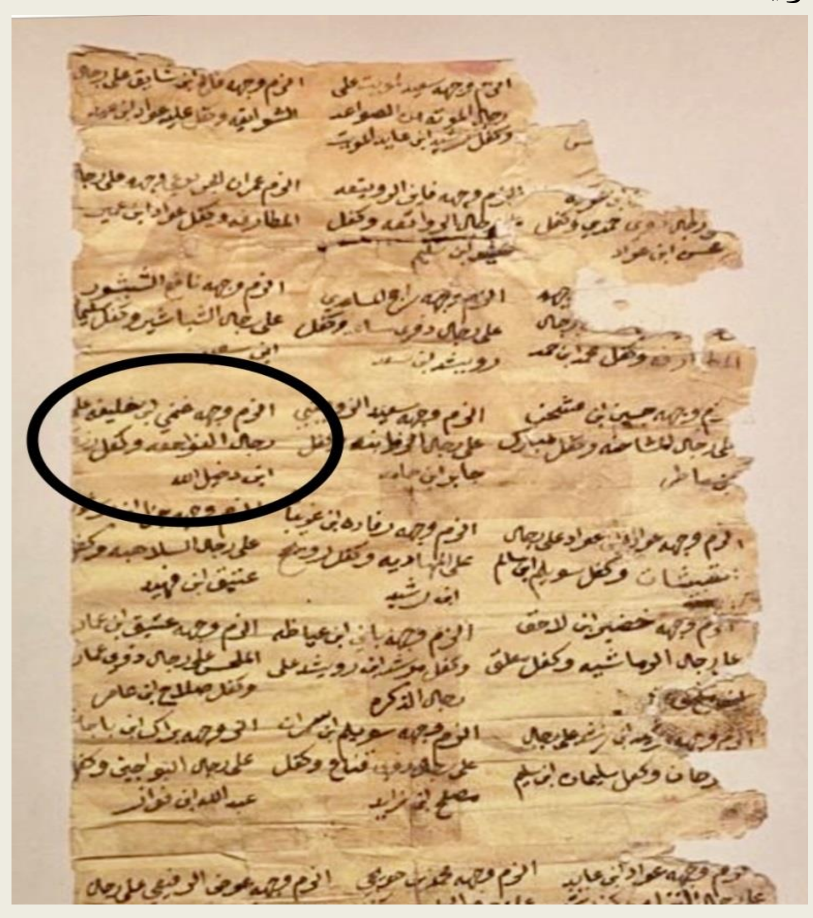
٢- مشيخة في الحدارية ومن شيوخهم (سعيد أبو حدرية)[٣٢٦]، و(سالم أبو

(٣٢٥) ذكر لي الدكتور سعود بن عبيدالله ابن شمسه من ذوي عمّار أن (مرشّد بن عمّار) هذا جدّه الرابع، وأنّ اسمه ورد في ثلاث وثائق، وأنّه ينطق بتشديد الشين، وأنّ (شمسة) زوجة عمّار، ينسب إليها أحيانًا ابنها مرشّد لشهرتها، فيقال: (مرشّد ابن شمسة)، ويقال: (مرشّد بن عمّار) نسبة لوالده. وينظر: وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة (القسم الأول وثائق وادي الفرع) ٤/ ٢٨٧١؟ (وورد فيه: مرشّد ابن شمسة) و٤/ ٣٣٥٨ وورد فيه: (مرشّد بن عمّار)، وذكر فايز البدراني نقلا عن الشيخ تركي بن حمود أن مرشد بن عمار من آل أبو حدرية. وهذا ينافي ما ذكره الدكتور سعود، فالصحيح أنه من ذوي عمّار، وأما أبو حدرية فمن شيوخهم الذي عرفتهم: سالم أبو حدرية وسعيد أبو حدرية، كما سيأتي في الفقرة ٢.

(٣٢٦) ورد في وثيقة نقلها فايز البدراني. ينظر: وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة (القسم الأول وثائق وادي الفرع) ٤/ ٣٣٥٨.

حدرية)[٣٢٧].

٣- مشيخة في ذوي خليفة، وكانت في غنمي بن خليفة، بموجب وثيقة مؤرّخة في ١٣ ذي الحجّة ١٢٨٤هـبين الصواعد والصميدات من الأحامدة، ونصها: (ألزم وجه غنمي بن خليفة على رجال النواجعة. وكفل رزيق بن دخيل الله) وهذه صورة الوثيقة:



صورة من لِزْمة غنمي بن خليفة على النواجعة كافّة

(واللزمة هي الالتزام بما يُتفق عليه)

(٣٢٧) ذكره البدراني في وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة القسم الأول: وادي الفرع ٤/ ٢٨٧١. وذكرت الوثيقة أن لزمته كانت على رجال النواجعة.



نهاية الوثيقة ويظهر تاريخها في ١٣ ذي الحجة ١٢٨٤هـ

ثالثًا: مَشْيَخة آل خليفة:

وأمّا مشيخة آل خليفة فتظهر في هذا الجدول المفصّل:

	مشيخة آل خليفة	من	إلى
١	مرزوق بن خليفة بن سُمير	١٢٧٠هـ	١٢٨٢هـ
٢	غنمي بن خليفة (شيخ آل خليفة والنواجعة)[٣٢٨]	١٢٨٢	١٢٩٨هـ
٣	مهمّل بن مرزوق بن خليفة	١٢٩٨هـ	١٣٣٦هـ
٤	فالح بن مهمّل بن مرزوق بن خليفة	١٣٣٦هـ	١٣٥٠هـ
٥	أحمد بن مطلق بن هدهود بن خليفة	١٣٥٠هـ	١٣٨٠هـ
٦	عليثة بن صويدر بن مسعود بن خليفة	١٣٨٠هـ	١٣٨٢هـ
٧	سليّم بن سليم بن دخيّل[٣٢٩]	١٣٨٢هـ	١٤٠٢هـ
٨	عبدِالّه بن علي بن حميد بن محمّد بن غنمي	١٤٠٢هـ	١٤١٦هـ
٩	محمّد صالح بن صليح بن دبسان بن مطلق	١٤١٦هـ	--

وأما النوّاب من الأخماس الخمسة، فكان الأصل أنّ لكل خامسٍ نائبًا واحدًا، ثم توسّعت الأخماس وتفرّعت، فأصبح لبعض الأخماس أكثر من نائب واحد، بحسب الفروعِ الرئيسة فيه، وهذا بيان النواب:

أوّلًا: آل مرزوق بن خليفة، وهم: (آل فالح، وآل راشد، وآل ضبعان):

كان نائبهم فالح بن مهمل بن مرزوق (شيخ القبيلة في زمانه)، ثمّ فالح بن عبدالله بن فالح، ثمّ محمد بن عبدالله.

(٣٢٨) ثبتت مشيخة غنمي بن خليفة بموجب الوثيقة المؤرخة في ١٣ ذي الحجّة ١٢٨٤هـ شيخا للنواجعة كافة وألزم وجهه كافة النواجعة، في الحلف المكتوب بين الصواعد والصميدات من الأحامدة، على يد سريحان الطريسي الصاعدي. وقد تقدمت الوثيقة في ص ٣١.

(٣٢٩) وهو من أبناء عمّنا اللوافية، وكان شيخ اللوافية وآل خليفة معا منذ سنة ١٣٨٢هـ إلى سنة ١٤٠٢هـ

ثانيًا: آل غنمي، وهم: (آل حميّد بن محمد، وآل دخيّل بن فالح، وآل غنيمة بن غنمي):

كان نائبهم دخيّل بن فالح، ثم عبدالرحمن بن حميّد، ثم عبدِالّه بن علي (شيخ آل خليفة كلهم) ، فلما توسّع الخامس أصبحوا ثلاثة فروع:

آل حميد بن محمد: عبدِالّه بن علي (شيخ القبيلة بين ١٤٠٥- ١٤١٦هـ)، ثم حمود بن رَدّة الله.

آل نويفع بن غنيمة: نائبهم: عبدالعالي بن نويفع، ثم حامد بن نويفع، ثم مطيع الله سعد، ثم عبدالله حامد بن نويفع.

آل دخيل بن فالح: نائبهم: داخل بن دخيل، ثم عبدالله بن دخيّل، ثم عبدالرزاق بن فراج بن دخيل.

ثالثا: آل سعد، وهم: (آل طريس، وآل راجح):

آل طريس وآل راجح كان نائبهم جميعا سليّم بن طريس، ثم سُليم بن سليّم بن طريس، ثم سلمان بن سليّم بن طريس.

واليوم نائب آل راجح بن سعد سالم بن سعيد بن راجح بن سعد.

رابعا: آل مسعود وهم: (آل صويدر، وآل سلوم، وآل سعيّد):

نائبهم: سعيّد بن مسعود، ثم عليثة بن صويدر، ثم حميّد بن حضيض، ثم عبدالرحمن بن عبدِالّه) فلما اتّسعوا انقسموا إلى ثلاثة فروع، كما يأتي:

آل سعيّد بن مسعود: نائبهم سعيّد بن مسعود (شيخ القبيلة في زمانه) ، ثم حميّد بن حضيّض، ثم سالم بن سند، ثم عبدالهادي سالم بن سند.

آل صويدر بن مسعود: نائبهم عليثة بن صويدر ثم عبدالله بن عليثة.

آل سلوم بن مسعود: نائبهم عبدالرحمن بن عبدالله، ثم فهد بن عبدالرحمن.

خامسا: آل هدهود (هديهد) وهم: (آل مطلق، وآل معتق):

نائبهم أحمد بن مطلق (شيخ القبيلة في زمانه)، ثم دبسان بن مطلق، ثم صليّح بن دبسان، ثم محمد صالح بن صليح، ولم يزل **آل مطلق بن هدهود وآل معتق بن هدهود، كالفرع الواحد،** شيخهم محمد صالح بن صليح (وهو شيخ القبيلة حاليا)، ويمثّل آل معتق: مقبل بن إبراهيم بن محمد صالح.

شيوخ النواجعة:

وحين نتوسّع قليلًا، ونخرج عن آل خليفة، وننظر إلى شيوخ النواجعة فإنّنا نجد ما يأتي:

الحدارية: شيخهم علي أبو حدرية، ثم فالح بن علي أبو حدريّة، ثم أحمد بن محمد بن مهمل.

القُرعان: من شيوخهم حسين بن نافع بن حريز.

ذوو عمّار: من شيوخهم عمّار جدّهم، ولعلّ أشهر شيوخهم مرشّد بن عمّار، ووجدت له مشيخة على التراجمة كافّة في ثلاث وثائق، تدلّ على عراقة مشيخته على التراجمة، وإحدى الوثائق كانت سنة ١٢٤٥هـ(٣٣٠)، ويقال له في بعض الوثائق: مرشّد ابن شمسة، ومن شيوخهم المتأخرين عابد ابن شمسة، ثم سَلِيم بن رويفد.

وحين نخرج من النواجعة إلى آل موسم:

الصفاحية: شيخهم عبدالله بن منور، ثم أخوه عبيدالله بن منور.

الزبون: شيخهم مسعود بن صالح، ثم عبدالله بن عبدالمحسن، ثم عبدالله بن مسعود.

(٣٣٠) ينظر: وثائق تاريخية من منطقة المدينة المنورة: القسم الأول: وثائق وادي الفرع: الجزء الرابع ٣٣٥٤، ٣٣٥٨.

المعادية: من شيوخهم عبدالعزيز بن عمير، وعيادة بن مبيريك، وغازي بن عيادة بن مبيريك.

ديار آل خليفة والنواجعة:

ديار التراجمة -ومنهم آل خليفة- هي خَلْص، سكنوها منذ مئات السنين، حتى نُسبت إليهم وعُرفت بهم، فيقال: خلص التراجمة، وخلص هذه مشهورة في كتب البلدان، ذكرها ياقوت الحموي وغيره، وهي خلص آرَة؛ أي: أنّها قريبة من جبل آرَة، وجبل آرَة جبلٌ أحمر يقع بين قدس (أُدْقُس) ووَرِقان. وخلص واحة غنّاء بين الجبال، تحيط بها الجبال، وهي كالدائرة، فيقال: دوّارة خلص، وسيلها يدفع إلى الشرق ويمرّ بالملحة، ثم اليتمة ثم يدفع في وادي العقيق. ووَهِم عاتق البلادي حين ذكر أنّ سيل خَلْصٍ يدفع في وادي الفرع[٣٣١].

وورد اسم خَلْص في أشعار الشعراء المتقدّمين، قال خالد بن عامر متغزّلا:

وإنّ بخَلْصٍ خَلْـصِ آرَةَ بُدَّنًا نَواعمَ كالغِزْلانِ مَرْضَى قُلُوبُها

وقال ابنُ هَرْمة[٣٣٢]:

كأنّكَ لم تَسِرْ بجَنُوبِ خَلْصٍ ولم تَرْبَعْ على الطَّلَلِ المُحِيلِ
ولم تَطْلُبْ ظَعائنَ راقِصاتٍ عـلى أَحْدَاجِهِنّ مَها الدّبِيلِ
تُناطُ حمائلُ الهنديِّ منه بعاتِقٍ لا أَلَفَّ ولا ضئيلِ
ولكنْ تستقلُّ به قُواهُ على ماضٍ بقائمِهِ نَبيـلِ

والخَلْصُ: عند العرب: نبتٌ له عَرْفٌ طيّب، ولعلّ المكان سمّي به لكثرته فيه.

وديار آل خليفة بعامّة تسمّى الخَلْس الأعلى، وهي في شبه مستطيل يميل إلى الانبعاج، أطرافه بين وَرقان وخَلص والملحة واليتمة ووادي ريم والنُّصبية والشّلايل. وأمّا جَدِّية آل خليفة فهي في الفَرَعة وقُريض بجوار خلص. وقد خرج كثيرٌ من آل خليفة من خَلْص قُبيل

(٣٣١) معجم معالم الحجاز ٣/ ١٤٣.

(٣٣٢) ديوان ابن هرمة ١٧٠، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق.

ظهور الدولة السعودية الثالثة، واقتربوا من مكّة وجدّة، ولم يدخلوهما مباشرة في البدْء، إذ كانوا أهل إبل وحَلال وزراعة موسميّة، يتتبّعون مساقط الغيث في ديار قبيلتهم الكبرى (حرب) من جهة تهامة، لا يكادون يستقرّون في مكان إلا رحلوا عنه، تارة تجدهم في عُويجاء وتارة في ضواحي رابغ ومستورة وتارة في فجّ الكريمي أو في مدسوس أو في المغمّس أو أم جرفان وخليص وتارة في ضواحي مكة كالجموم أو اللحيانية وموقدات وثلاثان، وتارة في عمق أو طَفِيل وتارة في ضواحي جدة ومنها السلسلي ومريّخ، ولقد تعوّدوا على هذا النمط من الحياة القاسية غير المستقرّة حينًا من الدهر إبّان حكم الأشراف في الحجاز وقلّة ذات اليد حتى أظلّهم زمان الدولة السعودية المباركة في الحجاز، وقد قرصتهم المجاعة التي اجتاحت العالم وجزيرة العرب في أيام الحرب العالمية الثانية وبُعيدها، أي في حدود ١٣٦٠- ١٣٧٢هـ، واجتاحت البادية بعض الأوبئة أصابتهم أو أصابت دوابّهم فأكلوا الميتة والذُّرة الحمراء والبَرْوَق والدّعاع[٣٣٣] والحِبْلة وبعض النباتات التي لا تؤكل في العادة، فألجأهم ذلك إلى التقرّب من المدن، التي فتحت لهم ذراعيها، فتحسّنت مع الوقت أحوالهم كسائر الناس، وكانت بداية استقرارهم في المدن في عهد الملك سعود ثم الملك فيصل، وأكثرهم اليوم من سكان جدة ومكة، وبعضهم في المدينة والرياض، وأصبح لهم شأن وعزّة بفضل الله عليهم.

وقد شارك آل خليفة والنواجعة من التراجمة من الصواعد في توحيد المملكة وأمدّوا الملك عبدالعزيز ببعض الحلال والزاد والتأييد والتحالف إبّان حصاره لمدينة جدة سنة ١٣٤٣هـ ولهم إسهامات في نقل المؤونة بإبلهم إذ كانوا أهل إبل وحلال وامتهنوا النقل بين مكة وجدة والمدينة، وكانوا في حلّهم وترحالهم يجاورون بطونًا مختلفة من قبيلة حرب، ويجاورون غيرهم من القبائل كسُليم ومطير وجُهينة وهُذيل وعُتيبة والأشراف، ويمتازون بالشهامة والمروءة وعفّة النفس، وقد عُرِف التراجمة عامّة بالكرم حتى قيل: (الصحفة ترجميّة) أي صحفة الطعام، كناية عن كرمهم.

---

(٣٣٣) قال أبو منصور الأزهري في التهذيب (دعع) ١/ ٩٤: «[الدَّعاع] والدُّعاعة: حبّة سَوْدَاء يأكلها فُقَرَاء البَادِيَة إذا أجدبوا».

وأمّا حسنُ الجوار وطيب المعشر فمن صفات قبيلة حرب عامّةً وسائر القبائل في بلادنا السعودية بحمد الله. ومما يحكى في هذا الباب أنّ رجلًا من قبيلة عنزة العريقة يقال له (حصبان المطوطح العنزي) جاور قبيلة بني علي من قبيلة حرب في نجد، وقد أصيبت إبله بالجرب، وهو مرض معدّ يفتك بالإبل، ويقتضي عزل الإبل المصابة، لكنّ جيرانه من حرب، أصرّوا على بقاء إبله مع إبلهم تقديرًا له ولكونه جاورهم وهو ليس منهم، فشاء الله أن تعافت إبله ولم تصب إبلهم بمكروه، فلما عاد إلى قبيلته بعد أربع سنوات من مجاورتهم، ذكر جيرانه وهو في مجلس من مجالس جماعته، فأثنى عليهم بالخير والعَبرة تخنقه شوقًا إليهم ولطيب جيرتهم، فقال أحدهم: أتبكي على حرب وهم أعداء لنا[٣٣٤]؟ فقال قصيدة طويلة مشهورة، ومنها:

قالوا عَلامك يوم تبكي على حربْ	وهم لنا عدوان ما ينبكوني
قلت البكا ماهوب للبعد والقربْ	أبكي عليهم بعد ما جاوروني
أربع سنين وزَملنا عندهم جُرْبْ	ما اوموا عليها بالعصا يطردوني
عن ذودهم ذَودي يقدّم على	مرحولنا يشرب وهم يقهرني[٣٣٥]
ياعنك ماهم من هل الهزب	ولا هم لغرّة جارهم ينظروني
عن دربنا ياليت ماجاهم دربْ	ولا هلّت العبره عليهم عيوني

فلم ينس العَنَزي الشهم جيرانه ومواقفهم معه، وهذا يدلّ على طيب أصله ومعدنه. والقصيدة طويلة ولكني اكتفيت منها بهذه الأبيات الستّة[٣٣٦].

(٣٣٤) المقصود بالعداوة هنا ما كان سائدًا بين القبائل من تنافس على المياة ومواطن الرعي.

(٣٣٥) أي: يقهرون مراحيلهم، بمعنى يمنعونها، تقول العرب: اقهر الناقة؛ أي: امنعها، واقهر غنمك عنا: امنعها.

(٣٣٦) القصيدة مشهورة، وردت في عدد من المصادر، ينظر: من أحاديث السمر لعبدالله بن خميس ١/ ٢٣٤، وقصص وأشعار من قبيلة حرب لفايز البدراني ٥٧.

التداخل بين حرب والأنصار في الأسماء والديار:

تعدّ قبيلة حرب من أكبر القبائل في جزيرة العرب، ظهر صيتها منذ القرن الثاني وكانت ديارها الأولى في الحجاز في مكة والمدينة وما بينهما، ثم توسّعت في الحجاز وتهامة ونجد، واتّسعت قاعدتها في تهامة بين ينبع والقنفذة، وامتدّت إلى نجد إلى قرية قبة وما وراءها إلى الكويت وأطراف العراق وبلاد الشام. وحربٌ اليوم من أعرق القبائل وأكبرها في المملكة العربية السعودية، تشارك في نهضتها الحضارية والاقتصادية والعلمية والثقافية.

ولمكانة قبيلة حرب وقوّتها دخلت فيها قبائل أصغر كمُزينة وعوف من الأنصار، ولعلّ أكثر مكوّنات عوف الحربيّة هم عوف الأوسيّة الأنصاريّة، التي دخلت في حرب وأصبحت جزءًا منها، ويكون هذا المكوّن الأنصاريّ في أغلب قبائل عوف، ومنهم الصواعد ومنهم التراجمة، ومثلهم بنو سالم من حرب، أحد فروع حرب الكبيرة، فالأظهر عندي وعند بعض الباحثين أنهم امتداد لبني سالم من الخزرج من الأنصار، فحين ننظر إلى ديار عوفٍ الأوسية من الأنصار نجدها جنوب المدينة من قُباء إلى أطراف جبل قدس مرورًا بخَلْص ووادي النقيع، وهي ديار عوف الحربية منذ قرون، وأمّا ديار بني سالم من الخزرِج الأنصار فغرب المدينة إلى وادي الصفراء وبدر، وهي ديار بني سالم من حرب. فكيف اختفتْ عوفٌ الأوسيّة وحلّت محلّها عوفٌ المسروحية الحربيّة لترِثَ اسمها وديارَها وكيف اختفت بنو سالم الخزرجيّة الأنصاريّة وحلّت محلّها بنو سالم الحربيّة؟ لترِثَ اسمها وديارَها، قد تتّفق الأسماء، ولكن يندر اتفاقها مع اتفاق المكان واختفاء الاسم الأقدم ومع بقاء قبائل مجاورة باسمائها إلى اليوم كسُليم وجهينة ومزينة، فمن الصعب أن يتّفق اختفاء قبيلة وظهور قبيلة باسمها وفي مكانها، إنّ هذا الاتفاق يدعونا إلى قبول الفرضيّة التي تقول إنّ الأنصار دخلوا في حرب وانصهروا فيها وأصبحوا من أهمّ مكوّناتها، ولكنّ هذا لا يعني أن كلّ عوفيّ أنصاريٌّ من جهة الأصل، لدخول بطون في بطون وبناء تحالفات تُنسي الأصول مع الوقت، فالداخل يتبنّى اسم القبيلة التي دخل فيها، لأغراض اجتماعيّة واقتصاديّة وأمنيّة ومصالح عامّة معلومة فرضتها عليهم طبيعة حياتهم.

وكان الشيخ محمد بن محمد المختار (عضو هيئة كبار العلماء) ينقل عن والده النّسّابة الفقيه المحدّث محمد المختار الجكني الشنقيطي أنّه محال أن تكون عوف الحربية في نفس الديار والاسم ولا تكون هي عوف الأوسيّة الأنصاريّة، وهو يقيس في هذا على جهينة وسليم ومزينة مما ذكرته آنفا. قال: (ولا أفقه في النسب شيئًا إن لم تكن هي عوف الأنصاريّة).

قال عرّام السُّلمي (القرن الثالث) عن الفُرْع: «قرية غنّاء كبيرة يقال لها: الفُرْع، وهي لقُريش والأنصار ومُزينة»[٣٣٧]. وذكر قرى أخرى ومياة بين المدينتين يسكنها الأنصار، ومنها الصَّعْبِيّة والتّازية[٣٣٨]والرِّحْضِيّة[٣٣٩]. وبعضها في نواحي صفينة ومهد الذهب، وكان الأنصار متفرّقين في بعض قرى الحجاز وأوديته وفي بعض قرى نجد التي تلي الحجاز من جهة المدينة ومهد الذهب، فأين ذهبوا؟ ولعلّهم ذابوا في القبائل الأكبر ومنها حرب.

وقال عرّام عن وادي الصفراء الذي تسكنه بنو سالم من حرب منذ قرون عديدة: «الصّفراء قرية كثيرة النخل والمزارع، وهي فوق ينبع مما يلي المدينة، وماؤها يجرى إلى ينبع. وهي جُهينة والأنصار ولبني فِهر ونَهْد»[٣٤٠]. ونقله عنه أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ) في معجم ما استعجم وقال: «ويسكن الصَّفراء: جُهينة والأنصار ونَهْد»[٣٤١].

ولم يقتصر انتشار الأنصار على بوادي المدينة، بل وصلوا إلى مشارف الطائف، فتذكر مصادر البلدان أنّ جَوْنَةَ: قرية بين مكّة والطائف يُقال لها الجونة، وهي للأنصار[٣٤٢] ورجّح الجاسر[٣٤٣] أن تكون الجونة محرّفة من الحويّة.

---

(٣٣٧) أسماء جبال تهامة وسكّانها، ومنشور ضمن نوادر المخطوطات لعبدالسلام هارون ٢/ ٤٠٤.

(٣٣٨) المصدر السابق ٢/ ٤٢٩.

(٣٣٩) المصدر السابق ٢/ ٤٢٧.

(٣٤٠) المصدر السابق ٢/ ٣٩٨.

(٣٤١) معجم ما استعجم ٣/ ٨٣٦.

(٣٤٢) أسماء جبال تهامة وسكّانها ٢/ ٤١٩، والأماكن للحازمي ١/ ٢٧٩، ومعجم البلدان ٢/ ١٨٩، ومراصد الاطلاع ١/ ٣٦١.

(٣٤٣) الأماكن للحازمي ١/ ٢٧٩ الحاشية ذات الرقم: ٣.

وعلى الأرجح فأنّ ذِكر عرامٍ والبكريّ الأنصارَ من سكّان وادي الصفراء سيثير الفضول لديك وسيبعث سؤالا: هل هم بنو سالم من الخزرج؟ وما صلتهم ببني سالم من حرب؟ هل هي مجرّد مصادفة؟! والجواب: إنّ الراجح أنهم هم، ولدينا في هذا ثلاث قرائن: أولها: الأسماء، وثانيها: المواضع، وثالثها: بقاء القبائل المعروفة المجاورة في أماكنها تقريبًا، كجهينة وسليم ومزينة وهذيل.

ويؤيّد ما ذكره عرّام السُّلمي وأبو عبيد البكري وياقوت الحمويّ النقوشُ الكتابية الصخرية المكتشفة حديثًا في بوادي المدينة، ومنها مكتشفات الأستاذ محمد المغذوي، إذ صوّر وقرأ ووثّق جملة من نقوش الأنصار في ديار حرب غرب المدينة وجنوبها وشرقها، فثمّة نقوش في وادي الصفراء ونقوش في غدران وادي العقيق العليا من جهة الجنوب، الذي يمرّ بالشِّقْرة ومنها غدير مجز وغدير مجزان وغدير رواوة، وهي اليوم في ديار عوف، وذكر أن في غدير رواوة خمسةَ نقوش للأنصار، ونقوش في غدير هكر في وادي الخَنَق الذي يدفع من قاع حَضَوْضَى ونقوش متفرّقة في الرحضية وحوراء وجبال الأشعر (جبال الفقرة) ووادي الصفراء، وفي الصويدرة[٣٤٤].

فإين ذهب أولائك الأنصار المتفرّقون في ديار حرب منذ قرون عديدة؟ وأين ذهبت قبائلهم؟ إنّ فرضيّة دخول بطون أو قبائل من الأنصار في قبيلة أكبر مجاورة لهم كقبيلة حرب فرضيّة مقبولة جدًّا، ولها عند التّحليل التاريخي والجغرافي ما يؤيّدها، وإنّ تشابه الأسماء واتّفاق الأماكن ليسا مجرّد مصادفة، فهما على الأقل يثيران الانتباه ويدعوان إلى مزيد من البحث والتحليل. وهذا الموضوع يستحقّ المراجعة العلميّة الجادّة، وليس هذا مكان تأصيله ولكنني ذكرته لأهميّته لمن يريد أن يعرف تداخل القبائل، والصلات بينها، وذوبان الأصغر في الأكبر أو الأقوى، تبعًا لظروف مرّت بها جزيرة العرب في عصورها المتعاقبة، وإذا دخلت قبيلة أو بطن في قبيلة أكبر فإنّ الداخل يذوب في قبيلته التي ألجأته إليها أسباب العيش والبقاء،

---

(٣٤٤) عندي صور تلك النقوش، ومن أرادها فعليه مراجعة حساب محمد المغذوي في تويتر، وهذا مُعرّفه: mohammed93athar@

حتى ينسى أصله القديم عبر القرون المتعاقبة، وليست قبائل الأنصار وبطونها الأصغر المتناثرة في بوادي الحجاز بين الحرمين حالةَ استثناءٍ من هذا القانون الاجتماعي الذي لا يجامل أحدًا، وليس للباحث المحايد ردّ هذه الفرضيّة التي تشير إلى دخول قبائل وبطون وفخوذ من الأنصار في حرب وغيرهم.

ومن الاحتمالات أن يقال: إنّ أصل قبيلة حرب هو المكوّن الخولاني النازح إلى الحجاز على ما رواه الهمداني في الإكليل، ثم ساد هذا المكوّن الخولاني وأصبح ذا مكانة وشوكة في الحجاز بين المدينتين وحقق انتصارات إقليمية، فدخل فيه المكوّن المذحجي، ثم دخل مكّونان آخران، هما المكوّن الأنصاري، قبائل وبطون من الأوس والخزرج، والمكوّن العدناني، وهم قبيلة مزينة وغيرها. فهذه أربعة مكونات تجانست وتحالفت وانصهرت وأصبحت قبيلة واحدة من أقوى القبائل وأعرقها في جزيرة العرب.

وليست قبيلة حرب بِدْعًا في ذلك، فما من قبيلة كبيرة تشغل مساحة كبيرة إلا وفيها مكوّنات مختلفة لا تعود إلى جدّ واحد، والحلف بين قبائل العرب وإعادة تكوينها في كيانات أكبر أمر معروف وقديم منذ العصر الجاهلي، وهم يعرفون أنّ الداخل فيهم كُفء وذا أصل ومكانة فقبلوه كما قبلهم هو، والعرب أكفاء في النسب.

ويري حمد الجاسر في تكوينات القبائل (جميع القبائل) أنها لا تعود بالضرورة إلى أب واحد، دون أن يدخلها حلف أو ولاء[٣٤٥]، وهذا شأن العرب منذ الجاهلية، تدخل قبائل أو بطون في قبائل كبيرة مجاورة لأغراض متعددة. ولم يذهب الجاسر بعيدًا عمّا يراه المستشرق الفرنسي بلاشير (Blachère) وخلاصته أنّ القبيلة الكبيرة تعدّ مجموع أرهاط وتفرّعات يجمعها اسم وزعيم قديم، وتستطيع مجموعة غريبة أن تندمج في قبيلة أقوى منها؛ لأسباب عدّة منها القحط والأوبئة والحروب[٣٤٦].

---

(٣٤٥) مقدمة حمد الجاسر لتحقيق "تذكرة الألباب في أصول الأنساب" مجلة العرب س ١٥، ج٧ و٨ المحرم وصفر ١٤٠١هـ ص ٤٨٣، وينظر: عناية الشيخ حمد الجاسر بالأنساب لعايض الردادي ٢٦، ٢٧.

(٣٤٦) تاريخ الأدب العربي لبلاشير ٢٨.

وقال الشيخ الجاسر في محاضرة له مصوّرة: «طسم وجديس والأمم البائدة لم تبد، ولكنها دخلت في أمم أخرى، وهذه عادة القبائل، إذ يعتورها ما يعتور المرء، من شباب وكهولة وقوة وضعف، ثم بعد ذلك تنماع وتدخل في القبائل الأخرى، وليس معنى هذا أنها تفنى كلها عن أسرها».

وللدكتور جواد علي كلام نفيس ذكره في المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، تحت عنوان: (أسماء أجداد القبائل)، قال: «لكل قبيلة -كما ذكرتُ- جدٌّ تنتمي إليه وتفاخر وتباهي به. وقد يكون هذا الجد جدًا حقيقًا، أي: إنسانًا عاش ومات، وساد القبيلة، وترك أثرًا كبيرًا في قبيلته حتى نسبت القبيلة إليه. وقد يكون الجد اسم حلف تكوّن وتألّف من قبائل عديدة، حتى عرفت به، ودعيت بذلك الحلف، وصار وكأنّه اسم جد وإنسان عاش. ومن هذا القبيل اسم "تنوخ" على حدّ زعم أهل الأخبار، فقد رووا أن تنوخًا قبائل عديدة، اجتمعت وتحالفت، وأقامت في مواضعها. وقد يكون اسم موضع، أقامت قبيلة به، فنسبت إليه، كما يذكر أهل الأخبار من اسم "غسان". وقد يكون اسم إله عُبد، فنسب عُبّاده إليه مثل "بني سعد العشيرة"، و"تألب ريام" جد قبيلة "همدان"، وقد يكون اسم حيوان أو نبات أو ما شابه ذلك، مما يدخل في دراسة أصول الأسماء ومصادرها واشتقاقها»(٣٤٧).

ويقول: «وقد ذهب المستشرق الفرنسي بلاشير (Blachère) إلى أن طريقة النّسابين بالنسبة إلى الأرهاط، هي طريقة إيجابية مقبولة، ولكنها لا تستند إلى أسس صحيحة بالنسبة للقبائل والأحلاف؛ بسبب أن تحالف القبائل وتكتّلها راجع إلى عوامل المصلحة الخاصّة والمنافع السياسيّة، وهي تتغيّر دومًا بتغيّر المصالح، تتولّد تبعًا لذلك أحلاف لم تكن موجودة، وتموت أحلاف قديمة، وتظهر [أسماء] قبائل كبيرة وتموت [أسماء] غيرها. ولهذا التغيّر فعل قويّ في تكوين الأنساب وفي نشوئها، إذ تتبدّل وتتغيّر الأنساب تبعًا لذلك التغيّر، ومن ثَمَّ فلا

(٣٤٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٣٤٠.

يمكن الاعتماد على الأنساب الكبرى، التي دوّنها علماء النسب وجمعوها في مجموعات، وشجّروها حفدةً وآباء وأجدادًا»[٣٤٨].

ويقول جواد علي في موضع آخر: «ويلاحظ أنّ الأحلاف إذا طالت وتماسكت، أحدثت اندماجًا بين قبائل الحلف قد يتحوّل إلى النسب، بأن تربط القبائل والعشائر الضعيفة نسبًا بنسب القبيلة البارزة المهيمنة على الحلف، وينتمي الأفراد إلى سيّد تلك القبيلة البارزة، فتدخل أنسابها في نسب الأكبر. وفي كتب الأنساب والأدب أمثلة عديدة على تداخل الأنساب، وانتفاء قبائل من أنسابها القديمة ودخولها في أنساب جديدة.

ويؤدّي انحلال الحلف أو انحلال عِقد عشائر القبيلة الذي هو في الواقع حلف سمّي "قبيلة"، إلى انحلال الأنساب وظهور أنساب جديدة، فإنّ القبائل المنحلّة تنضمّ إلى حلف جديد، فيحدث ما ذكرته آنفًا من تولّد أنساب جديدة، ومن تداخل قبائل في قبائل أخرى، وأخذها نسبها. ومن هنا قال جولد زيهر: إنه لفهم الأنساب عند العرب، لا بدّ من معرفة الأحلاف والتحالف، فإنها تكوِّن القبائل؛ لأنّ أكثر أسماء أجداد القبائل هي أسماء أحلاف، ضمّت عددًا من القبائل توحّدت مصالحها فاتّفقت على عقد حلف فيما بينها»[٣٤٩].

وقال الشيخ الجاسر في محاضرة له مصوّرة: «طسم وجديس والأمم البائدة لم تبد، ولكنها دخلت في أمم أخرى، وهذه عادة القبائل، إذ يعتورها ما يعتور المرء، من شباب وكهولة وقوة وضعف، ثم بعد ذلك تنماع وتدخل في القبائل الأخرى، وليس معنى هذا أنها تفنى كلها عن أسرها» انتهى.

إنّ في الأخذ بروايات بعض النسّابين القدماء أو المتأخرين والتسليم بها على عِلّاتها دون تمحيص ونقد مجازفةً تنافي العلم وأدبيّات البحث الناقد، وقد تسيطر على بعض الباحثين الرغبة في إرجاع القبيلة الكبيرة إلى جدّ واحد دون دليل قطعيّ يثبت أنّها من نسل جدٍّ واحد،

---

(٣٤٨) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٤/ ٣٤١. وينظر: تاريخ الأدب العربي لبلاشير ٢٩.

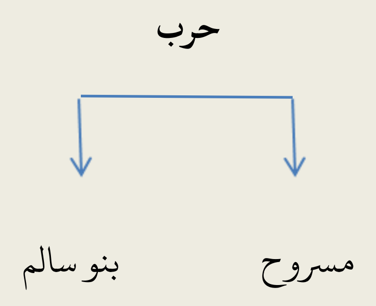
(٣٤٩) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/ ٣٨٥، ٣٨٦.

وعلى سبيل المثال فإنّنا لو أخذنا برواية الهمدانيّ في الإكليل فإنّنا سنعيد حربًا كلّها إلى خولان، وفي هذا مجازفة كبيرة وظلم لقبيلة عريقة ذات جذور أقدم من الخولانية وأكثر رسوخًا في الحجاز والمدينة.

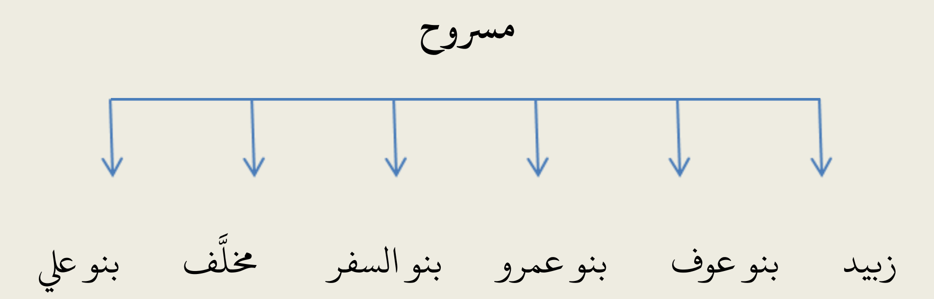
الشجرة العامّة من حرب إلى آل خليفة:

معلوم أنّ التراجمة هم أحد الفروع السّتّة من الصواعد، والصواعد فرع من عوف، وعوف من مسروح ومسروح من حرب، وسأذكر الفروع الرئيسة من حرب إلى الصواعد، ثم الفروع الرئيسة للتراجمة، ثم فروع موسم وفروع آل جريّان، وكل ذلك على سبيل الإيجاز:

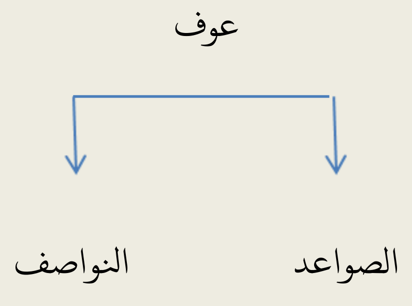
فروع حرب:



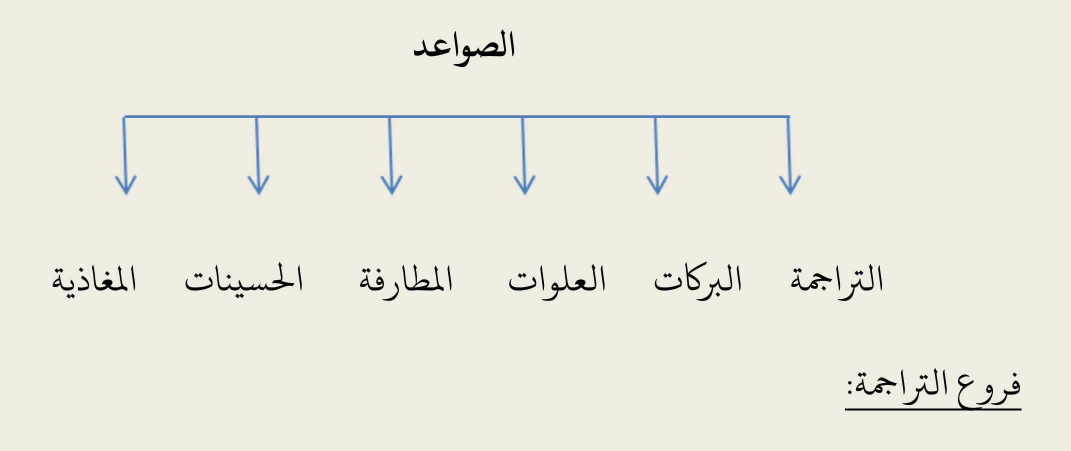
فروع مسروح:



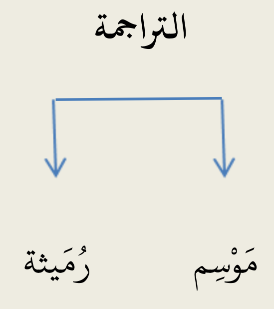
فروع عوف:



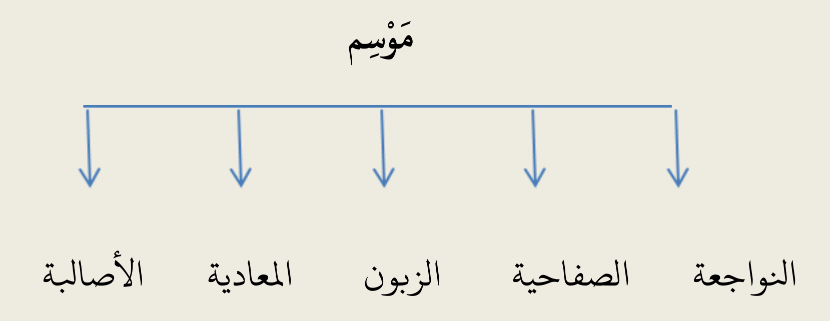
فروع الصواعد:



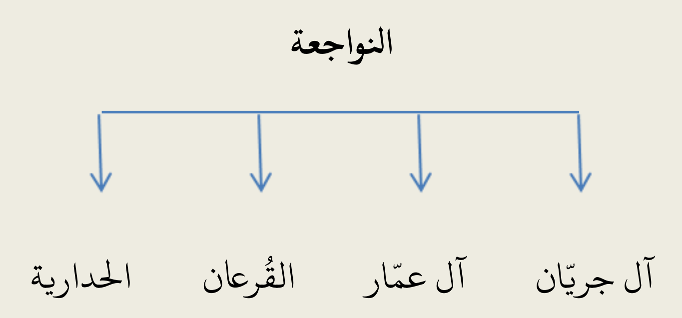
فروع التراجمة:



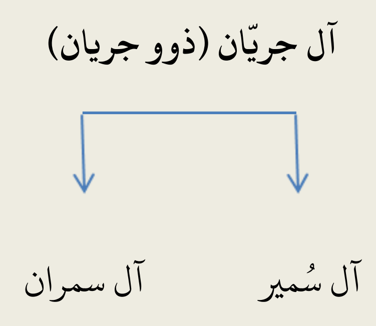
فروع موسم:



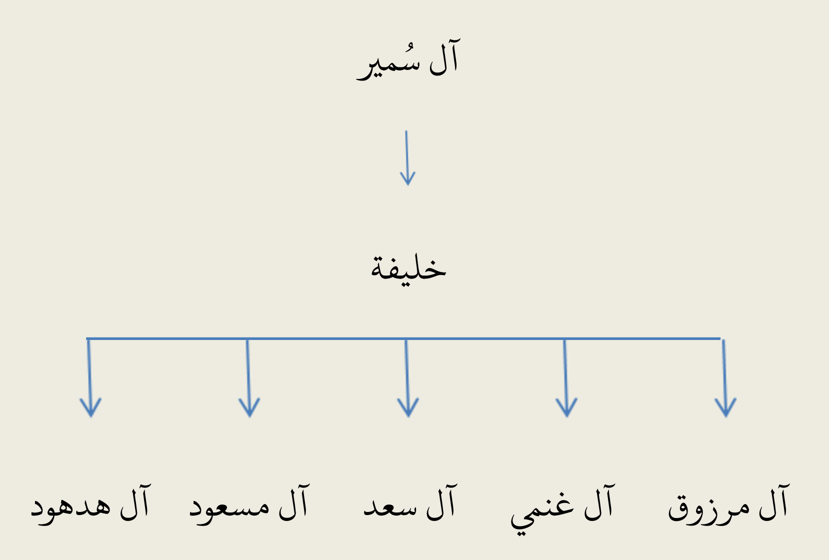
فروع النواجعة:



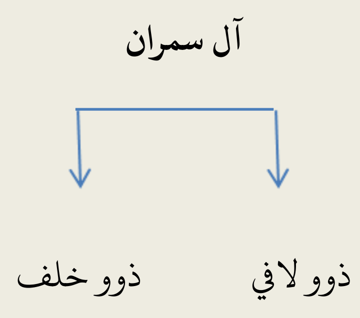
فروع آل جريان:



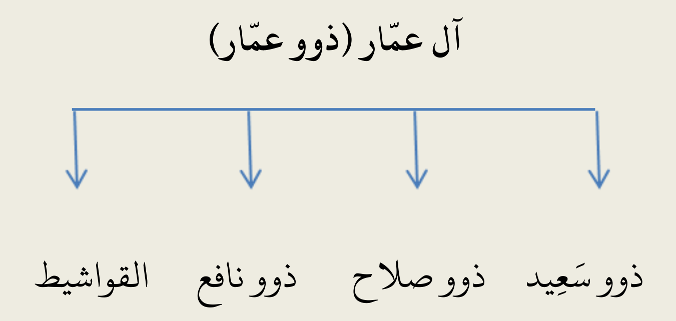
فروع آل سُمير:



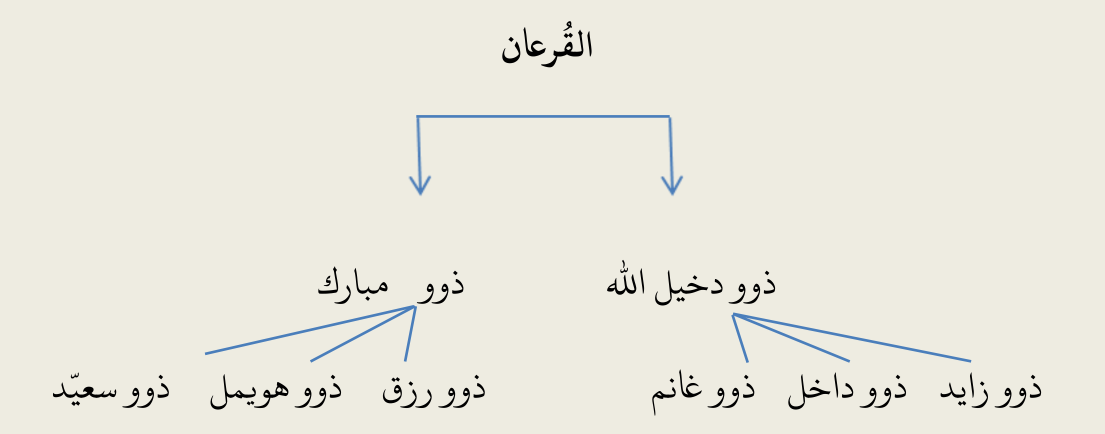
فروع آل سمران:



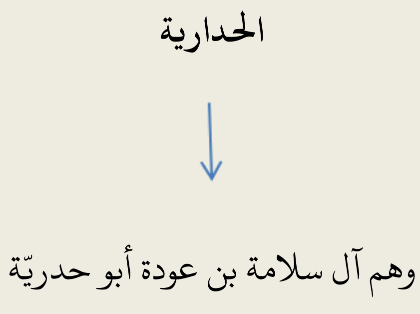
فروع آل عمّار (ذوي عمّار):



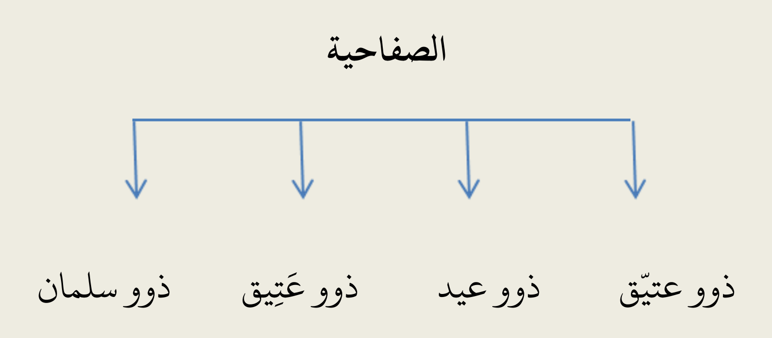
فروع القُرعان:



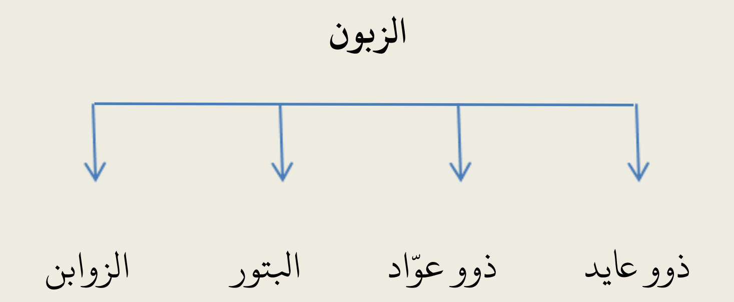
الحدارية:



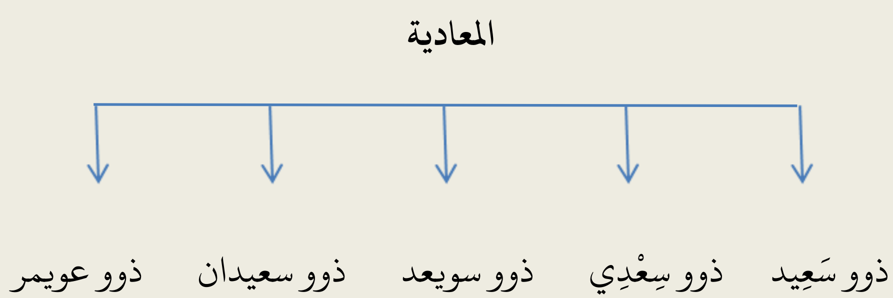
فروع الصفاحية:



فروع الزبون:



فروع المعادية



معاني أسماء قبيلة حرب وفروعها في سلسلة نسب خليفة:

حرب قبائل كبيرة وبطون، وأسماء القبائل في اصطلاح العرب على خمسة أضرب[٣٥٠]:

أولها: أن يُطلق على القبيلة لفظ: الأب، كعاد وثمود ومَدين، وما شاكل ذلك، وبذلك ورد القرآن الكريم في عدة مواضع، كقوله تعالى: (وإلى عاد) (وإلى ثمود) (وإلى مَدْين) ، يريد بني عاد، وبني ثمود، وبني مدين، وأكثر ما يكون ذلك في الشعوب والقبائل العظام، لا سيما في الأزمان المتقدمة، بخلاف البطون والأفخاذ ونحوها.

وثانيها: أن يطلق على القبيلة لفظ البُنُوّة، فيقال: بنو فلان، وأكثر ما يكون ذلك في البطون والأفخاذ والقبائل الصغار، ولا سيما في الأزمان المتأخّرة.

وثالثها: أن تَرد القبيلة بلفظ الجمع مع الألف واللام، كالطالبيين، والجعافرة والحروب والعتبان، ونحو ذلك، وأكثر ما يكون ذلك في المتأخّرين.

ورابعها: أن يُعبّر عن القبيلة ب (آل فلان) كآل ربيعة، وآل فضل، وآل علي، وما أشبه ذلك، وأكثر ما يكون ذلك في الأزمنة المتأخّرة، لا سيّما في عرب الشام في زماننا، والمراد بالآل: الأهل، ويقول بعضهم: ذوو فلان، ويجرونه على حال الجر في كلّ الأحوال فيقولون: هؤلاء ذوي فلان، ومنه في قبيلتنا: ذوي خليفة، وأستحسنُ تسميتهم بآل خليفة.

وخامسها: أن يُعبّر عن القبيلة بأولاد فلان، ولا يوجد ذلك إلا في المتأخّرين من أفخاذ العرب على قِلّة.

وقال علماء الأنساب: أوّل العرب شعوب، ثم قبائل، ثم عمائرُ، ثم بطونٌ، ثم أفخاذٌ، ثم فصائل، ثم عشائر. فالشعوب تجمع العمائر، والعمائر تجمع البطون، والبطون تجمع الأفخاذ، والأفخاذ تجمع الفصائل، والفصائل تجمع العشائر. مثلاً أولاد المنصور عشيرةٌ، وبنو العباس

(٣٥٠) ينظر: القلقشندي، قلائد الجمان ٢٢.

فصيلةٌ، وبنو هاشم بن عبد مناف فخذٌ، وقصيٌّ بنُ كلاب بطنٌ، وقريشٌ عمارةٌ، وكنانة قبيلةٌ، ومضر شعبٌ[٣٥١].

وقال الماورديّ «إذا تباعدت الأنساب صارت القبائل شعوبًا، والعمائر قبائل، يعني: تصير البطون عمائر، والأفخاذ بطونًا، والفصائل أفخاذًا، والحادث بعد ذلك فصائل»[٣٥٢].

وآل خليفة عشيرة من التراجمة، فحين نتأمّل التسلل النَّسَبيّ لآل خليفة نجدهم من آل جريّان، وآل جريّان من النّواجعة، والنّواجعة من موسم، وموسم من الترّاجمة، والترّاجمة من الصواعد، والصواعد من عوف، وعوف من مسروح، ومسروح من حرب، وحرب ثم من قحطان، وفيما يأتي تفسير الأسماء في سلستهم مبتدئا من حرب ومنتهيا بخليفة:

حرب:

الحَرْبُ: نقيض السّلم، تُؤَنَّث، ويُسمّى بها الذكور، وشاع ذلك في العصور الأولى، ومن أشهر من تسمّى بـ (حرب): حَرْبُ بن سعد بن سعد بن خولان، جدُّ قبيلة حرب في رواية الهمداني، وحَرْبُ بن أُميَّة بن عبد شمس، من قريش، وحَرْبُ بن خزيمة، وحَرْبُ بن شهاب، وحَرْبُ بن عُلَة بن جَلْد.

مسروح:

مسروح على وزن مفعول، من قولهم: سَرَحَه اللَّهُ للخير؛ أَي: وَفَّقَه الله، فهو مسروح؛ أي: موفّق، وبه يسمّى الرجال، قال نشوان الحميري: مسروح، بالحاء: من أسماء الرجال[٣٥٣]. وفي المحكم لابن سيده: مسروح: قبيلة[٣٥٤]، يعني هذه القبيلة من حرب.

عوف:

(٣٥١) عجالة المبتدي للحافظ الحازمي ٦، والبداية والنهاية لابن كثير ٢/ ١٩٠.

(٣٥٢) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان للقلقشندي ٢٠.

(٣٥٣) شمس العلوم ٥/ ٣٠٤٧.

(٣٥٤) المحكم اللسان (سرح) ٢/ ٤٨١.

عَوْف اسم رجل، واسم قبيلة، ونجده يتكرّر في عدد من القبائل العربية، ومنها: بنو عوف من الأوس من الأنصار، وبنو عوف من مسروح من حرب، وبنو عوف بن كنانة، وبنو عوف بن وائل، وبنو عوف بن عبد مناة، وبنو عوف بن بُهثة بن سليم، وغيرهم.

ومعنى عوف في اللغة: الضيف والحال والشأن والحظّ، قال الزَّبيدي: «العَوْفُ: الحالُ والشَّأنُ يُقال: نَعِمَ عَوْفُكَ؛ أي: نَعِمَ بالُك وشأنُك»[٣٥٥]، والعَوْفُ: اسم من أسماء الأسد؛ لأنّه يَتَعَوَّف باللَّيْل فيَطلُب. والعَوْف أيْضًا: ضرب من النبت. قال النّابغة الذُّبيانيّ[٣٥٦]:

ولا زالَ ريحانٌ ومِسكٌ وعنبرٌ على منتهاه دِيمةٌ ثُمّ هاطلُ
فيُنبِتُ حَوْذانًا وعَوْفًا مُنَوِّرًا سأُتبِعُهُ من خَيْر ما قالَ قائلُ

الصواعد:

الصواعد واحدهم صاعِد، اسم فاعل، وصاعديّ على النسب، وفي أصل معناه احتمالات، أذكرها مع الراجح منها وأدلّة الترجيح:

الاحتمال الأول: أنّه منسوب إلى جدٍّ اسمُه صاعد، وهم قد يُسمُّون بصاعد وساعد وسالم وغامد، مما جاء على صيغة اسم الفاعل، جاء في ذيل اللباب: الصَّاعديّ: نِسْبَة إلى جدّ[٣٥٧]..

الاحتمال الثاني: أنْ يكون مشتقًّا من الصُّويعدة، وهي منطقة في ديار الصواعد بالقرب من الغاير في نواحي جَبَلي آرَة ووَرِقان، وهذان الجبلان من ديارهم القديمة، وسمعت هذا التفسير من أحد كبار السن قبل سنوات.

الاحتمال الثالث: أن يكون صفةً له أو لهم، لما عرف عنهم من صعود الجبال في ديارهم الجبلية وهم جيران جبل آرَة وجبل وَرِقان وجبل قُدْس (أُدقس)، وقريتهم خَلْص

(٣٥٥) التاج (عوف) ٢٤/ ١٩٠.

(٣٥٦) ديوان النابغة الذبياني ١٢١.

(٣٥٧) ذيل اللباب في تحرير الأنساب، لأحمد العجمي الوفائي الأزهري (ت ١٠٩٦هـ) ص ١٦٩.

محاطة بالجبال من ثلاث جات، فلعل ذلك من الصعود إلى جبالهم العالية، أو لعل من صعودهم من ضواحي المدينة إلى تلك الجبال واستقروا حولها في ديارهم التي عرفت بهم لاحقًا.

فإن قيل: ألا يكون الصاعديّ (القبيلة) منسوبًا إلى صَعْدة باليمن؟ فقد جاءت هذه النسبة (الصاعديّ) في بعض المصادر مرتبطة بصَعْدة، قيل: الصاعديّ المنسوب إلى صَعْدة في المصادر ليس رجلا من قبيلة، بل هو نوع من السهام وليس مفردَ القوم، إذ تُنسب إلى صعدة بعض السّهام المشهورة، تسمى السهام الصاعديّة والسهم الصاعديّ. قال ابن سيده في المخصّص: «منسوبات السِّهام: فمنها الرَّقَمِيُّ والزَّعْبَرِيّ واليَثْرَبِيّ والأَثْرَبِي واليَثْرِبِيّ والصّاعِديّ قال أبو ذؤيب:

فرَمَى فألحَـقَ صـاعِدِيًّا مِطْحَـرًا بالكَشْحِ فاشتَمَلَتْ عليهِ الأَضْلُعُ

قال ابن جِنّي عن ابن حَبِيب: صَعْدةُ قرية باليمن، فيَنْبَغي أن يكونَ هذا من تغيير النسَب»[٣٥٨].

وقال أبو عبيد البكري في رسم صعدة: «قال محمد بن حبيب: صَعْدة: قرية باليمن، يُعمل بها السهام الجياد، والنّسب إليها صاعدىّ»[٣٥٩]، ثم أورد شاهدَ أبي ذؤيب الآنف الذكر. وقال القاسم الأنباري في شرح هذا البيت: «قال الضّبّيّ: الصّاعديّ [سهمٌ] منسوب إلى قرية باليمن يقال لها صعدة عن ابن الأعرابي، والمطحر: السّهم البعيد الذهاب يقال طَحَرَه عنه طَحْرًا؛ إذا أبعده عنه»[٣٦٠]. وقيل إن السهام الصّاعديّة منسوبة إلى رجل كان يصنعها، اسمه صاعد.

فأجروا السهم المنسوب إلى صعدة على تغيير النسب، للتفريق بينه وبين الناس المنسوبين إليها، فقالوا في السهام: صاعديّ وقالوا في الناس: صَعدي. ويقتضي هذا وما سيأتي

(٣٥٨) المخصص ٦/ ٦٧ طبعة محمد بن التلاميد الشنقيطي.

(٣٥٩) معجم ما استعجم ٢/ ٨٣٢

(٣٦٠) شرح المفضليات للأنباري ٨٦٩. وجاء في ديوان الهذليين ١/ ٩ (طبعة دار الكتب المصرية): «صاعديّا: يعني سهما منسوبًا»؛ أي: إلى صَعْدة.

بعده أنّ الصاعديّ -واحد الصواعد- ليس منسوبًا إلى صَعدة؛ لأنّ القياس في النسب إلى صعدة: صَعْديّ، كما ينسبون إلى خلص: خلصيّ لا خالصي، وكذلك ينسبون إلى نجد: نجديّ لا ناجدي، وإلى طَنْجة طَنجي لا طانجي، وإلى العين عيني لا عايني، وإلى البَصْرة البصري لا الباصري، ولا فرق بين مذكر ومؤنث بالتاء.

ويرجّح هذا الرأي -أعني أن الصاعديّ ليس منسوبا إلى صعدة-أربعةُ دلائل:

الأول: أنّ الهمدانيّ صاحب الإكليل ذكر أنّ قبيلة حرب جاءت إلى الحجاز من صَعدة باليمن سنة ١٣١هـ، فلو كان ثمة نسبة إلى صَعدة فالأحقّ بها القبيلة وليس فرعًا متأخرًا في شجرتها، أي أن يقال الصواعد مكان حرب، وهذا لم يحدث، ولو علمه الهمداني لما سكت عنه.

والثاني: أنّ الهمدانيّ لم يذكر في فروع حرب الصواعد ولا الصاعديّ، ولو كان الصاعديّ منها في أيامه لطار به وأظهره؛ لأنّ الاسم يؤيّد روايته في انحدار طائفة من حرب الخولانية من صَعْدة.

والثالث: أنّ النسبة إلى صعدة (صَعْديّ) كما تقدّم، ونسبة الرماح إليها (صاعديّ) والعلة في ذلك التفريق بين الرجل والسهم، كما أسلفت، فجعلوا الأصل (الصَّعْدِيّ) للرجل وما فيه زيادة حرف للسهم، ويؤيّد هذا أنّ ما جاء في كتب التراث من الرجال المنسوبين إلى صَعدة في كتب اليمنيين هي: الصَّعْدِيّ، دون ألف بعد الصاد، ومنهم: المحدّث محمد بن إبراهيم بن مسلم الصَّعْدِيّ، والقاضي محمد بن أحمد مشحم اليمانيّ الصَّعْدِيّ، أيوب بن سليمان الصَّعْدِيّ، ومحمد بن مطرف الصَّعْدِيّ، وعلي بن يحيى الطائي الصَّعْدِيّ، وسالم بن أحمد بن إدريس اليمني الصَّعْدِيّ، وقال السمعاني في الأنساب: الصَّعْدِيّ -بفتح الصاد وسكون العين وكسر الدال المهملات- هذه النسبة إلى صَعْدة، وهي من بلاد اليمن[٣٦١]. وأما من جاء في كتب التراث بالألف بعد الصاد، أعني: (الصاعدي) فهو منسوب إلى صاعد، ولا صلة له بصعدة، وقد جاء في ذيل اللباب: الصَّاعدي: نِسْبَة إلى جدّ' كما تقدّم.

(٣٦١) الأنساب ٨/ ٣٠٥.

والرّابع: أنّ اسم القبيلة (الصواعد) لم يُعرف إلا متأخّرًا نسبيًّا، ولم تذكر كتب الأنساب والتاريخ أي إشارة قديمة لهم، ولم تذكر أي صلة بينهم وبين صعدة، ولو كانوا منسوبين إليها لعرف ذلك أوائلُ النسّابة وذكروهم فيمن ذكروا من فروع حرب.

وهذه الدلائل الأربعة ترجّح تأخر التسمية، وتنفي صلتها بصعدة، ولعلّ هذا الفرع المنتسب إلى عوف أخذ اسمه بعد القرن الخامس أو السادس، ككثير من الفروع التي لم يرد لها ذكر في المصادر القديمة.

وأخلص من هذا كله إلى القول: إن مسمّى (الصواعد) من قبيلة من عوف لا يخرج عن الاحتمالات الثلاثة التي ذكرتها في مطلع الحديث في هذا المقال.

التَّراجمة:

ينطقونه في لهجتهم بكسر الجيم، والجماعة: تَراجمة، وهي نسبة إلى تَرْجَم، اسم أو صفة من الترجمة والبيان، يقال: تَرْجَمَ فلان كلامه إذا بيّنه وأوضحه، وترجم كلام غيره إذا عبّر عنه بلغةٍ غير لغةِ المتكلّم، والواحد تَرْجُمان وتُرْجُمان، والجمع تَراجم وتراجمة، والتاء والميم أصليّتان، فوزن ترجم (فَعْلَل) مثل: دحرج وجعل الجوهريّ التاء زائدةً وأورده في مادة (رجم)، ويوافقه ما في نسخةٍ من التهذيب من باب رجم أيضًا، وله وجه، فإنه يقال: لسان مِرْجَمٌ، إذا كان فصيحا قَوّالًا، لكنَّ الأكثرين على أصالة التاء، فيذكرونه في الرباعي (ترجم). ويعنينا منه: التراجمة، وواحدهم ترجميّ، وهم أحد الفروع الستّة من الصواعد، لا يكاد يزاحمهم في هذا الاسم أحد، سوى فرع صغير في قبيلة سُليم العريقة، يقال لهم: التراجمة أيضًا، وأحسب أنهم من تراجمة الصواعد، فرع نازح منهم؛ لأنّ تراجمة سليم قليلو العدد قياسًا بتراجمة الصواعد من حرب، والغالب أنّ الأصل يكون أكثر من الفرع، ولا يمتنع أن يكون تشابه أسماء.

ويرد في كتب التراث: الحسن بن جعفر الترجمي، روى عنه محمّد بن خلف بن حيّان بن صدقة الضّبّيّ، أبو بكر، الملقّب بوكيع، المتوفّى سنة ٣٠٦هـ في موضعين من كتابه أخبار

القُضاه[٣٦٢] ومنهم: أبو محمّد الفضل بن عَبّاس التّرجميّ، ومحمّد بن زِيادٍ التَّرجَميّ، ولا أعلم إلامَ تكون نسبتهم؟ ولعلّها إلى الترجمة أو الترجمان، لا إلى قبيلة، والله أعلم.

موسم أو الموسمي:

مَوْسِم أو الموسمي فرع من التراجمة، يوازي الفرع الآخر (رميثة)، ولهم في نطقة وجهان:

الأول: مَوْسِم بفتح الميم وسكون الواو وكسر السين، على وزن مَفْعِل، اسم زمان أو اسم مكان، يحتملهما بحسب المعنى، من الوسم، مثل مَوعِد وموهِن وموقِف ومجلِس. والمَوْسِم: مُجْتَمع النَّاس؛ أي: وقت اجتماعهم، ومنه اشتقاق موسِم الحجّ. قال الأزهري: مَوْسِم الحجّ سُمِّي مَوْسِمًا؛ لأنّه مَعْلمٌ يُجتَمَع إليه، وكذلك كانت مواسمُ أسواقِ العَرَب في الجاهليّة، ويقال: تَوسّمتُ في فلان خيرًا، أي: رأيتُ فيه أثرًا منه، وتوسَّمْت فيه الخير، أي: تفرَّسْتُ. قال يعقوب بن السكّيت: كلّ مجمع من النّاس كثيرٌ فهو مَوْسِم؛ ومنه موسم مِنًى. ويقال: وَسَمْنا موسِمَنا؛ أي: شهدناه. فلعلّهم كانوا يجتمعون في وقت معلوم، فسمّي اجتماعهم موسمًا ثم أُطلق الوصف على هذا الفرع من التراجمة.

والثّاني: مُوسِم، على وزن مُفْعِل، والوجه التّصريفيّ له أن يكون من الفعل أَوْسَمَ يُوسِم فهو مُوسِم، ولم يرد في المعاجم، وتقدير معناه أنه يَسِمُ خصومَه ويقهرهم.

النواجعة وواحدهم نويجع:

نُويجع تصغير ناجع، مثل نافع ونويفع، والجمع نواجع ونواجعة، وهم منسوبون لجدّ لهم اسمه نُويجع، وورد هذا قليلا في أسماء العرب، ورأيته في بعض الوثائق، وهذا الاسم قليل في القبائل، ولكنّه مسموع فيهم، فهنالك نواجعة في قبيلة الحويطات، ونواجعة في فلسطين.

---

(٣٦٢) أخبار القُضاه ٢/ ٤٢٠، ٤٢٥.

واشتقاق هذا الاسم من النُّجعة والانتجاع في طلب الماء والكلأ، وفي اللغة: هؤلاءِ قومٌ ناجِعةٌ، ونَواجِعُ، وقد نَجَعُوا الأرضَ، والمَنْجَعُ: المُنْتَجَعُ، والجَمْعُ المَنَاجِعُ(٣٦٣)، قال ابنُ أحمر:

كانَتْ مَنَاجِعَها الدَّهْنَا وجانِبُهَا والقُفُّ ممّا تَـرَاهُ فَوْقَـهُ دَرَرَا

قال ابن السّكيت: وقوم ناجِعة ونَواجِعُ، وباديةٌ وبَوادٍ بمعنى واحد(٣٦٤). وقال أبو منصور الأزهريّ: «والنُّجعة: المذهب في طلب الكلأ وإذا نزلت البوادي على أعداد المياه فهم حاضرة، ومنازلهم محاضرُهُم، فإذا احتملوا عن المحاضر وتتبّعوا مساقط الغيث في الباديه فهم منتجعون وناجعون، ومنازلهم التي في النُّجعه مناجعُهُم، ومُقام أهل البادية على أعداد المياه والمحاضر أقل السنة، وإنما يقيمون عليها شهور القيظ، وأكثرها أربعه أشهر، ثم يَبْدُون مُنتَوين المناجع، يشربون الكَرَع من الغُدران والدُّحلان، والكَرَع ماء السماء»(٣٦٥).

وقال الزمخشري: «خرجوا للانتجاع والنُّجعة وهي طلب الكلأ، وقد انتجعوا ونجعوا. ومرّت بنا ناجعة ونواجع: قوم منتجعون. قال [الشاعر]:

وأعْلَمُ أنّني سَأصِـيرُ رَسْـمًا إذا انْتَجَعَ النَّواجِعُ لا أَسِيرُ»(٣٦٦)

فالنواجعة إما من اسم جدّ لهم اسمه نويجع، كما أسلفت، أو من المعاني التي أوردتها في هذا الاشتقاق، ويلاحظ أنّ الانتجاع وطلب تتبع الغيث والكلأ وعدم الاستقرار في مكان صفات تغلب على النواجعة، فهم منذ قرنين لا يكادون يستقرون في مكان، ويغلب عليهم التنقل في مثلث كبير رؤوس أضلاعه المدينة ومكة وجدّة.

جُرَيّان أو آل جريان:

---

(٣٦٣) التاج (نجع) ٢٢/ ٢٣٤.

(٣٦٤) إصلاح المنطق ٣٨٣

(٣٦٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ١٩٢، ١٩٣.

(٣٦٦) أساس البلاغة (نجع) ٤٤٧.

جريّان تصغير جِروان، والواحد: جِرْو، (والجيم مثلثة والكسر أفصح) وهو الصغير من كلّ شيء، وولد السباع، فلما صغّروا جِروان قالوا: جُريوان (اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن فقلبت الواو ياء وأدغمت) فقالوا: جُريّان. وهذا وصف غلب عليه فسمّي به، وقصّته أنه حين مات والد جريّان وعمّار وجاء أهل أمهما الأرملة (من مطير) لأخذها، فتقدم شقيق زوجها لخطبتها من أهلها فردّوا الأمرَ والموافقةَ إليها، وكانت حكيمة ذكيّة، راغبة في البقاء مع ولديها، فقالت: أنا موافقة من أجل هذين الجريّين، ولولاهما ما وافقت، (أرادت أن يبقى ولداها (جرواها) عند أهلهما وأعمامهما تحت نظرها هي وفي رعياتها، لأنها تعلم أنها إن رحلت مع أهلها لن يسمح لها بأخذ ولديها) فتزوجها، فغلب لقب (جريّان) على الكبير منهما، وبقي الأصغر على اسمه: (عمّار). فكان ذوو جريّان وذوو عمّار أبناء الرجل الأكبر والقُرعان والحدارية أبناء شقيقه الأصغر الذي تزوجته أمهم بعد ترمّلها. والأربعة جدّهم واحد، وهو نويجع. هكذا سمعتُ من كبار السّنّ، والله أعلم.

خليفة:

خليفة على وزن فَعِيلة، ومعناه أنه يخلف من كان قبله فيقوم مقامه، ولما مات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلفه في أمر المسلمين أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، فسمّي خليفة، ومن بعده في الحكم: خلفاء، فصار الخليفة: السلطان الأعظم، فرأينا الخلفاء الراشدين وخلفاء بني أمية وخلفاء بني العبّاس. وسمّي جدّنا هذا خليفة؛ لأنه خلف والده الذي توفّي وهو في بطن أمّه.

***

انتهت مقدمة كتابي: نسب آل خليفة من التراجمة من الصواعد من عوف

فهرس المحتوى